السلام المسلح بين العرب وإسرائيل

سلام الله أم سلام الناس

تأليف
فرح موسى

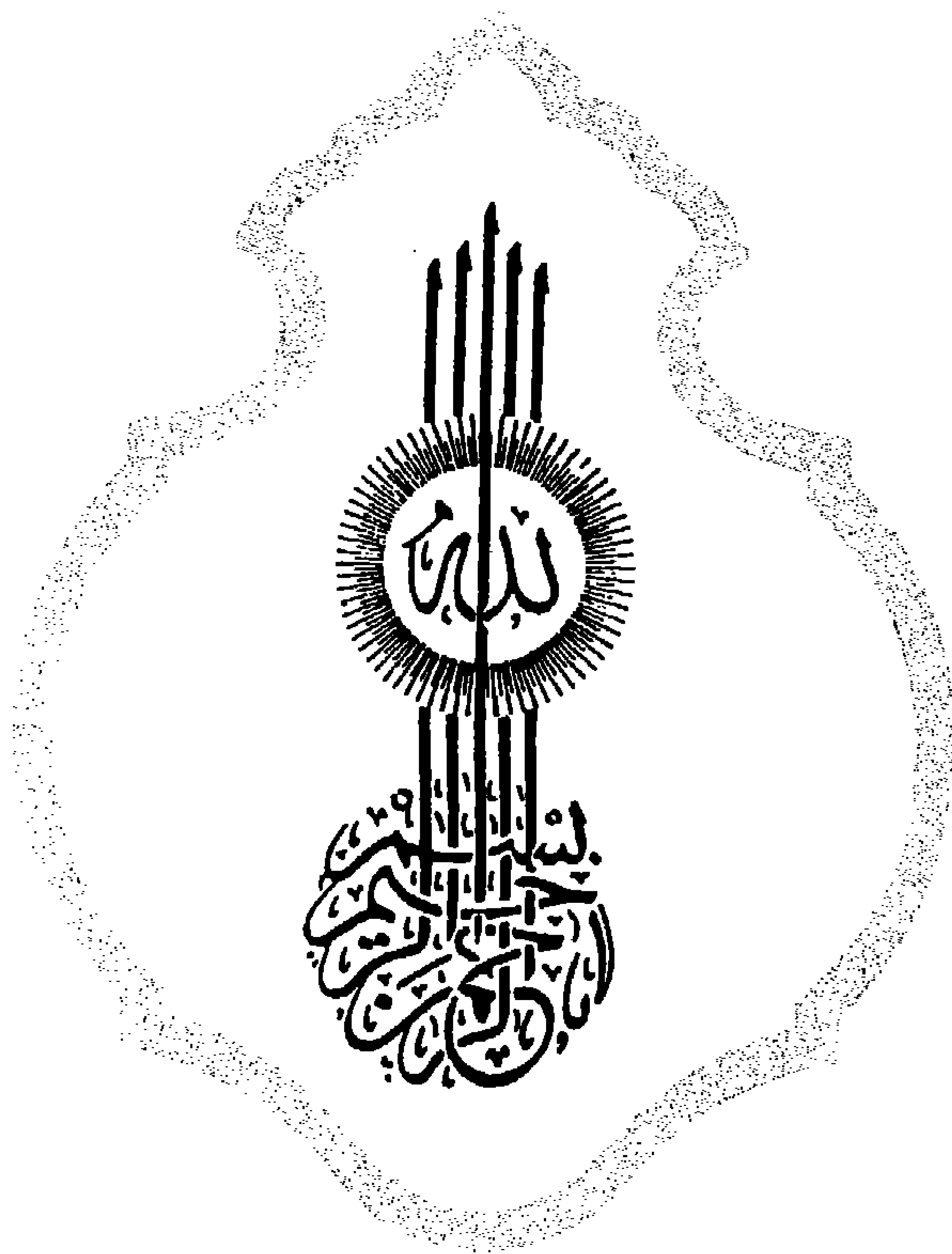




دار الوسيلة

السَّلام المسَّلح
بين
العرب وإسرائيل

سلام الله أم سلام الناس؟


بسم الله الرحمن الرحيم

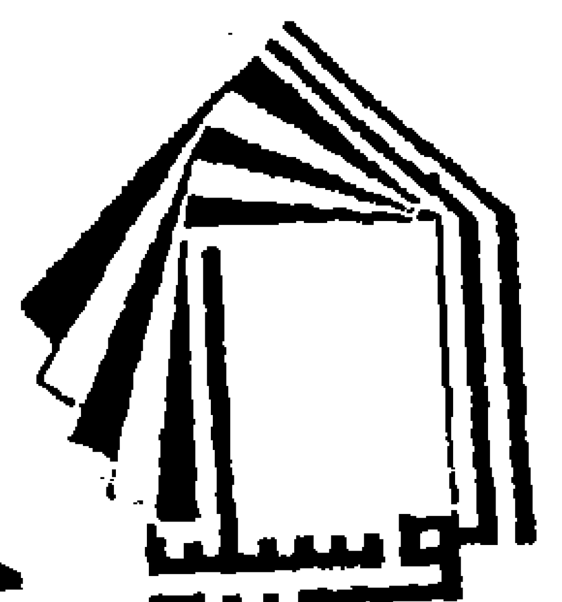
فـرَح مُوسى

السَّـلام المسَّـلح بـَينَ العَـربِ وَإِسْرائيل

سَـلام اَللّه أم سَـلام اَلنَّـاسِ؟

دَارُ الوَسِيلَة
للطبَاعَة وَالنّشر وَالتوزيع

الطبعة الأولى
١٩٩٤ ميلادية ١٤١٥ هجرية



دار الوسيلة للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٨٢٣٥٨٠/١ - ص.ب: ٢٧٥/٢٥ - حارة حريك - بيروت

الإهداء

الى

من قدّم أجمل وصف لرواد قافلة الوجود. . .

الى

مَن أعطى الأمة دفعاً حتى لامست آفاق الخلود. . .

الى

مَن شهدت له عوالم الملك والملكوت. . .

الى

قائد الأمة ومؤسس الدولة الاسلامية ومحطم أصنام الجاهلية الإمام الخميني (قده).

أقدم هذا الكتاب سائلاً المولى عز وجل الأجر والثواب. .

المؤلف

«إن شعب اليهود بالنسبة الى عددهم يعدون من أغنى الشعوب القاطنين على ظهر الأرض كافة ولكنهم يعيشون طيلة حياتهم في الشقاء والتعاسة والهوان، وتبدو على ملامحهم الحاجة والفقر والذلة والمسكنة ولا يكون ذلك إلا من وراء الفقر النفسي والذل الروحي»

الامام الخميني (قده)

الأربعون حديثاً ص٢٩١

المصطلحات المستعملة في الكتاب

م. ع. : المرجع عينه.

م. ن. : المرجع نفسه.

را : راجع.

قا : قارن.

ص : الصفحة.

ص. ن. : الصفحة نفسها.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

هذا الكتاب يتناول موضوع الحرب والسلام في الاسلام، وقد ساقنا البحث الى الكلام عنه في كل من اليهودية والمسيحية، وكان من جملة الدوافع لتأليف هذا الكتاب ما يجري اليوم في المنطقة العربية الاسلامية من مفاوضات لترتيب البيت العربي والاسرائيلي كما يزعم القائمون بمهمة تحقيق السلام فيما يسمى بالشرق الأوسط. وبما أننا حريصون على السلام المقدس، وعلى أن تكون العلاقة بين البشر علاقة قائمة على أسس العدل والأخلاق؛ فكان لا بد من الشروع في هذا البحث لأجل إثارة بعض المسائل الهامة حول ما يجري بين العرب وسرائيل تحت شعار السلام، ومن جملة ما بيّناه أنه لا يمكن إقامة سلام عادل ودائم إلا إذا عادت الأرض الى أهلها الأصليين الذين أجبرتهم السياسة الدولية الظالمة في هذا القرن على الخروج

منها. . .

ان السلام في الاسلام حقيقة مقدسة، وهو من أسماء الله الحسنى، قال الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾، وانطلاقاً من كونه كذلك فإنه لا يمكن التصالح على أساس أن تكون فلسطين دولة يهودية يعترف بها من قبل العرب والمسلمين، أو على أساس أن يكون هؤلاء في خدمة العقل الاسرائيلي! لقد نهى الله سبحانه وتعالى عن إلقاء السلام لمن أخرجونا من ديارنا وقاتلونا في ديننا أن نتولاهم، أو أن نجعل لهم سبيلاً علينا، فالحرب ضد هؤلاء إنما تكون من أجل تحقيق السلام على أسس العدل، بحيث تعود الأرض إلى أهلها. واليهود الى حيث كانوا، فإن ذلك مما يقتضيه السلام المقدس. إن معنى أن ندعو الله باسم السلام ان يستمر الصراع الوجودي مع اليهود في فلسطين، وان نعمل بكتاب الله وسنَّة نبيه اللذان يهديان من اتبع رضوانه سبل السلام، وبناء على ذلك، فإن ما تقوم به الأنظمة وتعمل له قد يدفع بالناس الى أن يطلبوا السلام من إسرائيل بدل من أن يتوجهوا الى الله تعالى بطلب السلام منه وسؤاله السلامة في الدين والدنيا والخلاص من كل مكروه، والحق يقال ان ما تسعى إليه اسرائيل هو أن يتحول الناس عن دينهم وعن أهدافهم، فإذا كان بعض الأنظمة يعلم ذلك، فلا عجب إذاً أن تعلن حالة الطوارىء في البلاد، وأن تحدث الفتن فيما بين البشر أنفسهم، وفيما بينهم وبين الأنظمة، وهذا ما هو حاصل اليوم. ان أغلب البلاد تعيش حالة الطوارىء، وقد امتلأت السجون بالمعارضين، وهناك بلاد برمتها قد تحولت الى سجن للأمة وللنظام الحاكم معاً!؟

لا شك ان عدم انسجام الأمة مع الأنظمة فيما تدعو إليه هذه الأخيرة من ضرورة الدخول في مفاوضات مع العدو، أدى بشكل أو بآخر الى تحويل

الصراع من صراع وجودي مع إسرائيل، إلى صراع في الداخل هو في أغلب الأحيان يأخذ طابع الفتنة والحرب الأهلية التي لا بد أن تؤدي ـ فيما لو استمرت ـ إلى خسارة جميع ما تبقى لديهما معاً من معنويات وماديات وهي قليلة جداً فيما لو نظر اليها من زاوية عدم الانسجام بينهما فيما يعود الى عدة قضايا داخلية. . . مما يعني أن اسرائيل، من خلال المفاوضات الجارية، ومن خلال التناقض الموجود بين مشروع الدولة ومشروع الأمة، تسعى جاهدة لتحويل وجهة الصراع بينها وبين العرب ليصبح بين الأمة فيما بين الجماعات الموالية والمعارضة والتي جميعها ترفع شعار الحرب ضد اسرائيل، وبين هذه الجماعات والدولة القائمة، وبما أن الجميع يعلم بما تسعى إليه إسرائيل، فإنه ينبغي أن لا تعطى إسرائيل فرصة الانقضاض على هذا العالم العربي الاسلامي لتدميره ومسخه وتغيير معالمه في الوقت الذي ينشغل فيه الجميع بتصفية حسابات داخلية يمكن أن تؤجل الى وقت آخر. . .

من حق الأمة أن ترفض عقد الصلح مع العدو، لأنه اختيار لسلام الله تعالى الذي يقضي بعدم موالاة الكافرين والمعتدين، من منطلق ان سلام الله ليس كسلام الناس. فسلام الله تعالى هو التمسك بحبله كما في قوله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾** فإذا قطع هذا الحبل من جهة الأمة، فإن النتيجة ستكون حتماً اختيار سلام الناس الذي لا قيمة وجودية أو أخلاقية له، والذي يمثله قوله تعالى: **﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾**[(١)] .

إن ممارسة الضغوط لإقناع الناس بأهمية الصلح مع إسرائيل، وبأن

(١) ٣/ ١٧٣.

هذا العدو صادق فيما يدعو إليه ويريد إعطاء السلام، هذا كله يمكن القول عنه انه قطع لحبل الله تعالى، واعتصام بحبل الناس الخونة الذين يخوفوننا بقوة إسرائيل وبقدرتها العسكرية الناتجة عن اعتراف العالم بها وتزويده لها بالأسلحة الفتّاكة. . . ! !

إن من يتمسك بحبل الله لا يجب أن يخيفه حبل الناس مهما كان قوياً، . . لأنه حبل مقطوع ولا فائدة من الاعتصام به، قال تعالى: ﴿**لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون، ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس. . .**﴾[(١)] .

فإسرائيل اليوم ليست معتصمة بحبل الله، وبالتالي فإن السلام معها لن يكون سلام الله[(٢)]، وهي في حالة حرب مع الله بما تقدم عليه من اخراج الناس من ديارهم بغير حق، ومن قتالهم في الدين، ومن ارتكاب المجازر بحق المؤمنين في المساجد والمدارس والشوارع وفي كل مكان من العالم، فأمام العرب والمسلمين اليوم خياران بين أن يصدقوا أن لإسرائيل ومن يقف وراءها حبلاً متيناً، وان السلام معها هو سلام الله، وبين أن يصدقوا قول الله تعالى ان هؤلاء ضربت عليهم الذلة، وباءوا بغضب من الله، وكفروا بأنعمه، وقتلوا الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. . . فإذا وقع الخيار

---

(١) ٣/ ١١١ ـ ١١٢.

(٢) يقول المفسرون في معنى: الا بحبل من الله، إلا أن يتوبوا من ضلالهم ويعتصموا بحبل الله وحده، وحبل من الناس، كحبل الولايات المتحدة التي تمد اسرائيل اليوم بالمال والسلاح، ولو تخلت عنها يوماً واحداً لم يكن لها أثر ولا عين، وبما أن أمريكا لم تعد قادرة على تحمل هذا العبء، فإنها تريد لنا ـ من خلال الصلح مع إسرائيل ـ أن نصبح حبلاً يشد بإسرائيل نحو البقاء على حساب وجودنا ومقدساتنا، وما يؤسف له ويعجب منه هو ان البعض قبل بذلك رغم علمه بكل ما يسببه له ذلك من تصارم على جميع المستويات. . . !!!

على تصديق إسرائيل، فذلك مما يمكن اعتباره نهاية للوجود، وختماً على القلوب، وفتحاً للعدو. . أما إذا وقع الخيار على تصديق الله تعالى فيما أخبرنا عنه وأرشدنا إليه، فذلك من شأنه أن يدفع بالعرب والمسلمين الى أن يستمروا في حربهم وفي صراعهم الوجودي مع إسرائيل لما يؤدي إليه هذا الصراع من خير في الدنيا والآخرة، ومن سلامة في الدين والدنيا . . .

ومما تضمنه هذا الكتاب أيضاً، انه ليس من الإيمان في شيء أن تخيفنا قوة العدو الهائلة، وآلته العسكرية الفتاكة بحيث يدفع بنا ذلك الى الاعتراف به» لأن المؤمن سواء مَلِكَ القوة أم لم يملكها لا يحمله ذلك على الطغيان فيما لو كان قوياً ولا على الاستسلام فيما لو كان ضعيفاً حيث قال تعالى: ﴿**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**﴾.

هذا هو معنى السلام في الاسلام، ومعنى أن ندعو الله بأسمائه الحسنى حقيقة وفعلاً، اما ان ندعوه بها قولاً وندعو غيره فعلاً فذاك مما يزيد المبتلى بلاءً، والفقير فقراً، والكافر كفراً وطغياناً والضعيف ضعفاً وحرماناً. . .

لقد دعا هذا الكتاب الى أن نكون مع الله تعالى في جميع أحوالنا، في قوتنا وفي ضعفنا، في انتصاراتنا وفي هزائمنا، وفي كل ما يعرض لنا في حياتنا الخاصة والعامة، دعوة الى أن يكون الناس جميعاً مع الله وفي خط سلامه، أهل التوراة من خلال توراتهم، وأهل الإنجيل من خلال إنجيلهم، وأهل القرآن من خلال قرآنهم، فإذا لم يكونوا كذلك، فكيف يكون السلام سلام الله، والحرب حربه. . .؟

ولئن كانت بعض الأبحاث قد أدت بنا الى اتهام بعض الأنظمة فيما تعمل له وتسعى إليه من خلال دخولها على خط ما يسمى بالسلام والتسوية

وغير ذلك مما لا يليق بهذه الأمة أن تدخل فيه، فما ذلك إلا لأن كثيراً من الحقائق والتجارب قد ولَّدت فينا الشكوك حول ما يجري في ظلمات الخفاء كما حصل في أوسلو. . !؟ وما أكثر الشكوك حول ما يجري في العلن فضلاً عن الخفاء، وكانت النتيجة في بعض الأبحاث أننا قد توصلنا الى اليقين في أن ما يُعمل له الآن من شأنه ـ فيما لو استمر ـ ان ينهي كل أمل بالحياة، وخصوصاً إذا عرفنا أن الهدف الرئيسي من وراء ذلك كله هو أن تُطَبَّع العلاقات مع العدو على نحو يسمح له بأن ينقل المعركة من إطارها العسكري ـ تحت شعار السلام ـ إلى الاقتصاد والثقافة والسياسة والى الدين الذي هو أمانة يقضي السلام مع الله بأن تحفظ وأن تعلن الحروب من أجل حمايتها من التحريف وسوء التأويل إن لم يكن الدفاع عنها بالحجة والبينة ممكناً. . .

واذا كان البحث قد انتهى بنا أيضاً الى القول بأن التوراة المتداولة اليوم هي توراة حرب ولا تعرف السلام، وتوظف في السياسة للعدوان على الآخرين، وان الأناجيل المتداولة تدعو الى الحرب في بعض نصوصها، إلا أنه يراد لها أن تخدم السياسة الدولية تحت شعار السلام رغم أنها في تاريخها لم يتوانَ الحاملون لها والعاملون بها عن شنّ الحروب تطبيقاً لما نسب الى السيّد المسيح في أنه لم يأتِ ليلقى بين الناس سلاماً، بل ليلقى حرباً، فإن كل ذلك أهَّلنا لإطلاق بعض الأحكام التي لا بد من مراجعتها والتأكد من صحتها. لكن في جميع الأحوال لا يسع أهل الإنجيل إلا أن يشاركوا المسلمين في حربهم وثورتهم على الظلم والعدوان، وان لا يعترفوا بإسرائيل ولا يتعاملوا معها لأنه سبق لهم أن أعلنوا الحرب المقدسة ضد اليهود في كل مكان وهذا ما تطالعنا به المجامع المسكونية التي دعت

المسيحيين الى أن يحولوا دون وصول اليهود الى مراكز النفوذ، وقد بلغ الأمر نهايته حينما منع هؤلاء من مشاركة المسيحيين في أي عمل لما هم عليه من فساد في عقائدهم وفي نفوسهم وفي جميع مظاهر حياتهم. . . !؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فرح موسى
في ١٩٩٤/٧/١٢

الفصل الأول

فلسفة السلام ودلالاته بين النظرية والتطبيق

السلام في اللغة

قال ابن منظور في لسان العرب: «وَالسَّلمُ والسِّلمُ: الصُلح. يفتح ويذكر ويؤنث، فأما قولُ الأعشى:

أذاقتهـــم الحـــرب أنفـــاسهـــا　　　وقـــد تكـــره الحـــرب بعـــد السَّلـــمِ

والسَّلمُ والسلام: كالسِّلم» قد سالمه مسالمة وسلاماً. قال أبو كبير الهُذلي:

هـــاجـــوا لقـــومهـــم السَّـــلام كـــأنهـــم　　　لمـــا أصيبـــوا أهـــل ديـــن مُحتَـــرِ

والسِّلم: المسالم. تقول: أنا سلمٌ لمن سالمني...

والسَّلم: الإستسلام. والتسالم: التصالح، والمُسالمة: المصالحة وفي حديث الحديبية: انه اخذ ثمانين من أهل مكة سلماً، قال ابن الأثير، يروى بكسر السين وفتحها وهما لغتان للصلح... وقال الخطابي «انه السَّلمُ بفتح السين واللام، يريد الإستسلام والإذعان، كقوله تعالى: **﴿وألقوا إليكم السَّلَمُ﴾** أي الإنقياد» وهو مصدر يقع على الواحد والاثنين والجمع، وقال

هذا هو الأشبه بالقضية فإنهم لم يؤخذوا عن صُلح وانما أخذوا قهراً، وآسلموا أنفسهم عجزاً، وللأول وجه وذلك أنهم لم يجرِ معهم حرب انما لما عجزوا عن دفعهم أو النجاة منهم رضوا أن يؤخذوا أسرى ولا يقتلوا. فكأنهم قد صولحوا على ذلك فسُمي الانقياد صلحاً. . .

والسلام ـ كما نعلم ـ هو اسم من أسماء الله تعالى، لسلامته من النقص والعيب والفناء، وقيل معناه انه سلم مما يلحق الغير من آفات الغَيرِ والفناء، وأنه الباقي الدائم الذي تفنى الخلق ولا يفنى وهو على كل شيء قدير، ويقال للجنة بأنها دار السلام، لأنها دار السلامة من الآفات. . (١) .

ذكر محمد بن يزيد ان السَّلام في لغة العرب أربعة أشياء، فمنها سلَّمت سلاماً مصدر سلَّمت، ومنها السلام جمع سلامة، ومنها السلام اسم من أسماء الله تعالى ومنها السلام شجرْ، ومعنى السلام الذي هو مصدر سلَّمت انه دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه، وتأويله التخليص، قال: وتأويل السلام اسم الله انه ذو السلام الذي يملك السلام، أي يخلص من المكروه، ابن الأعرابي، السلام الله، والسَّلامُ السلامة، والسلامة الدعاء، ودار السلام دار الله عز وجل: قال تعالى: ﴿**لهم دار السلام عند ربهم**﴾ قال بعضهم: السلام ههنا الله، ودليله: السلام المؤمن المهيمن» وكما روى يحيى بن جابر ان أبا بكر قال: السلام أمان الله في الأرض. . .

وكما ورد في الحديث: ثلاثة كلهم ضامن على الله، أحدهم مَن يدخل بيته بسلام، قال ابن الأثير: أراد أن يلزم بيته طلباً للسلامة من الفتن ورغبة

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٣، دار المعارف، ص٥٧٩.

في العزلة. . .»[1].

باختصار نقول: ان الدلالة اللغوية لكمة إلسلم تتمحور حول الآتي:

١ ـ السلم بمعنى المسالمة.

٢ ـ السلم بمعنى الحياد السلبي أو الإيجابي.

٣ ـ السلم بمعنى الاستسلام والانقياد.

والسلم الذي هو اسم من أسماء الله تعالى، وهناك السلم بمعنى المهادنة أي حالة اللاحرب واللاسلم كالتي كانت قائمة بين العرب واسرائيل طيلة الخمسين سنة الماضية هذا من حيث الدلالة اللغوية، وهي دلالة ـ كما نعلم ـ لا تكفي في تبيان معنى السلام الذي له دلالاته الشرعية أيضاً حيث ان الله تعالى قد سمى نفسه بالسلام. وبما أن اللغة ليست قالباً شكلياً للألفاظ، فإنه يمكن اللجوء اليها والاعتماد عليها في تحديد الموضوعات، وفي معرفة التعبيرات الحضارية، لأنها لا تنفصل عن الحضارة ولا عن الأمة التي انتجت هذه الدلالات وهذه التعبيرات، فالقول بأن اللغة ـ بما هي دلالة حضارية ـ هي احدى المداخل المهمة لمعرفة موقف حضارة ما من بعض القضايا، هو قول حق، لكن رغم كل ما يقال بشأن اللغة، فإنها لا تكفي، وتبقى الحاجة ملحة لمعرفة الكيفية التي تطور بها المصطلح «إذ قد تتطور دلالته اللغوية الى تعبيرات اخرى تتجاوز مجرد الوضع الأول له وهو ما يعرف بالدلالة الاصطلاحية او الدلالة العرفية» والمتأمل لكتابات الفقهاء وتقريراتهم يجدانهم يذكرون دائماً الى جانب المعنى اللغوي المعنى الاصطلاحي الذي لا بد منه في تكامل الرؤية، وهم ـ أي الفقهاء ـ يلجأون دائماً الى القرآن

---

(١) را: ابن منظور، ج٣ ص، ن.

والسنَّة لمعرفة هذا المعنى، وهو ما يسمى بالدلالة الشرعية . . .

إذن الدلالة اللغوية لا تكفي في نفسها لإنجاز رؤية حضارية . أو لاتخاذ موقف من بعض القضايا، والمثال على ذلك هو أننا لا نستطيع أن نحدد معنى السلام من دون الرجوع الى القرآن والسنَّة، وإلى ما اصطلح عليه عند الفقهاء، باعتبار أن أي معنى لغوي لا يجد تكامله في القرآن أو في السنة لا يمكن أن يكون تعبيراً حضارياً، وغالباً ما ينشأ ـ وخصوصاً عند المستشرقين ـ لغط كبير أو خلط كبير بين المعاني اللغوية، كما هو الحال عند المسيحية أيضاً ـ التي عرفت السلام بعدم الحرب، وبأن له قيمة أخلاقية ثابتة لا تزول حتى ولو كان هذا السلام له معنى عدم الحرب فقط؟

من هنا قد يكون من الضروري جداً رفد الدلالة اللغوية بالدلالة الشرعية حتى يستقيم معنى السلام، وكذلك معنى الحرب، ويكونان تعبيران حضاريان في كل زمان، ونقول في كل زمان لأن الدلالة الشرعية صالحة لكل زمان، وهي غير محدودة بحد أو بمكان، أو بزمان، وكيف يكون ذلك والقرآن مطلق، ويقدر الإنسان من خلاله التعبير عن نفسه وعن واقعه بلغة حضارية دائماً . . لأن من لا يلحظ الدلالة الشرعية فيما يعبر عنه من قضايا ومواقف قد يقف به التعبير عن حدود المعنى اللغوي الماضي، وهذا من شأنه أن يقود الى عدم التفاهم بين أمة عبرت الماضي الى الحاضر، وأخرى أمة لا تزال تعيش على هامش دلالاتها التي هي في الحقيقة دلالات خاصة بها وحدها دون غيرها من الأمم، وهذا يدفع بها الى أن تعيش غريبة حتى عن نفسها، إضافة الى ما يمكن أن يسببه لها ذلك من عدمية في عالم يعيش التكامل والتفاعل الحضاري على ضوء الكتاب والسنة .

الدلالة الشرعية لكلمة السلام

إن معنى أن نلجأ الى القواميس اللغوية فقط لمعرفة معنى السلام، معناه الجمود دون بلوغ الجوهر، وما ذكره محمد بن يزيد من أن السلام في لغة العرب أربعة أشياء، نجده قد تجاوز المعنى اللغوي للسلام الى التأويل حيث أنه رأي بأن السلام الذي هو مصدر سَلمت انه دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه وتأويله التخليص، أي ان الله تعالى الذي يملك السلام هو الذي يخلص من المكروه. . .[1].

قال تعالى: ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً﴾[2].

وقال تعالى: ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾[3].

﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم﴾[4].

---

(١) را: ابن منظور، ج٣ ص، ن.
(٢) سورة هود، الآية: ٦٩.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٤.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم﴾(١).

هذه الآيات تشير الى معنى أن يكون للناس سلام في الدنيا. والآخرة، فمن لا يؤمن بآيات الله ولا يتبع رضوانه، فلا سلام له، وقد يظن انه في سلام، لكن لا يقال له سلاماً لا قولاً ولا فعلاً، لأنه في الأصل كافر بآيات الله وتابع لهواه، وما يشاع اليوم من أن الأطراف المتصارعة في الشرق قد اهتدت الى سبل السلام، لا يعني سلام الله، وانما سلام الناس، ظلمات الناس وتأويله أنه لا يخلص من المكروه. ولا يؤدي الى السلامة في السياسة والإقتصاد والثقافة، لا في الدين ولا في الدنيا فالسلامة الحقيقية انما هي لأولئك الذين آمنوا بآيات الله، وهم أولى الناس بأن يقال لهم سلام عليكم. إن السلام الحقيقي يحتاج الى نور، وقد قال تعالى: ﴿قد جاءكم نور وكتاب مبين﴾ وعلى ضوء ما تقدم سنحاول فهم السلام الإلهي والأمن الإلهي والهيمنة الإلهية التي القت على الرسل والأنبياء من الأمن والسلام ما مكّنهم من التحقق في الوجود، قال تعالى: ﴿سلام على نوح في العالمين﴾(٢) ﴿سلام على ابراهيم﴾(٣) ﴿سلام على موسى وهارون﴾(٤) ﴿سلام على آل ياسين﴾(٥) ﴿وسلام على

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٥ ـ ١٦.
(٢) ٣٧/ ٧٩.
(٣) ٣٧/ ١٠٩.
(٤) ٣٧/ ١٢٠.
(٥) ٣٧/ ١٣٠.

المرسلين﴾[1] ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن﴾[2].

إن المعنى المتداول اليوم عن السلام هو ما ابتدعه الناس من معاني أرضية وضعية غير مستقاة من المصدر الحقيقي للسلام، فهذا السلام له معناه الإلهي قبل أن يكون له أي معنى آخر، فاليهودية مثلاً لم تتحدث عن السلام بالمعنى الإلهي، وكذلك المسيحية، فأهل التوراة والإنجيل، ولا نقول التوراة والإنجيل، لا يتحدثون عن السلام الإلهي، ويقتصرون في التعبير وفي الدلالة على المعنى اللغوي الجامد، وإذا صحَّ التعبير نقول الأرضي، كما أنها لم تبحث عن المعنى الكامل لهذا الاسم، على الرغم من أنه يوجد شيء من الكمال في التوراة والإنجيل المتداولان اليوم، واذا شئنا أن نتعرف على معنى السلام العملي في التوراة الحقيقية، فلا نجد هذا المعنى كاملاً فيه، ولا في الإنجيل، فيه شيء من الكمال وليس كل الكمال فيه شيء من الحياة، وليس كل الحياة، نحن لا نجد هذا الإسم كاملاً إلا في القرآن حيث قال تعالى ﴿السلام المؤمن المهيمن...﴾[3].

إن العقل البشري في زمان التوراة والإنجيل لم يكن قادراً على استيعاب معنى السلام الإلهي، تماماً كما لم يكن قادراً على النهوض بأعباء الرسالة الكاملة حيث قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[4].

---

(١) ٣٧/ ١٨١.
(٢) ٥٩/ ٢٣.
(٣) ٥٩/ ٢٣.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

فكمال الدين وتمام النعمة، إنما هو في القرآن، لا في التوراة ولا في الإنجيل، وهذه الكتب حفظها القرآن وهيمن عليها وهو يتضمن كامل معانيها، إنه كتاب كامل على الصعيد النظري، بينما سائر الكتب السابقة له لم تكن كذلك مما يعني أن كافة الدلالات يجب أن تستمد معناها من القرآن الكريم المهيمن على سائر الكتاب كما في قوله تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه. . .﴾**(١) .

إذن الدلالة الشرعية لكلمة السلام ينبغي أن تلحظ في سياق التعبير القرآني مع الاحتفاظ بكامل المعنى اللغوي الناقص من جهة نفسه. . .

وهنا نشير الى دقيقة هامة من دقائق العلم الرباني، وهي ان الانجيل والتوراة لم يتضمنا الدعوة الى كافة الخلق كما في القرآن الكريم الذي قال: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا نتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾**(٢) .

إن عدم هذا الخطاب في الأديان السابقة، ووجوده في القرآن، إنما هو دليل واضح على ما يتميز به هذا الكتاب من كمال عن غيره من الكتب. . .

ومن الدقائق التي يمكن أن يشار إليها أيضاً ان الله تعالى كان سلاماً ومهيمناً قبل القرآن؛ كان كذلك قبل أن يكون معه شيء وسيكون كذلك بعد فناء كل شيء، إلا أنه لم يذكر أنه السلام المؤمن المهيمن كما ذكر في القرآن، مما يدل على أنه لا بد من اعطاء السلام معناه الواقعي بعد التعرف على معناه الإلهي بمعنى ان تلحظ الكتب في سياق هيمنة القرآن عليها، ثم

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٤ .

ترجمة ذلك عملياً حتى يمكن الاهتداء الى سبل السلام، وهذا ما يمكن أن نتلمسه من قوله تعالى: ﴿السلام المؤمن المهيمن﴾[1] حيث أنه عز وجل وصف نفسه بالمهيمن، ووصف كتابه بالمهيمن أيضاً، وصف نفسه بالسلام، ويهدي كتابه الى السلام أيضاً نظراً لتقديم السلام على الأمن والسيطرة. كما أنه وصف نفسه بالأمن، ويوصف كتابه بالأمان أيضاً، حيث قال تعالى: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا..﴾[2].

وهنا نكتة هامة نلفت إليها، وهي أنه تعالى كان مهيمناً ولم يصف التوراة بالهيمنة، وكان سلاماً، ولم يصف التوراة ولا الإنجيل بالسلام، وكان أماناً، ولم يصف التوراة والإنجيل بالأمان على نحو مطلق، وذلك كله يهدي الى معاني جليلة جداً، منها ان الإنجيل والتوراة ليسا كاملين، وهما عبارة عن توصيات وإرشادات وليس فيهما من التشريع ما يكفي للإنسان في الزمان، هما كتابان يتضمنان ما كان يحتاج اليه البشر في زمان أنبياء الله عيسى وموسى عليهما السلام. وإذا كان الله تعالى هو السلام المؤمن المهيمن، فإن معنى أن يصف نفسه بالسلام والأمن والهيمنة في الكتب السابقة على القرآن مخاطبة العقل بما لا قدرة له على فهمه، بمعنى آخر أن الكتب المقدسة السابقة على القرآن هي متضمنة لمعنى الهيمنة إلا أنه لم يكن بالإمكان الشعور بها عملياً نظراً لعدم وجود كتاب مهيمن لأن ما يوجد في التوراة أو في الإنجيل لا يؤهل الناس للسلام التام، ولا للأمان التام. كما أنه لا يوجد فيهما ما يؤهل الناس لأن يكونوا أمة وسطاً وشهوداً...

---

(١) ٥٩/٢٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

ان الله سبحانه وتعالى وهو الحكيم العارف بعباده، العليم بما كانوا عليه وبالذي سيكونون عليه في المستقبل، علم ان العقل البشري في ذلك الزمان يحتاج الى هذا القدر من المعرفة والعلم، ولما أصبح العقل البشري مؤهلاً لاستيعاب القرآن، ولمعرفة السلام والأمان والهيمنة بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالرسالة المتضمنة للشريعة وللأحكام التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يحقق السلام التام، والأمان التام، والهيمنة التامة، كما قال تعالى: **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾**(1). إن الله تعالى وصف نفسه بما هو أهل له في جميع الكتب المنزلة من لدن حكيم، لكنه سبحانه وتعالى لم يعط الهيمنة إلا للقرآن الكامل على المستوى النظري، وهذا يعني فيما يعنيه أنه تعالى ـ كونه قدم السلام على الهيمنة ـ أعطى السلام أيضاً، وجعل له ابواباً إذا دخل الإنسان منها لا بد أن تؤدي به إلى الأمن والهيمنة؟ إذ انه يستحيل الوصول إلى ترجمة النظرية الكاملة فيما لو دخل الإنسان من أبواب ما انزل الله بها من سلطان. لذا فإن هيمنة القرآن تقضي بأن يدخل الناس من الأبواب الحقيقية للسلام وهم الأنبياء والأئمة عليهم السلام الذين يمثلون القرآن العيني، وهنا لا بد من الربط بين قوله تعالى: **﴿لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾**(2)، وبين قول المعصوم عليه السلام: «لو أحبني جبل لتهافت»(3)، وهذا ما سنشير إليه في ابحاث لاحقة إن شاء الله تعالى.

---

(1) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(2) سورة الحشر، الآية: ٢١.

(3) الغرر والدرر، للآمدي، ٥/ ١١٤، وراجع نهج البلاغة، قصار الحكم (١).

فلسفة السلام في الإسلام

١ ـ الأبعاد الحقيقية للسلام:

من الدقائق اللطيفة في كتاب الله تعالى انه قدم السلام على الأمن والهيمنة، حيث قال تعالى: ﴿الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن..﴾ وبما أنه لا يوجد في كتاب الله تعالى تقديم وتأخير إلا وله معنى سواء في عالم اللاهوت أو في عالم الناسوت، فإننا لا نستطيع أن نفهم معاني هذه الأسماء الحسنى على نحو ملكوتي لاهوتي محض، بل يمكن أن يستفاد منها معانٍ واقعية أيضاً وذلك من جهة دلالاتها وانعكاساتها وتواصلها مع الدنيا والآخرة، فهي ليست لعالم دون آخر أو لحياة دون أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[١].

إن الله سبحانه وتعالى لم يرد لنا أن نردد هذه المعاني فقط إدراكاً منا لقدسيتها دون أن نعرف معانيها الكاملة في عالم الملك قبل عالم الملكوت، باعتبار ان الدعاء بها من شأنه ـ فيما لو صفى القلب ـ ان يحملنا على التفقه

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

فيها لأجل استحضار ذلك المعنى الخالد لها في الدنيا والآخرة؛ فهو السلام ليس في الدنيا فقط بل في الآخرة أيضاً، ومن لم يسلم في الدنيا في طاعة الله تعالى، فلن يسلم في الآخرة، وما يتعرض له الإنسان في الدنيا من آفات وأمراض لا ينافي هذه السلامة، لأن ما يعتبره الانسان سلاماً لنفسه قد لا يكون سلاماً حقيقياً، كون الله تعالى هو الذي يُعطى السلامة في الدين والدنيا ويعرف كيف يعطيها ومن أجل ماذا يقدمها للإنسان، وهذا ما لا يمكننا الخوض فيه لأنه من حقائق الملكوت، لكن علينا أن نعلم ان ما نقص في الدنيا وزاد في الآخرة خير مما زاد في الدنيا ونقص في الآخرة فكل منقوص رابح وكل مزيد خاسر كما جاء على لسان المعصوم عليه السلام .

فما نعرفه هو ان السلام من الله والى الله، وقد سميت جنته بدار السلام، وكتابه هو كتاب السلام، وقد جعل السلام أساساً في العلاقات مع البشر وفيما بينهم، كما في قوله تعالى: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين**﴾ فالسلام إضافة الى معناه الملكوتي له معاني ملكية أيضاً يمكن أن تستحضر حين الدعاء به، من هذه المعاني ان سلام الناس في الدنيا والآخرة، إنما يكون في طاعة الله تعالى، والاعتصام بحبله، لأنه حبل ممدود بين عالم الملكوت وعالم الملك، فمن لا يعتصم به فلا تكون له السلامة لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأن مَن يقطع هذا الحبل من جهته يخلد الى الأرض وأهلها ويحال بينه وبين أن يكون له سلام وأمن وحرية. . . ومن جملة ما يمكن تبيانه هنا هو أن هذا الاعتصام بحبل الله لم يكن ممكناً بمعزل عن الأنبياء والأئمة عليهم السلام الذين هم أبواب أمنه وسلامه وهيمنته العلمية، ونقول العلمية لأن الهيمنة الوجودية كانت قبل أن يكون الخلق، وكانت

معهم وستبقى بعدهم. إن الله سبحانه وتعالى كان موجوداً وعالماً قبل الخلق ومهيمناً وقد رأى الناس هذه الهيمنة الوجودية والعلمية لله سبحانه وتعالى من خلال كتابين هما كتاب التكوين وكتاب التشريع ، وبما ان القرآن هو خاتم الكتب. فقد أراد سبحانه أن تكون له الهيمنة بالقرآن على سائر الكتب، مع بقائها على قيمتها لما هي عليه من قداسة في ذاتها لكنها ليست مظهراً تاماً للإسم المهيمن كما هو القرآن ولهذا فإن الذين يقومون به ويلتزمون بترجمته لا بد أن تكون لهم الهيمنة على سائر البشر أيضاً، لأنه كتاب فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وما أنتم فيه وعليه وحكم ما بينكم»[1] .

هذا الكتاب دعا الى السلام وجعله أساساً في العلاقات بين البشر، وتبيان ذلك لا يكون لأي إنسان اتفق، بل له أبواب حقيقية لا بد من الدخول منها لمعرفة أسرار هذا السلام المقدس في الأرض والسماء، وبما أن الروايات تشير الى أن الأئمة عليهم السلام هم أبواب هذا السلام، فإن أحداً لا يستطيع أن يطلب السلامة من أحد إلا منهم لأنهم أبواب هذا السلام. أجل لم يكن ممكناً ترك الكتاب المهيمن دون قيِّم يفسره على نحو يسمح للجميع بأن يسلكوا سبل السلام من الدنيا الى الآخرة، باعتبار أن الله سبحانه وتعالى دخل الى الزمان من خلال هؤلاء لاستحالة أن يكون الله تعالى في زمن أو مكان من حيث كونه فوق الزمان والمكان وخالقهما فهو السلام بالمعنى الملكوتي من حيث يعطي السلامة في الوجود ومن حيث كونه بريئاً من النقص والآفات وكما جاء في الحديث القدسي «خلقت الخلق كي أعرف كي يعرف أنه السلام المؤمن المهيمن من خلال من جعلهم واسطة بينه وبين خلقه وهو السلام بالمعنى الملكي الواقعي (في الدنيا) من خلال الأنبياء

---

(١) نهج البلاغة قصار الحكم ٢١٣.

والأئمة عليهم السلام لأنهم حاملو الرسالة وتراجمة الوحي، ولا سلامة للبشر فيما لو خرجوا عليهم وأظهروا المعصية لهم، ولن يكون لهم الظفر بالسلامة فيما لو عصوا لقوله عليه السلام «فإنك لم تظفر حيث ظفرت بك المعصية والآثام، ما ظفر من ظفر الآثم به...»[1].

فإذا عرفنا هذا، فإنه يمكن بعد ذلك أن نعرف بأنه ما لم يهيمن الكتاب، لن تكون هناك سلامة ولا أمن للبشرية، وبما أن الهيمنة لا تتم إلا إذا دخل الناس من أبواب المعرفة والأمن والسلام، وبما أن الأئمة عليهم السلام هم أبواب السلم والأمن، فإنه كان لا بد من أن يأتي اسم السلام مقدماً على الأمن والهيمنة، لقوله تعالى: ﴿**فأتوا البيوت من أبوابها...**﴾[2] فالعلم يُؤتى من بابه لقوله عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها...» ومن كل هذه الروايات التي لا تعد ولا تحصى نعرف بأن الأئمة عليهم السلام هم أبواب العلم والسلم والأمن والهيمنة لكتاب الله تعالى، والحق يقال انه منذ غُيّب هؤلاء وحيل بينهم وبين أن يكونوا مسؤولين عن الواقع هيمنت عليه الأفكار الوضعية وقوانين وتشريعات ما أنزل الله بها من سلطان، مما أدى الى مزيد من الحروب والفوضى والمصائب، وإلى أن تقوم العلاقات بين البشر على مبدأ القوة واللاأخلاق وغير ذلك مما صنعته شهوات الإنسان وأنانيته السلبية التي جهدت من أجل الفصل بين الدنيا والآخرة...

لا شك ان الناس بفطرتهم يريدون سلام الله لكن كيف يريدونه من دون أن يعلموا أبواب هذا السلام؟ فإذا كانوا يريدونه وهم على جهل بكل ذلك، فإنهم لن يحصلوا على السلام الذي يريده الله لهم، لأنه تعالى أمرهم بأن

(١) نهج البلاغة قصار الحكم ٣٢٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

يطيعوا الرسول وأُولي الأمر لما تؤدي اليه هذه الطاعة من معرفة وعلم بكل أبواب الحياة الدنيا والآخرة، ولما تؤدي اليه هذه المعرفة من سلامة وأمن وهيمنة لإنسان عبد الله حق عبادته، وجاهد في الله حق جهاده. . .

إن ما يؤسف له ويعجب منه هو أن العالم اليوم وبخاصة العربي، يريد سلام الله تعالى، لا من خلال ما أمره الله به ونهاه عنه، بل يريده من خلال نفسه بمعزل عمن انتدبوا لرعايته في جميع أموره وشؤونه، كما أنهم يريدون هيمنة الكتاب على أساس أن يكونوا هم القيمين على تأويله وتفسيره باعتبارهم ـ كما يزعمون ـ من أُولي الأمر الذين أوجب الله طاعتهم، وهذا كله أدى الى الوقوع فيما وقعوا فيه من بلاء وسلام لا قيمة أخلاقية له لا في الأرض ولا في السماء. انه سلام أبوابه الشهوات والملذات وحب السلطة، فضلاً عن حب الدنيا، وليس له أي باب مقدس لأنه يهدف الى تجهيل الناس، وإلى إبعادهم عما لهم من حقوق، وهنا يتجلى الفرق بوضوح بين سلام الله وسلام الناس. ان الله تعالى يريد من خلال سلامه أن يكونوا أحراراً وأسياداً. بينما سلام الناس يريد لهم أن يكونوا عبيداً وأقزاماً وخداماً لشعب لا خلاق له في الدنيا ولا في الآخرة. سلام الله يهدف الى أن يكون الكتاب العزيز مهيمناً على سائر الكتب، في حين ان السلام الذي يعمل له هو يهدف الى أن تكون سائر الكتب الوضعية واللاأخلاقية التي لا تتمتع بأية قيمة مهيمنة عليه، إذا لم يكن الهدف منه القضاء عليه نهائياً، وهذا ما لا قدرة لهم عليه لأن الله المهيمن وجودياً أراد لكتابه المقدس أن يكون مهيمناً وسيحول بينهم وبين أن يقدروا على ذلك وقد عبر عن هذه الحقيقة بقوله تعالى: **﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**[1] . إذا أراد العرب والمسلمون سلاماً

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

حقيقياً، فما عليهم إلا أن يدخلوا من أبواب هذا السلام المقدس الذي يريده الله وسمى نفسه به، السلام الذي بين معالمه في كتابه العزيز، السلام الذي يحفظ حرية وكرامة وسيادة الشعوب على أرضها، كما أن عليهم أن لا يدعوا القيمومة على كتاب الله تعالى وولاية الأمر لأن ذلك من شأنه أن يدفع بهم الى اعتبار انفسهم أبواباً لسلام الله وهم أبعد ما يكونون عن ذلك، فادخلوا من أبواب السلام الحقيقية التي تؤدي بكم الى الهيمنة بما أنزل من تشريعات وقوانين تضمن لكم السلام والأمان والهيمنة العلمية بحيث تكونوا ممن قدسهم الله بقوله: **﴿كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله. . . ﴾**(1).

ان السلام بما له من معاني وجودية لا يمكن العمل له على أساس أن الناس كل الناس هم أصحاب الشأن في عقد هذا السلام مع الأعداء لأن هكذا سلام يفتح باب الشرور على الأمة الى يوم القيامة، وعلى الحكام ان لا يتحملوا وزر ادخال الأمة الى السلامة من أبوابهم ما داموا يعلمون ان لهذا السلام أبوابه الحقيقية وأهله الذين جعلهم الله على مكانة عظيمة، فإذا أردتم أن تكونوا في حرب مع الله ورسوله بمسالمتكم لأعدائه فكونوا، لكن دعوا الأمة تحقق سلامها بنفسها مع الله والعالم، كونها تعلم بأن الخطاب الإلهي الى الرسول ﷺ **﴿وان جنحوا للسلم فاجنح لها﴾** هو من بعد الرسول والأئمة عليهم السلام لها ولا يحق لأحد أن يقوم مقامها في تحديد معنى السلام وفي تقريره كما أنها تعلم أيضاً بأن السلام الحقيقي هو: ان يرد الناس الأمر الى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم، وبما أنه لا يحق لأي كتاب غير القرآن أن يكون حافظاً ومهيمناً، فكذلك لا يحق لأي إنسان أن يحتكم الى أي كتاب

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

غيره في تقرير معنى السلام.

كتب م. غودفروا ديمونبين يقول: «لقد أدى تغيير القبلة الى عزل المسلمين عزلاً تاماً عن اليهود والنصارى، فالنبي لن يقبل بعد الآن أن يفسر أي منهم الكتاب المقدس على أي ضوء آخر غير ضوء القرآن... ويستثني القرآن اليهود والنصارى الذين يتقيدون في تفسيرهم لأسفار موسى الخمسة وللإنجيل بالقرآن[1].

إن هذا مما تقتضيه هيمنة القرآن باعتباره كاملاً على الصعيد النظري، وحافظاً للتوراة والإنجيل، فالعاقل لا يسعه إلا أن يقبل بالنظرية الكاملة التي فيها إجابات عن كل ما يعرض للإنسان في حياته الخاصة والعامة، وبما ان التوراة والإنجيل لا يتضمنان ذلك، فإنه من الطبيعي، بل من العقلانية أن لا يؤخذ بأي تفسير لها لا ينسجم مع ما جاء في خاتم الكتب... فالنبي ﷺ لم يحل بين اليهود والنصارى وكتبهم، بل حال بينهم وبين أي تفسير لها يتعارض مع مضمون الحقيقة القرآنية.

يقول الشيخ الآملي في معنى هيمنة القرآن على سائر الكتب: «... ان القرآن العلمي مظهر تام للإسم المهيمن، لأن المهيمن من الأسماء الحسنى لله تعالى ومن الأوصاف الكمالية للقرآن الكريم. قال سبحانه: ﴿... **الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن**﴾.

وقال تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه**﴾.

---

(١) را: رودنسون ـ محمد، باريس ١٩٦٨. نقلاً عن تعدد الأديان. جورج قرم. م. س. ص١٩٩ (الهامش).

والهيمنة الوجودية انما هو بكون المهيمن واجداً لجميع الكمالات التي هي لما في صورة هيمنته وسيطرته ونفوذه، كما ان الله سبحانه كذلك بالذات مقيساً الى جميع ما سواه، والقرآن الكريم أيضاً مسيطر بالقياس الى جميع الكتب السماوية، إذن له عدا التصديق والتأييد هيمنة على تلك الكتب وحيطة على المعارف السامية التي لم تحتوِ عليها تلك الكتب، بحيث ليس في وسع الانسان المتكامل النيل على مرتبة وجودية بالعلم إلا وقد اشتمل عليها القرآن، وإلا لما كان خاتم الكتب ولما كان خالداً بحياله أبدياً. اذا فرض ان هناك مقاماً وجودياً لا يهدي إليه القرآن لعدم احتوائه فيلزم إتيان كتاب آخر وهو محال بعد افتراض ختم الكتب بالقرآن... فالقرآن العلمي مظهر تام لله سبحانه من حيث كونه مهيمناً على غيره من الكتب...»[1].

إذن الله تعالى هو المهيمن، وهو السلام، وهو المؤمن، والقرآن كذلك ـ كما وصفه الله ـ هو المهيمن، وهو السلام، وهو الأمان...

هو المهيمن لأنه مشتمل على جميع الكتب السماوية ومؤيد لها، وهو السلام لأن العمل به والرجوع إليه والاعتماد عليه من شأنه أن يحقق السلام والأمان في المجتمع، وما نقل عن ابي بكر قوله: «السلام هو أمان الله في الأرض» قد يكون متضمناً لهذا المعنى ومفيداً له، ان القرآن وتحكيمه في حياة الناس أفراداً وجماعات ومجتمعات من شأنه أن يجعل الأرض آمنة، والناس سالمة، وما يعيشه العالم اليوم من فساد، ما هو إلا نتيجة لابتعاد الناس عن كتاب الله تعالى، ونتيجة لرجوعهم في اختلافاتهم الى أنفسهم، بحيث انهم بدأوا يعطون سلام الناس طابعاً مقدساً، تحت تأثير هوى النفس

(١) جوادي آملي، علي بن موسى الرضا والقرآن الحكيم، دار الصفوة، بيروت ط١، ١٩٩٤ ص٢٨.

والمصالح الشخصية والأنانية السلبية. . !؟

إن الرد الى الله ورسوله، كما في قوله تعالى: **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول﴾**(1) هو الذي يضمن السلام والأمان للبشرية، وهي حينما ترجع الى كتاب الله لا بد أن تعرف سبل السلام، لأنه كتاب يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور، وبمجرد أن تختار البشرية كتاباً غير كتاب الله، فإنها ستدخل في الظلمات حتماً. . .

إن البحث عن السلام خارج كتاب الله تعالى، والقبول بهيمنة أعداء الله لا يمكن أن يؤدي الى سلام الله، وأهل الكتاب حينما يدعون الى الحقيقة القرآنية، هم إنما يراد لهم أن يكونوا سالمين وآمنين، وليس من أجل أن يكونوا ضعفاء ومحرومين، لأن هيمنة القرآن العلمية تضمن للناس العزة والكرامة والسلام في كل زمان ومكان، ومن الغريب فعلاً أن يعمد البعض الى تبرير ما يجري اليوم تحت شعار ما يسمى بالسلام من خلال الآيات القرآنية وتأويلها بطريقة تتناسب مع هذا الفريق أو ذاك، أو مع هذه الدولة أو تلك، ان سلاماً يراد منه هيمنة عدو الله لا يمكن أن يكون سلاماً إلهياً ولا يقبل به المؤمنون سواء كانوا هوداً أو نصارى أو مسلمين، فالقول بأن بعض الآيات القرآنية التي تدعو الى الحكم بما أنزل الله، هي آيات غير مطلقة وخاصة بزمن دون آخر(2)، أو شعب دون آخر لا يمكن قبوله، لأن الهدف

---

(1) سورة النساء، الآية: 59.

(2) في القرآن الكريم، سورة المائدة/47 **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾** فالمفتي جاد الحق في نقده لبعض الأطروحات في كتاب الفريضة الغائبة ولبعض التفسيرات، يقول في تفسير سورة المائدة الآنفة ان السياق يدل على ان المخاطبين هم اليهود الذين كانوا بالمدينة، والذين لم يكونوا يحكمون بالتوراة أيام النبي (ص) ولا شأن لها بحكام الوطن العربي اليوم، اذ في الآية نفسها ذكر للربيين

من هيمنة القرآن أن يكون حاكماً في الزمان، فمن الحكمة اذن أن تدعو هذه الآيات في ظل الهيمنة الوجودية والعلمية لله تعالى إلى الحكم بما أنزل الله تعالى، مما يعني أنه لا وجه شرعي لأي سلام يبرىء الذين يحكّمون أنفسهم ويقفون بالآيات القرآنية المطلقة عند حدود الماضي، أو عند شعب من الشعوب، فإذا أردنا السلام فلنرد الإسلام كما هو بعيداً عن هوى النفس وعن أهواء السياسة والسياسيين، وليكن أول عدلنا نفي الهوى عن أنفسنا.

ومن وجوه الدلالة الشرعية للسلام أيضاً ما حكاه ابن قتيبة من أن الجنة هي دار السلام والسلامة من الهرم والاسقام والآفات لأنها دار الله تعالى، وبما أن الجنة هي كذلك، وبما أن الله تعالى قد أمر بالإيمان والعمل الصالح من أجل الوصول اليها والحلول فيها، فإن ذلك لن يحصل من دون الإرشاد والهداية الى السبيل المؤدية اليها، باعتبار أن الله تعالى قد أمر بالصلاة وبما أن الصلاة لا تتم من دون وضوء، فكذلك الجنة لا يمكن الوصول اليها دون عمل وتقوى: فلكل غاية طريق، فإذا كانت غاية الناس هي السلام والسلامة أي الجنة والبراءة من الهرم والاسقام والنقائص، فإن الطريق المؤدي الى ذلك هو العمل بكتاب الله تعالى (بما هو كتاب مهيمن)، وطاعة الله تعالى في السراء والضراء ـ بما هو سلام مؤمن مهيمن ـ فإذا انعدمت الطاعة وعمل بأحكام من صنع البشر، فإن الناس لن يصلوا الى دار السلام والأمان وإذا

والأحبار اليهود والضمير يعود في (يحكم) عليهم، را: مجلة الاجتهاد، العدد الثاني عشر، ١٩٩١، ص١٣٨.

بينما هناك فقهاء آخرون يرون بأن الآية مطلقة، وان اقتصرت في المقام على اليهود فقط، يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره «والآيات الثلاث، عنى قوله: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. فأولئك هم الظالمون، فأولئك هم الفاسقون﴾ آيات مطلقة لا تختص بقوم دون قوم وإن انطبقت على أهل الكتاب في هذا المقام... را: الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص٣٥٦.

كان ظنهم بأن أي عمل قد ينتهي بهم الى هذه الدار الخالدة، فهذا الظن سيؤدي بهم الى جهنم التي لا سلام فيها ولا أمان، باعتبار ان هذا الظن لا يغني عن الحق شيئاً، ويكون حالهم كحال من يسعى الى الصلاة من غير وضوء، وهذه الصلاة فيما لو تمت فهي باطلة لأن الناس أسقطوا مقدمة الواجب، وكما يقول الأصوليون: إن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالجنة لها مقدمات، ومن مقدماتها الطاعة لله والعمل الصالح والتقوى، فإذا سقطت هذه سقطت النتيجة التي هي السلامة. الله هو السلام في الدنيا والآخرة، وهذا السلام له مقدمات الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر أئمة أهل البيت عليهم السلام، فانعدام الطاعة من شأنه خسارة السلام الحقيقي، لأن الله تعالى جعل الأئمة أبواباً لهذا السلام، وكما يقول الإمام عليه السلام في معنى الطاعة وما تؤدي اليه من سلام في الدنيا والآخرة: «لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه بهم عُلم الكتاب وبه عُلموا...»[1].

أجل إن من يسلك سبيلاً غير القرآن أو يتبع السبل التي تفرق عن سبيله، يكون قد أدخل النقص والفساد على نفسه ودينه، وعلى كيانه العبث والعدمية والصهيونية وغير ذلك من سبل الباطل... فالدلالة الشرعية لكلمة السلام هي هذه، ان لا يقتصر على الدلالة اللغوية، بل يجب أن تتطور هذه الدلالة الى تعبيرات اخرى حتى يتكامل معنى السلام، ويكون له معناه الحضاري...

لقد درج الباحثون على تعريف السلام بما هو سلام أرضي مقابل لكلمة الحرب، ولم يعطوه معناه الحقيقي في البحث من خلال تناول السلام

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٢.

المقدس الذي يجب أن يهيمن على هذا العالم من خلال الكتاب العزيز.

فالباحثون اقتصروا في الكلام على السلام بمعنى المسالمة، والإستسلام والهدنة، وعدم الحرب وغير ذلك مما يتضمنه هذا المعنى شكلاً ومضموناً. أما نحن في هذا الكتاب، فقد أردنا تناول السلام من أعلى، من الوجود المقدس ومن لدن الهيمنة الوجودية، الى أسفل، الى هذه المعاني المعبر عنها لغوياً بتعابير شتى، والذي يمكن الاشارة اليه هنا هو ان ما ورد في لسان العرب في معنى السلام كله قرن بالحديث عن السلام بما هو بقاء وخلود وبراءة من النقائص والآفات، مما يعني انه لا بد من سلام حقيقي يضمن للإنسان حقه في الدنيا ويعطيه أبعاده الحقيقية حتى يتسنى له البلوغ الى مقام وجودي لا موت ولا سقم فيه، فإذا كان العمل من أجل السلام في الدنيا ـ انطلاقاً من كونه قاعدة أساسية ـ مطلوباً ومحبوباً لدى الفطرة الانسانية، كما في قوله تعالى: ﴿**كتب عليكم القتال وهو كُرهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾[1] فلا يعني ذلك القبول بأي سلام قادم من هنا أو من هناك بل يعني ذلك ان نبحث عن السلام الإلهي المهيمن المؤمن الذي يضمن لهذه الأمة حقها ويحفظ لها موقعها الوسط وشهادتها على الناس. إن الأمة المجزأة لا تصنع سلاماً وأمناً، بل تصنع حروباً وفساداً وهلاكاً، وفي النهاية فناءً محققاً... فالأمة الواحدة، هي أمة السلام والهيمنة والخير والقداسة والحضارة ولهذا قرن الله سبحانه وتعالى بين هذه الأمة وبين عبادته، كما في قوله تعالى: ﴿**ان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدونِ**﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

مفهوم السلام عند العرب

سؤال وجواب حول قضايا الساعة:

ما هي فلسفة هذا السلام، وماذا يراد من خلاله، هل يتم على أساس الحقوق المتقابلة؟، وهل العرب والمسلمون في وضع يسمح لهم بترجمة هذا السلام، وهل يمكنهم من خلاله تأكيد ذواتهم وحفظ حقوقهم والذود عن أوطانهم؟؟

ماذا نقول عن هذا السلام الذي هو ضد السلام ضد الله تعالى فالسلام على الأرض يجب أن يكون مرتبطاً ومتواصلاً مع السلام في السماء، في حين أننا نجد ان السلام المزعوم يراد منه قطع التواصل واحداث تصارم وجودي عميق بين الله ومخلوقاته من خلال اتخاذ أعدائه أولياءً من دون الله تعالى باعتبار أنه لا يمكن الادعاء بأن موالاة إسرائيل شيء وموالاة الله شيء آخر، لأن القرآن الذي أمر الله تعالى بتحقيق السلام من خلاله قال بوجوب إظهار العداء لهؤلاء وعدم موالاتهم، حيث قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه**

منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾[3] .

هذا هو مفهوم الفلسفة الإلهية للسلام وهو يتناقض في الجوهر مع مفهوم الفلسفة الوضعية المادية له، فهذه الفلسفة تقول بأن إسرائيل أصبحت حقيقة واقعية وبالتالي فإنه يمكن إقامة السلام معها! في حين ان الفلسفة الإلهية للسلام لا يمكن أن تقر بهذا الواقع لما يمثله هذا الواقع من باطل وشر، ومن مسؤولية الحكام العرب أن لا يقرّوا بهذا الواقع بل عليهم أن يغيروه، أو على الأقل أن لا يعترفوا به ويمكن أن يمثل على ذلك بإنسان لا يريد أن يؤمن بالله ويدعونا الى ذلك، فهل تقبل دعوته؟ أم اننا نحافظ على إيماننا؟

لا ندري كيف نفهم سلام الحكام العرب مع قوم غضب الله عليهم، سلام يراد منه ان تهيمن اسرائيل على المنطقة بكاملها، وان نقلع عن إدانتها، وان نبقي عليها لذاتها في الوقت التي تمثل فيه كل الشر والعدوان على الإنسانية، فالعاقل لا يستهجن رغبة العرب بالسلام مع أي شعب من الشعوب باعتبار أن دينهم يأمرهم بذلك، لكن أن يكون السلام مع اليهود في

---

(١) ٥/٥١.
(٢) ٦٠/١٣.
(٣) ٣/١٢٨.

فلسطين، فهذا ما يحمل المرء على الاستهجان، وهذا له ما يبرره انطلاقاً من المعرفة المسبقة بحالة هؤلاء في جميع المراحل التاريخية التي مروا بها!! فأي إيمان هذا يدفع اليوم الى تغيير هوية فلسطين!؟ وإذا كان سلام ياسر عرفات قد سمي بسلام الشجعان، فما يقال عن سلام إسرائيل إذن!؟

كما أننا لا ندري ما إذا كان بعض العرب والمسلمين قد اطمأن الى دعوة إسرائيل، والى حسن نواياها في ترجمة السلام حتى على أساس وجودها في فلسطين؟

لقد تبين في البحث السابق ان أي سلام يتم من خارج القرآن لا يمكن أن يتحقق، لأن كتاب الله يتضمن حقائق وجودية هامة بشأن اليهود وغيرهم، فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أمر بعدم موالاة اليهود، وبعدم الاطمئنان اليهم، وبإعداد العدة لهم، وإذا كان الله تعالى قد بين في محكم كتابه ان هؤلاء فيما لو اقاموا دولتهم وأوجدوا حبل الناس الذي يشد بهم كأمريكا مثلاً، حيث قال تعالى: **﴿أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا﴾**(١) . فهذا كله يؤكد ان اليهود لا يعطون شيئاً حتى ولو كان هذا الشيء بمقدار ما يأخذه الطير بمنقاره، فكيف يأمل بعض العرب والمسلمين في أن تقدم لهم اسرائيل الأمن والسلام والكرامة والحرية وتقرير المصير وغير ذلك مما يرفعه عالم السلام المزيف والمخالف لشريعة الله ولكل أديان السماء. ؟؟

ولا شك انه مما يدل على عدم رغبة اسرائيل بالسلام، اسرائيل الحاكمة وغير الحاكمة رفض هذه الأخيرة لمبدأ الأرض مقابل السلام

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٣.

واصرارها على مبدأ السلام من أجل السلام فقط، وما تقدمه اسرائيل اليوم من حكم ذاتي في غزة هو خطوة أولى باتجاه حرب جديدة إذ أنها لم تقدم ذلك رغبة في السلام، بل قدمته رغبة في تحقيق الأمن لها بحيث يتم الخلاص من الانتفاضة الفلسطينية. إن الاتفاقات معها تقدم لها الفرصة المطلوبة لأجل دراسة الخطوات الاخرى في المنطقة التي يتوجب عليها القيام بها تحقيقاً للنبوءة التوراتية التي تعدها بمزيد من الأرض، وبمزيد من المكاسب المعنوية والمادية . . . !؟

نحن حتى اليوم لا نعرف كيف دخل العرب الى هذا السلام. هل دخلوا إليه من القرآن؟ أم انهم دخلوا اليه من أبواب ضعفهم وعجزهم عن مواصلة الحرب؟

وهل هم كانوا في حالة حرب حتى يقال انهم عجزوا عن الاستمرار في الحرب؟

من أين دخلوا إليه؟ وكيف برروه، وما هي آفاقه؟ ومن الذي أعطاه الشرعية؟ وما هي مفاجأته المنتظرة؟ كلها أسئلة مطروحة، وقد أجيب على البعض منها، فمنهم مَن قال ـ من فقهاء السلاطين طبعاً ـ ان الأنظمة دخلت اليه من باب اسلامي عريض، ،والهدف منه هو إعداد العدة لهزيمة العدو معنوياً وسياسياً من خلال كشفه أمام الرأي العالمي المقتنع تماماً بأن إسرائيل تريد السلام والعرب لا يريدونه ! ومنهم من قال بأن الخلل في ميزان القوى هو الذي حملنا على الدخول في مفاوضات مباشرة مع العدو!؟ ومنهم من قال بأن إسرائيل أصبحت حقيقة واقعية، ودولة لها كيانها ولم يعد من الممكن إنكار هذه الحقيقة بعدما اعترف بها العالم أجمع!، ومنهم من قال بأن التعاون مع إسرائيل والتفاعل معها من شأنه أن يكرّس حالة السلام، وان

يجعل من هذه المنطقة واحة خضراء!!

لا شك ان أغلب الحكّام العرب والمسلمين برروا السلام مع اسرائيل واعطوه الشرعية، لكنهم لم يقولوا للناس ما هي الأسباب التي أدت اليه؟

لم يقولوا لهم عن اسباب الخلل في ميزان القوى، ولم يقولوا لهم الأسباب التي حملت العالم على الاعتراف بإسرائيل، كما انهم لم يكشفوا للرأي العام العربي والاسلامي عن الوجه الشرعي المقبول منطقياً لإقامة علاقة ولائية مع إسرائيل! ولم يبينوا للناس الكيفية التي نشأت فيها الدولة القطرية وأسباب الخلاف بين الأمة والدولة القائمة. فقط هم قالوا للناس نحن عاجزين الآن عن تحقيق الانتصار، وما علينا إلا أن ننتظر حتى نصبح قادرين، على الرغم من أنهم يعرفون أنفسهم جيداً، وكذلك الناس هم الآن يعرفون وضع الدولة، التي تدعي مسؤولية الدفاع عن المواطنين، ولا تقبل هذه الدولة أبداً ان يزايد عليها في الاسلام، تماماً كما استنكر بورقيبة سابقاً عدم السماح له بإبطال فريضة الصوم في شهر رمضان معتبراً ذلك تصغيراً له وإهانة بقوله: أنا كرئيس دولة إسلامية يحق لي أن أقرر أيضاً، فهو استعمل حجة اسلامية لإبطال فريضة دينية(١) !؟

أجل إن الله تعالى ينظر ماذا يعمل هذا العالم الاسلامي، وهذا العالم العربي، تماماً كما انه ينظر ماذا يعمل الآخرون، . . . وهنا لا بد من إثارة التساؤل من جديد، ماذا بقي من السلام المقدس عند الناس، وأين هي آثار السلامة، هل هي في الفتن والحروب الداخلية، أم انها في الفقر والعجز حتى الموت؟ أم هي في التصادم المستمر بين مشروع مَن تبقى من هذه

---

(١) را: اليعازر بعيري، ضباط الجيش في السياسة والمجتمع العربي، ترجمة بدر الرفاعة، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٩٢، ص٢٨٢.

الأمة، وبين مشروع الدولة؟ أم هي في الخروج على كتاب الله تعالى وتأويله على نحو يبرر وجود اسرائيل والتعامل معها، وبالدفاع عن الأنظمة الحاكمة التي لم تبق ظهراً ولا ضرعاً؟ أم هي في اجتهادات النائب العام الذي افتتح محاكمة المتهمين باغتيال السادات في ٦ أكتوبر ١٩٨١ بتلاوة التهم الموجهة اليهم، وأضاف اليها تفسيراً من عنده للجهاد؛ قال فيه إن الجهاد الكامل والحق هو الجهاد ضد أهواء النفس، ضد الشيطان، ضد الفقر والمرض والجهل! أما الزعم بأن الجهاد يعني مقاتلة أعداء الله فغريب عن التفكير الاسلامي السليم! إن هكذا مفاهيم وتأويلات لا بد أن تؤدي الى هكذا سلام... !!؟

ان السلامة الحقيقية انما تكمن بالعودة الحقيقية الى كتاب الله تعالى بحيث يعمد الجميع الى العمل بأوامر الله تعالى التي تدعوهم الى اعداد العدة والاستعداد المادي والمعنوي، والى تحقيق الوحدة كشرط أساسي، والى التعاون على البر والتقوى، والى قطع العلاقة مع إسرائيل مهما كان ثمنها، مع علمنا المسبق بأن اسرائيل لو كانت قادرة على ابتلاع هذا العالم لفعلت، لكنها عاجزة عن حماية نفسها في فلسطين، ولو كان حكام العرب والمسلمين فعلاً يخشون الله لما عمدوا الى اجراء مفاوضات وتقديم تنازلات، ولا شك أن المعرفة المسبقة بأن حبل الله تعالى قد قطع ومنع عنهم المدد الإلهي هو الذي دفع البعض الى الاعتماد على حبل الفراعنة في كل زمان، قال تعالى: ﴿**وما النصر إلا من عند الله**﴾[1] ولو كانوا صادقين فعلاً ومؤمنين فعلاً، ومخلصين فعلاً لصدقوا وعد الله تعالى الذي قال: ﴿**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم**

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٠.

الاشهاد﴾[1] .

أجل انهم يعرفون حقيقة الحال، وانه لا سبيل الى سلام الله، لأن هذا السلام يحتاج الى كبح الشهوات، والى ترك الملذات، وعدم الاغترار بالدنيا، فمن أين يكون الوصول الى السلام المقدس، وقد أخذت الدنيا منهم مأخذها، وبلغ منهم الشيطان مأمله **﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾**[2] . ان حب الدنيا كان ولا يزال سبب الدخول والتنازل في سلام يحرمه الله ورسوله، وسبب التجزئة، وضياع الثروات، وسبب كل الحروب الأهلية في العديد من البلاد الاسلامية . . . !؟

نعود الى القول ان السلام من الله والى الله، ومن أراد السلام فليكن مع الله، لأنه قادر على تحقيقه من خلال عباد يحبهم الله ويحبونه. أما إذا كان الظن هو أنهم قادرون على تحقيق هذا السلام بالاعتماد على أنفسهم، حتى ولو كان محرماً بالشرع وبالعقل، فذلك ما لا يمكن أن يكون حقاً، لأن السلام المخالف لله تعالى والمدعى بأنه لخير البشرية، هو في الحقيقة فساد في الأرض وإهلاك للحرث والنسل، وحرب ضد الله ورسوله، فليس لهم الخيرة أبداً في أن يختاروا من لدن عقولهم وأهوائهم مبادىء السلام أو مرتكزاته أو أن يحددوا آفاقه ونتائجه، باعتبار ان الله تعالى قد حدد هذه المبادىء، وأرشد الى تلك المرتكزات، ودلل على نتائجه في كتابه العزيز من مبدأ كونه السلام المطلق، والمؤمن المطلق والمهيمن المطلق، فإذا عملوا بها كان لهم السلام والسلامة في الدنيا والآخرة، أما إذا خرجوا عليها واستبدلوها بشرائع ومبادىء أهل الأرض الخالدين اليها، فإن الله هو أيضاً

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥١.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٠.

قادر على استبدالهم بقوم لا يكونون أمثالهم ينصرون الله وينصرهم ويثبت أقدامهم.

إن ما يقرر اليوم عن العرب والمسلمين من قبل بعض الأنظمة لا يمتّ اليهم بصلة وغير راضين به، لأنه يتنافى مع معتقداتهم ومبادئهم السمحاء، والشيء الذي يثير العجب ويبدو مؤسفاً فعلاً ان يقرر السلام عن المسلمين تحت عنوان أُولي الأمر، وكأن الله سبحانه قد جعل كل مَن وصل الى سدة الرئاسة سواء أكان مؤمناً أو فاسقاً من أُولي الأمر..!؟

نعم، أُولو الأمر الحقيقيين يحق لهم ان يكونوا سادة الحرب وسادة السلام، وهم ـ كما في الدعاء المشهور ـ ساسة العباد والبلاد، وكل ما يقرر من قبلهم لا بد أن يكون نافذاً لأنه لا يصدر عن الهوى بل هو يلحظ مصلحة الاسلام والمسلمين، ويهدف الى حمايتهم من الكافرين والظالمين، فأي نظام سياسي أو أية حكومة لا يستطيع أن يقرر أو أن يعتبر نفسه ولياً للناس، وهم ملزمون بطاعته. إن الله سبحانه لم يترك الناس هملاً، وأرسل اليهم الرسل والأنبياء والأولياء لأجل أن يحققوا لهم السلام والأمان... وفي أثناء غيبة هؤلاء يقوم مقامهم النواب الحقيقيون الذين يستندون في حكمهم الى المبدأ الأعلى الى الله تعالى ويعملون على ضوء تعاليمهم وإرشاداتهم، لأن ما تركوه يسمح لهذه الأمة بأن تستنبط منه ما هو موافق للحوادث الواقعة وملائم لها.

إن فلسفة السلام لها أبعاد وأعماق، ولا يمكن أن يقوم بهذه المهمة أي إنسان اتفق، بل هي بحاجة الى أئمة يعرفون حلال الله وحرامه، الموافق لإسرائيل والمخالف لها. ويمكن القول أيضاً أنه إذا كان السلام قاعدة أساسية، وأساس في علاقة الدولة الاسلامية بالعالم، فهل من المعقول ان

يقوم به، أو أن يدعو إليه كل إنسان وصل الى سدة الرئاسة من دون دراية منه بحال المسلمين وأوضاعهم؟

وهل معنى السلام أن نركن ونستسلم الى ما نحن فيه وعليه، أم أنه يعني الاستعداد والتهيؤ للقتال فيما لو تعرضت بلاد المسلمين للعدوان من قبل اليهود وأعوانهم؟؟

فالاسلام هو الدين الخاتم لكل الأديان والمتضمن لكافة قوانين الحرب والسلام، إذ أنه يستحيل أن يكون ديناً خاتماً وينقصه أهم قانون تحتاجه البشرية، وسنرى في أبحاث لاحقة كيف ان العلوم العسكرية الحديثة لم تكتشف شيئاً غريباً عن الاسلام أو غير متضمن له...

إن أبواب الحرب في الاسلام موصدة في وجه الذين ألقوا السلام واعتزلوا الحرب، أما أولئك الذين اعتدوا ونافقوا وتآمروا على الرسول في المدينة واستمروا في عدوانهم وتآمرهم، فالسلام معهم مؤذن بالظلم للبشرية وبخراب العمراني البشري، لأنهم لا يعرفون إلا القوة ولا تنفع معهم الحجة والبيّنة وغير ذلك من الوسائل السلمية... قال تعالى: **﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم﴾**[1] **﴿الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم﴾**[2].

(١) سورة التوبة، الآية: ١٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٩.

الفصل الثاني

مبدأ السلام ومستوياته

مبدأ السلام

والأن نسأل: ما معنى السلام وما هي مستوياته ؟

قيل في معناه: «إن السلام ليس معناه فقط عدم الحرب ، فالسلام هو محصلة مجموعة من الأوضاع الإنسانية من جملتها عدم الحرب ، تضاف إليها كرامة الإنسان وحريته وسيادته ، بمعنى عدم خضوعه للطاغوت وتوفر الامكانات لازدهاره وتطوره وغير ذلك . . .»[1] .

إن الله سبحانه وتعالى الذي وصف نفسه بالسلام كرم بني أدم ، حيث قال تعالى: **﴿ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر . . .﴾**[2] .

وقال تعالى: **﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾**[3] .

هناك جملة من الآيات التي تأمر الإنسان بعدم الاعتداء ، وفي الوقت

---

(١) راجع مجلة النور، محور خاص، الحرب والسلم في الاسلام، نيسان ١٩٩٤ .
(٢) سورة الاسراء ، الآية: ٧٠ .
(٣) سورة البقرة ، الآية: ٢٥٦ .

نفسه تأمره بالحفاظ على كرامته وبحماية نفسه من الأعداء.، وأن يكون محاوراً للآخرين من موقع حريته وسيادته ووسطيته ، فالسلام معناه هذا ، لا أن يكون الإنسان في سلام وحقوقه كلها مسلوبة ، ومستبد به من قبل الطواغيت غير قادر على ممارسة حريته . إن من معاني السلام أن يلتزم الإنسان بأوامر الله تعالى فلا يعتدي ، ويرد العدوان فيما لو تعرض له من قبل اعداء الله تعالى .

إذن الله تعالى الذي من اسمائه السلام بين معنى هذا السلام للإنسان ، فلكي يكون السلام سلاماً حقيقياً ومحققاً ، فلا بد أن يكون متضمناً للكرامة والحرية والسيادة ، لأن سلاماً يفتقر إلى ذلك إنما هو استسلام وليس سلاماً ، فإذا كنا نريد سلام الله ، فسلامه يأمرنا بعدم الخضوع للطاغوت إضافة إلى نبذ الحرب وعدم الإعتداء ، لكنها تكون ضرورة فيما لو اعتدي على بلاد المسلمين ، أو على الإنسانية والكرامة والحرية والسيادة . . .

إن الله المهيمن القادر على كل شيء ، المالك لما ملكنا ، الممكن لنا من بناء القوى المادية الهائلة جعل من اسمائه السلام ولم يجعل من الحرب قاعدة اساسية وهذا يعني فيما يعنيه أن المطلوب للبشرية وسعادتها في الدنيا والآخرة ولكمالها هو أن تحقق السلام وان تنبذ الحرب متى تسنى لها ذلك ، وهذا الاسم (السلام) كما قلنا ، لا بد أن تكون له انعكاساته في الواقع حيث أننا نعرف أن الله الذي من اسمائه هذا الإسم يريد لعباده أن يعيشوا معناه حقيقة وواقعاً ، مثلما اراد لهم أن يعيشوا في اجواء الرسالة المهيمنة الطالبة للسلام أيضاً ، وهذا ما دعت إليه الأديان السابقة الذي صدق بها القرآن وأيدها . وقد تجلت الحكمة الإلهية في أنها لم تقتصر على بعث الرسالة الكاملة ، بل ارسلت الإنسان الكامل معها لأجل ترجمتها وحمايتها . وهذا

الإنسان الكامل عرف السلام بأنه محصلة مجموعة من القضايا الإنسانية وبين ان الله تعالى لم يفوض لأحد أمر أن يذل نفسه أو أن يكون اسيراً ومستعبداً من قبل الطاغوت ، فإذا كان معنى السلام عدم الحرب فقط ، فما هي قيمة هذا السلام إذا كان يراد للإنسان أن يعيش العبودية لغير الله أو أن يكون مسلوب الإرادة والحرية وغير ذلك مما يتصل بمعنى انسانيته . . . ؟

لا شك أيضاً ان الإنسان فيما لو خاض حرباً ضروساً من أجل هذه الاوضاع الإنسانية ، فإنه بذلك لا يكون خارجاً عن معنى السلام ولا معتدياً ، بل هو يمارس حقه ويخوض الحرب من أجل السلام الحقيقي المتضمن لكل أبعاد الإنسانية .

لكن غالباً ما يكون ثمن هذه الأوضاع الدماء بسبب عدم الالتزام بأمر الله تعالى ، واللجوء إلى العدوان على الآخرين . . .

إن الله سبحانه وتعالى أمر بالجهاد في سبيله ومن أجل اعلاء كلمته لأجل أن يكون هذا الجهاد سلاماً ، لأن الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى من شأنه أن يجعل الناس بعيدين عن حكم الطاغوت ، واحراراً في التعبير عن وجودهم ، خلاف ما يكون عليه حالهم تحت سلطة الطاغوت ، فمن يقاتل في سبيل الطاغوت ، إنما هو يقاتل لا من أجل السلام الحقيقي ، بل من أجل غايات اخرى لا تتعدى نفسه وانانيته ووعود الشيطان له . فالفرق كبير وكبير بين الجهاد في سبيل الله وبين القتال في سبيل الطاغوت ، واهم الفروق بينهما هو أن الجهاد في سبيل الله إنما يتم من أجل ضمان الكرامة والحرية والسيادة، وبهدف أن تكون العبادة خالصة لله مانح السلام والأمان والسلامة بينما الثاني يسعى إلى الإفساد في الأرض وإلى اهلاك الحرث والنسل . . .

ما معنى السلام المزعوم اليوم التي ترعاه امريكا في واشنطن والقاهرة العربية! هل هو يتضمن الكرامة والسيادة والحرية وكامل الحقوق المتقابلة للشعوب ، أم أنه يعني عدم الحرب فقط؟

لا شك أن هذا السلام معناه عدم الحرب فقط لإنه في حقيقته استسلام وخضوع وقبول باسرائيل تحت حد السيف ، وهو كما قيل وجه آخر لحرب الخليج التي قامت بها امريكا والحلفاء ضد العراق ، فامريكا مثلاً افتعلت حرباً عسكرية في الخليج ، وحرباً سياسية بين العرب واسرائيل ، وبما أن نتيجة الحرب العسكرية ضد العراق كانت الاستسلام ، فإن النتيجة التي تتوخاها امريكا واسرائيل اليوم لن تكون مختلفة عن نتيجة الحرب العسكرية في الخليج . إن التحالفات العسكرية استبدلت بتحالفات سياسية تلعب الدور نفسه التي لعبته في حرب الخليج ، لكن بطريقة اخرى وتحت شعار السلام . العراق وغيره قد استجاب لمطالب هذه التحالفات العسكرية ، يبقى على الدول المجاورة لإسرائيل أن تستجيب هي أيضاً لمطالب هذه التحالفات تحت شعار السلام المسلح ، لأن ميزان القوى اليوم لا يسمح للدول العربية والاسلامية بأن يكون لها مواقف مما يجري ، عليها فقط أن تستجيب للغرب فيما يطلبه منها لأجل تحقيق السلام على حد زعمه والغاء حالة الحرب ، وهو أي الغرب في عقله الباطني يقول: إنكم لا تستطيعون التحدث بلغة العدالة والمساوة والحقوق وانتم غير قادرين على المنافسة في السوق ، ولا تملكون القدرة التي تؤهلكم لأن تكونوا احراراً فيما تقبلون وفيما ترفضون

إن السلام المزعوم اليوم هو ينطلق من هذه القاعدة: أن العرب والمسلمين ليسوا في وضع يؤهلهم لأن يقبلوا أو يرفضوا . . . فقط هم

قادرون على التلقي والسماع وما زالوا بعيدين عن الفعل والكلام ، وما داموا على هذا الوضع ، فإنه يكفيهم من السلام مجرد عدم الحرب فقط ، اما فيما يتعلق بالكرامة والحرية والسيادة . فهم لا يملكون حق المطالبة بذلك لأنهم حتى هذه اللحظة عيال على الغرب ، فالسيادة والكرامة والحرية والقانون هم لأصحاب القوة ولا يحق للضعفاء أن يكونوا اصحاب سيادة!!؟ .

هذا المنطق سبق مفاوضات مدريد حينما أعلن شمعون بيريز عشية اجتماع مدريد أن المطلوب من العرب والمسلمين أن يقدموا النفط والمياه والتراب واليد العاملة ، واسرائيل تتكفل بتقديم العقل الإسرائيلي ، النفط في الخليج ، والمياه في تركيه ، واليد العاملة من مصر . . . !! فالعجب العجاب من سلام هو اشبه ما يكون بدابة يمتطيها الرجل الاسرائيلي ويسوقها إلى حيث يشاء ، أو بسيارة جاهزة للقيادة من قبل السائق الإسرائيلي . فالعرب والمسلمون هم الجماد والإسرائيليون هم الحيوية والروح ، . . انه سلام لا يعترف بالعقل العربي عملاً بما توصي به التوراة الحالية من أن الشعوب كلها يجب أن تكون خدماً للشعب الإسرائيلي بوصفه شعباً مختاراً . . . !![1]

وهنا ترد عدة أسئلة ، ما هي القيمة الأخلاقية لسلام كهذا؟

وأين هو السلام العادل ، وكيف يكون . . ؟؟

---

(١) جاء في سفر حكاريم التلمودي ٣/ ١٢٥! إن اليهود أحب الى الله من الملائكة ، من يصفع يهودياً كأنه يصفع الله والموت جزاء الجوى (غير اليهود) إذا ضرب اليهودي ، ولولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض ، واليهود يفضلون الجوى كما يفضل الإنسان البهيمة . . . نقلاً عن كتاب دفائن النفس اليهودية ، عن مجلة المشرق اليسوعية ١٨/ ٧٧٠ ، محمد علي الذعبي . .

لماذا يريد بعض العرب تحويل الصراع من كونه صراعاً وجودياً إلى صراع سياسي يمكن حله بالوسائل السياسية؟ وهل أن فلسطين لم تعد على قداستها ، ومن هو الذي يملك شرعية أن يزيل هذه القداسة أو أن يغير هوية التراب الفلسطيني؟؟

وهل قبل هؤلاء بالطرح الإسرائيلي القاضي باستخدام العقل الاسرائيلي واهمال العقل العربي . . . ؟؟

ما هي قيمة العقل العربي إذا كان غير قادر على التفكير بموضوعية في ما تطرحه اسرائيل على العرب والمسلمين . . ؟؟

ما هي قيمة هذا العقل العربي في ظلال هذا السلام المسلح الذي يراد من خلاله تدجين الروح والعقل في هذا العالم الذي قدسه الله وجعله على اهمية كبرى؟ .

لا يسعنا في هذا البحث إلا الحديث عن معنى هام من معاني السلام . لقد جاء في لسان العرب أن اسم الله تعالى السلام يذكر على الأعمال توقعاً لاجتماع معاني الخيرات فيه ، وانتفاء عوارض الفساد عنه . . . »[1] .

قلنا في مبحث الدلالة الشرعية أن السلام يجب أن يكون متضمناً للحقوق المشروعة وللكرامة والحرية والسيادة ، وبما أن القرآن يحرص على هذه الحقوق ، وعلى هذه المبادىء ، ويدعو إلى سلام حقيقي يشتمل على كل الأوضاع الإنسانية التي من جملتها عدم الحرب ، فإن أي سلام لا يتضمنها لا يكون سلاماً حقيقياً وبالتالي فإنه لا يصح أن يطلق هذا الإسم المقدس على أي اتفاق أو على أية مصالحة يمكن أن تتم ولا تكون متضمنة

---

(١) ابن منظور ، م ، س . ص٢٠٨٠ .

لهذه الحقوق ولكافة الاوضاع الإنسانية . . الله تعالى هو السلام والقرآن هو السلام وهو الأمان ، وإن أي سلام يستثني النظرية الإسلامية ولا يكون منطلقاً منها ومحققاً لها وحاملاً لخصائصها لا يمكن أن يكون سلاماً واماناً لأنه في هذه الحالة ـ يكون مخالفاً لله تعالى ولرسوله ولشريعته ، كما أن عدم تحميل التطبيق ، أي تطبيق السلام خصائص النظرية ، لا يؤدي إلى أي خير في المجتمع الإنساني باعتبار أن الخير كل الخير هو كتاب الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**﴾[1] فالسلام اسم يذكر على اعمال الخير ، وعلى اتفاقات متضمنة لمعاني الخير ، ومنتفية منها كل عوارض الفساد ، وهذا ما لا نجده في أي اتفاق سلام يعقد اليوم أو في أية مفاوضات تجري . إذ أننا نعلم جميعاً أن صلح الرسول ﷺ في الحديبية كان صلحاً متضمناً لكل معاني الخير ، وكذلك صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية . فأولو الأمر عليهم السلام كانوا دائماً يبحثون عن السلام الحقيقي ويعقدون الصلح الذي يضمن للبشرية سعادتها . لا شك أن الناس قد يكونون غافلين عن معاني الخير في أي صلح ، إلا أنه لا بد من أن تعرف هذه المعاني في أثار هذا السلام ومن خلال تطبيقاته . وقد يقال أيضاً ، وهو القول الحق ، في أن الإمام الحسين عليه السلام لو كان يعرف بأن الصلح مع يزيد بن معاوية يحمل في طياته الخير لكان من الممكن أن يصالحه ، لكنه أكد عليه السلام أن الصلح معه لا خير فيه ، بل هو شر كله ، وهذا ما يستشف من قوله المشهور عليه السلام آلا أن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة» إذن ذكر اسم السلام على أي اتفاق فيه مغالطة كبيرة ، حيث أنه يجب التأكد مما يحمله هذا الاتفاق من

---

(١) سورة المائدة ، الآية: ٥٠ .

خيرات لأن الله سبحانه وتعالى (السلام المؤمن المهيمن) يجب أن يكون محترماً في اتفاقات الناس وفي مصالحاتهم ، اما أن يعلن الاتفاق ويسمى بالسلام باسم الله وفيه كل الشر والعدواة لله ولرسوله وللذين امنوا فذلك مما يمكن اعتباره اعلاناً للحرب وليس للسلام . وهذا ما نريد فضحه وتبيانه فيما سنعرضه من امثلة فنقول: إن بعض الأنظمة يهمه كثيراً تحقيق سلام مع اسرائيل ويعتبر الإتفاق معها اتفاقاً حيوياً وخيرياً ، وفي بعض الأحيان ينفي أن يكون السلام معها متضمناً لأي فساد وحجته في ذلك انها أصبحت حقيقة واقعية ولا سبيل إلى نكرانها أو إلى تجاهلها لما يؤدي إليه ذلك من مشاكل وحروب وغير ذلك مما لا تحتمله هذه المنطقة . . . !! هذه الأنظمة تقول بصراحة ـ لا تستحي من الله تعالى في اطلاقها على اعمالها وعلى اتفاقها مع اسرائيل اسم السلام ، ومن المهم جداً هنا الإحتكام إلى المستوى اللغوي لأن الدلال اللغوية تعكس ـ كما قلنا ـ مسيرة أمة ورؤية حضارة وانسجام امة مع دينها؛ كما أنها لا تخجل من ادعائها بأن السلام مع اسرائيل فيه الكثير من الخير وينفي الكثير من عوارض الفساد . إن ما يجري بين اسرائيل والأنظمة هو ـ في حقيقته ـ استسلام وانقياد ، وهذه الأمة ـ كما بين الله تعالى لم يطلب منها أن تلقي السلام إلى أحد ممن يضمر لها العداء ويتربص بها الدوائر .

في اللغة كما نعلم: «التسليم مشتق من السلام اسم الله تعالى لسلامته من العيب والنقص ، وقيل معناه ان الله تعالى مطلّعُ عليكم فلا تغفلوا . .»[1] .

وهنا نسأل: أين التسليم لله تعالى و أين السلام لعباده في الاتفاق مع

---

(١) را: لسان العرب ، ج٣ ص٢٠٧٨ .

اسرائيل والقاء السَّلم اليها الذي قيل في معناه أنه الاستسلام!؟..[1].

ان ايهام الناس بأن الإتفاق مع اسرائيل والتعامل معها فيه من معاني الخير شيءً ما، من شأنه أن يخرج اصحابه ـ أي الذين يوهمون الناس بذلك ـ من دائرة الخلافة الإلهية، لأنه يدعو الناس إلى اتخاذ الذين كفروا اولياء، وقد نهى الله عن ذلك وقال تعالى: **﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾**، وكما بين النص أن غير المؤمن لا يشمله مبدأ الاستخلاف، وبما أن الكيان الصهيوني كيان كافر مغتصب لمّا يدخل الإيمان قلبه ويناصب العداء لله ولرسله وللذين امنوا، فإن كل ذلك لا يبقيه في دائرة الخلافة كون هذه الأخيرة مشروطة بالتوحيد وليست مطلقة، فإذا تعاملنا معه واعترفنا به واعتبرناه كياناً طبيعياً فهذا كله من شأنه أن يدخلنا فيما هو داخل فيه ويخرجنا عما نحن عليه، اجل، إن من معاني هذا السلام اتخاذ الكافرين اولياء من دون الله بحيث تصبح اسرائيل ولية هذا العالم العربي والاسلامي خلاف ما تقتضيه حقيقة الايمان الذي نهى عن الاعتراف باسرائيل وعن مسالمتها وعن التعامل معها لما تمثله من شر مطلق ومن ظلم، مما يعني أن الناس أمام خيارين بين أن يؤمنوا بالله ويبقوا في دائرة الخلافة، وبين أن يتخذوا من اليهود الظالمين اولياء ويخرجوا من دائرة الخلافة وذلك لاستحالة الجمع بين الايمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، بين الصلاح والفساد نقول: إنه من الحقائق الأكيدة في وجودنا أن التعامل مع اسرائيل وتمكينها من هذا العالم يفسد علينا ديننا ودنيانا، ويمنعنا من أن نكون في سلام مع الله، والاتفاق معها على اساس أن تكون عقلاً لنا ـ كما هو مقتضى هذا السلام ـ لا يعني اكثر من اختيار ولاية الطاغوت وقد قال تعالى: **﴿الله ولي الذين امنوا**

---

(١) م. ع. ص ٢٠٨١.

والذين كفروا اولياءهم الطاغوت﴾ وهذا يعني فيما يعنيه أن الايمان بالله يستلزم الكفر بالطاغوت؛ اما ان نؤمن بالله ونسالم الطاغوت ، ان ندعوالله باسم السلام ونسالم عدو الله والانسان فذلك مما لا يستقيم معناه قبال النص المقدس حيث قال تعالى: **﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها . .﴾** .

انتم ايها اللاهثون وراء السلم الإسرائيلي أتنتظرون أن تكون النار التي أنتم فيها برداً وسلاماً عليكم!؟ أم أن يكون الله وليكم من خلال هذا السلام؟؟

إن الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ويعطيهم السلامة في الدنيا والآخرة ، ولن يكون الله ولي احد من الناس إذا لم يطلب السلام والامان منه ، لقد كانت النار برداً وسلاماً على ابراهيم عليه السلام لأنه كان في سلام مع الله ، وما تجدر الإشارة إليه هنا هو ان الله تعالى سلمّ على جميع رسله وانبيائه بينما اليهود قتلوهم وباءوا بغضب الله ! فلا سلام مع اسرائيل ولا رد لا في الدنيا ولا في الآخرة ، انها شر مطلق ونار يزيدها التعامل معها والاعتراف بها اشتعالاً . . . ! فإذا كان لا بد من الخلافة فلا بد من الايمان ، وإذا كان لا بد منهما معاً فلا بد من التربص باليهود وكل الذين ظلموا إلى أن يم الله على هذه الأمة بالنصر باستئصال هذه الغدة السرطانية من الوجود ، لأن قتلة الانبياء لن يتورعوا ابداً عن قتلة اتباعهم من الذين امنوا في كل زمان ومكان، فإذا لم يكن بالإمكان ادخالهم في الايمان او كف اذاهم (وهم لن يضرونا إلا اذى) فلا نسمح لهم بأن يخرجونا منه . . .[1] .

---

(١) قولنا ان الذي يعمل على ايهام الناس بأن اسرائيل دولة حقيقية يمكن التعامل معها كأية دولة اخرى يخرج من دائرة الخلافة ، هو ينطلق من مبدأ أنه لا يحق لأحد من

أجل إن التعامل مع اسرائيل والإتفاق معها على أساس أنها دولة صاحبة حق وجزء من المجتمع الإنساني هو لا يخرج اصحابه فقط من دائرة الإيمان وحسب ، بل يخرجهم من دائرة الإسلام أيضاً ومن هنا فإن تسمية ما يجري بين اسرائيل وبعض الأنظمة بالسلام فيه خيانة عظمى لله ورسوله وللمجتمع الإنساني ، وليس في قولنا هذا ما يثير العجب أو الاستغراب لأن السلام اسم مقدس ويفترض أن يبقى على قداسته فيما لو أريد لهذا الاسم ملامسة الواقع والتحقق فيه .

قد يقول قائل متسائلاً : كيف يمكن أن يتحقق هذا الاسم المقدس في الواقع؟؟

يقال في الاجابة على هذا السؤال: إن الله تعالى ظهر للناس من خلال كتابه من غير أن يكونوا قد رأوه بما أراهم من قدرته مثلما ظهر للعقول بما اراها من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم»[1] ويقال أيضاً إن من اسماء الله تعالى المهيمن ، وقد جعل هذا القرآن مهيمناً ، ومن اسمائه السلام وقد جعل هذا القرآن سلاماً ، وهو الامان وجعل هذا القرآن اماناً ، فإذا ، اراد الناس أن يكونوا امة وسطاً وشاهدة ، امة مهيمنة بمعنى الحفظ والرعاية والمسؤولية فما عليهم إلا العمل بكتاب الله تعالى ، وإذا أراد الناس أن يعيشوا السلام والأمان ، فما عليهم إلا العمل بأحكامه وتحكيمه في ما يعرض لهم من حوادث في كل زمان ، كما في قوله تعالى: **﴿فلا وربك لا**

الناس ادخال اليهود في الإنسانية ما داموا على عدواتهم لله تعالى ولرسوله ، ومن يتخذهم أولياء ، فليس من الله في شيء ، فإذا لم يكن من الله في شيء فكيف يبقى مسلماً أو مؤمناً ، أو باقياً في دائرة الاستخلاف . .؟؟

(١) نهج البلاغة ، خطبة ١٨٢ . . ورا: الخطبة ، ١٧٣ .

يـؤمنـون حتـى يحكمـوك فيمـا شجـر بينهـم﴾[1] وهـم حينمـا يحكمـون الرسول ﷺ يكونون قد حكموا الله تعالى والقرآن لأن من يطع الرسول فقد اطاع الله تعالى .

إن الأنظمة لا تستطيع أن تصنع السلام في الشرق الأوسط والامان لشعوبها وهي على ما هي عليه من خروج على القرآن واحكامه والسنة الشريفة وبياناتها ، كما انها لا تستطيع أن تدعي السلام والامان وهي تحكم بغير ما أنزل الله تعالى ، ولو كانت تحكم بما أنزل الله لكانت الناس أمة واحدة ووسطاً ، ولكانت اسرائيل غير موجودة ولكان السلام الحقيقي موجوداً ومعاشاً . . . هكذا يمكن أن يتحقق السلام المقدس بالحكم بما أنزل الله تعالى بعيداً عن فقهاء السلاطين . . .

نعم قد يصح تسمية معاهدة ما بالاتفاق مع حذر شديد وذلك من حيث التحديد اللغوي ، كما يحصل مع مقررات الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ، باعتبار أن تطبيق القرار ٤٢٥ (أو القرار ٥٩٨) لا يعني اقامة معاهدة سلام مع اسرائيل ، بل يعني انسحاب اسرائيل واستمرار حالة العداء والصراع الوجودي في مفهوم الفقهاء المسلمين ، ولا يصح تسمية الإتفاق بأنه سلام ، لأن هذا الاسم يجب أن نكون حذرين جداً في اطلاقه احتراما لله تعالى ليس مع اسرائيل فقط بل مع أي دولة تعتدي وتظلم ويمكن أن تسوق كمثال على ذلك اتفاق العراق وايران بموجب القرار ٥٩٨ ، فهذا الإتفاق كما نعلم جميعاً لم يكن سلاماً بالمعنى الدقيق للكلمة بل كان اتفاقاً تشوبه حالة الحذر والعداء بين الجمهورية الاسلامية والنظام العراقي ، لأن هذا النظام مسالمته غير ممكنة لما اقدم عليه من ظلم واعتداء ، وهذا ما عبر

---

(١) سورة النساء ، الآية: ٦٥٠ .

الإمام الخميني(قده) عنه بتجرع السم ، لأنه ـ أي القبول بالقرار ٥٩٨ لا ينطوي على الخيرات وفيه الكثير من عوارض الفساد حيث أن تطبيقه قد حافظ على موقع المعتدي ولم يتعرض له بسوء ، واخسر إيران حقها في إزالة هذا النظام المعتدي ، والحق يقال: إن تطبيق هذا القرار مكن النظام العراقي من الحكم وحمله على احتلال الكويت بايعاز من امريكا لأجل ان تحقق سلامها المزعوم في المنطقة ، فالاتفاق وإن كان انطوى على مصلحة ما لإيران ، إلا أنه احتوى على مصالح كثيرة للنظام العراقي ، ولم يكن فيه من الخير شيء ، لأن الخير كل الخير كان في معاقبة المعتدي في الحرب والتعويض عن خسائر الحرب وهو تعويض ـ فيما لو حصل ـ لن يكون من خزانة النظام الحاكم بل من خزانة وخيرات وثروات الآمة مثلما كان ثمن الحرب كلها من ثرواتها!؟

إذن القرار ٥٩٨ والاتفاق كان فيهما الكثير من عوارض الفساد وثمة ظروف قاهرة وضاغطة حملت على القبول به واللجوء إليه ، وهذا لا يمكن اعتباره سلاماً كما يوحي بذلك البعض ، بل هو في جوهره حرب وفساد ، والجمهورية الإسلامية تعرف ذلك لكنها اختارت اهون الشرين واقل الضررين وكان الضرر الأكبر بعد القبول بالقرار ٥٩٨ هو وقوع عدد كبير من الحركات الاسلامية ابان الغزو العراقي للكويت في فخ صدام حسين . .

أجل إن ذلك لا يمكن تسميته سلاماً ، بل هو اتفاق على وقف الحرب ، وما دامت هذه الطغمة حاكمة في العراق فلن يعرف الشعب العراقي سلاماً ولا اماناً وكذلك شعوب المنطقة هي دائماً مهددة من هؤلاء الزبانية الذين يظنون بأن الله غافل عما يعملون . . . إن السلام معناه أن تأخذ الأمة حقوقها ، وأن تمارس حقها في الدفاع عن نفسها لأن ذلك من

الخير المكنون في السلام المقدس ، فإذا منعت الأمة من حقها وحيل بينها وبين معاني الخير ووقع اتفاق ما بينها وبين عدوها ـ بسبب ظروف قاهرة ، فذلك لا يعني أن الإتفاق يتضمن معاني السلام الحقيقي ، بل هو اتفاق يلغي حالة الحرب ويحفظ للأمة حقها بحيث تأخذه ساعة تشاء . . وبالطريقة التي تحفظ للأمة وحدتها وللمجتمع تماسكه . . وإذا كان يراد تسمية هذه الاتفاقات المشوبة بعوارض الفساد سلاماً ، فماذا نقول عن سلام تغاضى اصحابه عن كل جرائم الحرب ، وعن حقوق الشعوب ، وحفظ للمجرم موقعه في السلطة وامتنع عن معاقبته وتقديمه للعدالة؟

ماذا نقول عن سلام حكم أمريكا بهذا العالم ودفع بها إلى السيطرة عليه علناً وتحت شعار السلام وحماية الدول العربية من إيران الإسلامية ومن النظام الحاكم في العراق؟

أي سلام هذا يتغاضى عن كافة الحقوق لشعوب إيران والعراق والكويت التي تعرضت للإبادة على يد النظام العراقي؟

إن أمريكا التي تحمل لواء السلام وتدعي حماية الشعوب الفقيرة والمستضعفة وتقدم لإسرائيل السلاح الكافي والمال الكثير لأجل أن تحقق سلامها المزعوم بدأت في حرب الخليج تحت شعار تحرير الكويت واسقاط صدام حسين ، ولما تحررت الكويت ووصلت إلى حدود العراق بدأت مفاعيل السلام تظهر!وكانت النتيجة ابقاء صدام حسين على رأس السلطة ، بحجة أن الوضع لا يسمح بمزيد من الفوضى في العراق ، وقد قيل أن امريكا هدفت من حربها إلى تحرير الكويت وليس من واجبها تحرير العراق من صدام حسين!!!

هذا الكلام سمعناه من بعض المؤتمرين في فندق الكارلتون بتاريخ ٢٥/ ٤/ ١٩٩٤ ، وقد تجاهل هؤلاء الشعار الأمريكي الذي كان يتضمن وعداً لدول الخليج باسقاط صدام حسين وليس فقط تحرير الكويت!!! نحن لا يسعنا ازاء كل هذا إلا التأكيد على أن امريكا في الأصل لم تفكر في سلام المنطقة العربية والإسلامية بل فكرت في مصالحها وذلك أمر جد طبيعي إذ ان كل دولة تسعى وراء مصالحها ، إلا أن ما نريده هو أن تمتنع أمريكا عن الإدعاء بأنها داعية سلام من خلال مصالحها ، ومساعدة للشعوب في تقرير مصيرها؛ والكل يعلم بأن الإنتفاضة في العراق كادت تنتصر وكان الشعب العراقي على وشك تقرير مصيره والتخلص من النظام ، لكن التدخل الأمريكي منع الشعب من ذلك وحال بينه وبين حريته وكرامته وسيادته . . إذن أي سلام هذا يرعاه مجلس الأمن ، والدول الكبرى ، واسرائيل وبعض الأنظمة العربية؟!

انه سلام المصالح وليس سلام القداسة ، انه سلام مسلح يكيل اصحابه بمكيالين ويوافقون على ابادة شعوب بكاملها لأجل بقاء فرعون هنا وفرعون هناك يضمن مصالح هذه الدولة أو تلك . إنه لخطأ كبير ونفاق كبير أن يرفع شعار السلام لتغطية الجرائم والمظالم وللدفاع عن الأقوياء!!!

إن معنى السلام الحقيقي أن يهيمن القرآن ، وأن يحكم القرآن وأن لا يتخذ عدو الله والناس ولياً ، وان تفاوض الشعوب من موقع حريتها وسيادتها لا أن تفرض عليها مقررات الاستسلام تحت شعار السلام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . . .

مستويات السلام

١ ـ الإيمان والسلام

بما أن مبحث الدلالة اللغوية لم يكن ليتسع للحديث عن مستويات السلام ، فقد ارتأينا أن نعود إلى هذا الموضوع كونه مهماً ويمكن من خلاله تحديد بعض ملامح هذه المرحلة ، خصوصاً بعد أن أصبح للسلام اليوم شكله الخاص ولونه ورائحته الخاصة به ، فما يسمى بالسلام ليس سلاماً حقيقياً في جميع مستوياته ، بدليل أن العالم الذي انقسم إلى اقوياء وضعفاء ، إلى اغنياء وفقراء لم يعد يفهم السلام بمعناه الإلهي ، بل اعطاه معنىً خاصاً يتوافق مع ما هو عليه في نفسه وفي واقعه ، فإذا كان قوياً فهم السلام على أنه سلام القوة وإذا كان ضعيفاً فهم السلام على أنه استسلام وفي كلا الحالين لا يمكن اعتبار السلام من خلال القوة والضعف ، ولا من خلال الغنى والفقر ، فالسلام له حقيقة كحقيقة الإستعلاء ، كما في قوله تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾[1] فالمؤمن لا يهن

---

(١) سورة الأعراف ، الآية: ١٣٩ .

ولا يحزن سواءاً كان قوياً أو ضعيفاً ، غنياً أو فقيراً ، فهو موصوف بالعلو لما يمثل من قيم ، ولما يوجد في نفسه من ايمان يبعث فيه القوة للإرتفاع فوق تقاليد الأرض وقيمها وفوق قوانين الأرض التي لم يشرعها الإيمان . . . فالقوة والضعف أو الغنى والفقر لم ولن تكون هي مصدر هذا الإستعداء بل الإلتزام بالاسلام والسير على منهج الإيمان والعبادة الخالصة لله تعالى هو سبب هذا الاستعلاء ، يقول سيد قطب: «الإستعلاء . . . مع ضعف القوة وقلة العدد ، وفقر المال كالإستعلاء مع القوة والكثرة والغنى على السواء . . . »[1] .

فالسلام له المعنى نفسه ، باعتبار أن القوة والضعف ليست هي التي تحدد ماهية السلام وانما الذي يحدد ماهية السلام ويجعله حقيقة واقعية هو مدى الإلتزام بالمبادىء الإنسانية وبحقوق الناس كل الناس ، فهم سواسية كأسنان المشط ولا فرق بينهم لجهة أن لكل انسان الحق في أن يعبر عن نفسه وأن يدافع عن كرامته وسيادته بالمقدار الذي يستطيع فيه ومعه أن يحقق لنفسه القوة والكرامة والحرية ، فإذا صح أن السلام هو سلام الأقوى فمعنى ذلك أن القوي إذا أنكر حقوق الضعيف ومنعه من ممارسة حريته واستعبد بقوته الأخرين ، يكون بذلك قد حقق السلام الذي ينشده على ضوء قوته ، وكذا بالنسبة لسلام الضعيف الذي لا يستطيع أن يحصل على حقوقه عن طريق القوة كونه ضعيفاً ، فالقول أن هذه المعايير هي التي تحدد السلام قول فيه مغالطة كبيرة ، لأن السلام ـ في جوهره ـ معناه حفظ الحقوق لكل الناس سواء اكانوا اغنياء أم فقراء ، ولو تركنا لهؤلاء أن يعرفوا معنى السلام لقال كل واحد منهم فيه ما ينسجم مع نفسه . . . إن الله تعالى السلام المؤمن

(١) سيد قطب ، معالم في الطريق ، دار دمشق ، ص٢٢٠ .

المهيمن هو الذي يحدد معنى السلام ويرشد اليه ولا قدرة للناس على تعريفه إلا من خلال كتاب الله تعالى فإذا قام السلام على الحقوق المتقابلة ، وحفظ لكل الناس حقوقهم وتحرك الجميع باتجاهه على اساس حفظ الكرامة والسيادة والحرية فذلك معناه أن السلام ـ فيما لو تم على هذه الأسس ـ قد تجاوز معايير القوة والضعف والغنى والفقر إلى اعتبار الناس جميعاً على أساس أنه لا امتياز للأغنياء على الفقراء ولا للأقوياء على الضعفاء ، لأن هذه المعايير لا تصلح لأن تكون ميزاناً للحقوق فقد يكون الإنسان قوياً ولا يكون له الحق في قهر الضعيف حتى يتنازل عن حقوقه أو عن ارضه وسيادته عليها ، وقد يكون الإنسان ضعيفاً ولا يكون له الحق في أن يتنازل عن ارضه وعن حقه وعن كرامته بحجة أنه ضعيف ، فالحق يبقى حقاً والباطل يبقى باطلاً سواءً اكان الإنسان قوياً أو ضعيفاً ، ومن هنا يصح قول البعض في أن اسرائيل وإن تمكنت بقوتها العسكرية من احتلال لبنان وغيره من اراضي البلاد العربية ، لكنها لم ولن تتمكن من كسر إرادة اللبنانيين الضعفاء من حيث القدرة العسكرية ، فالإرادة هنا هي الأساس ، فهي أساس في الحرب وفي السلام ، في القوة والضعف ، في الفقر والغنى تماماً مثلما أن الإيمان هو اساس الاستعلاء ، كما سبق وذكرنا ، سواء اكان المؤمن قوياً أو ضعيفاً . . .

إذن السلام لا ينبغي أن يتم على أساس المعايير المادية أو على أساس أن هذا الإنسان غالب وذاك مغلوب باعتبار أن الغالب بالشر مغلوب ، بل يجب أن يتم على أساس أن لهما حقوقاً ، فليس معنى أن يكون مغلوباً أن تصادر حريته ونبخسه حقه ، وليس معنى أن يكون غالباً أن نعترف له بحق ليس له ، أو أن تعطيه أكثر من حقه ، وهذا يدفع بنا إلى التأكيد على ضرورة

أن يكون الحاكم على عدالة عظمى تمكنه من اعطاء كل ذي حق حقه ، واهمية السلام تجعلنا نلح على ضرورة أن يكون الحاكم مؤهلاً لوضع الأمور في مواضعها ، وما يؤسف له هو أن عالمنا الإسلامي ابتلي بحكام هم أبعد ما يكونون عن السلام وعن معرفته على حقيقته حيث أنهم درجوا على تسمية الاستسلام بالسلام ، وعلى تسمية الحياد في مجمل الظروف والأحوال بالحنكة والذكاء السياسيين . . . !!؟

ماذا يقول الحاكم المقدس: «القوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه ، والضعيف عندي قوي حتى أخذ الحق له . . . »[1] هذا النص يعبر عن حقيقة السلام وعن جوهره إذ أنه لا اعتبار للقوة والضعف في ما لو أردنا تحقيق السلام الدائم والعادل والشامل خلاف ما يعمل له الحكام اليوم حيث أنهم يتنازلون عن مقدساتهم وعن حقوقهم تحت شعار أن اسرائيل هي الأقوى ونحن الضعفاء ! .

وكما بينا أن قوة اسرائيل لا ينبغي أن تفرض علينا سلاماً يخسرنا وجودنا كما أنه لا ينبغي أن يحملنا ضعفنا على التنازل والاستسلام وقبول شروط الاخرين ، فالأمة تحتاج إلى حكام يعرفون كيف يأخذون الحق من القوي ويعطونه للضعيف ، إلى حكام يدخلون إلى السلام من باب القوة والكرامة والحرية والقداسة وليس من باب الخوف والحزن والذل . إن المؤمن الحقيقي ـ كما تبين لنا في معنى قوله تعالى: ولا تهنوا ولا تحزنوا . . . لا يخاف ولا يحزن ويسير بخطى ثابتة وعقل مستنير لا يتهاوى أمام قوة باغية ولا عرف اجتماعي ولا تشريع باطل ، ولا وضع مقبول عند الناس ولا سند له من الإيمان كالسلام التي تريد فرضه أمريكا واسرائيل على

(١) نهج البلاغة ، الخطبة: ٣٧ .

العالم الإسلامي والعربي . . . !!؟

هذا المستوى من السلام ليس له وجود في عالمنا اليوم إذ أن السائد هو السلام المسلح الذي يقضي باستسلام الضعيف للقوي ، والفقير للغني والعزيز لمن ضربت عليه الذلة من دون اعتبار لكرامة الإنسان ولحريته ولسيادته أو لحقه في تقرير مصيره ، وبما أن هذا المستوى من السلام المقدس غير موجود فكذلك هذا المستوى من الاستعلاء غير موجود أيضاً باعتبار أن المؤمن الذي لا يخاف ولا يحزن ولا تأخذه في الله لومة لائم . هو وحده القادر على صناعة هكذا نوع من السلام ، ويوجد في الواقع ما يدل على هذه الحقيقة حيث أن بعض حكامنا خافو وحزنوا فاندفعوا إلى قبول سلام الأقوى مما أدى إلى انتفاء صفة العلو عنهم ، التي هي نتيجة لانتفاء صفة الإيمان الحقيقي ، فلو كانوا مؤمنين فعلاً لما دخلوا في سلام يخسرنا أهم مميزات وخصائص وجودنا وهي قدسنا وكرامتنا وارضنا وثرواتنا ، ويدفعنا إلى التعامل مع اسرائيل عدو الله والإنسان ، فبما أن النفاق اليوم يغطى بستار من الإيمان ، فكذلك الإستسلام يغطى بستار السلام ، فالإيمان الحقيقي يصنع سلاماً حقيقياً ، والنفاق يصنع استسلاماً وذلاً وهواناً . إن هذه الأمة مطلوب منها (وهي مسؤولة) أن تبعث نفسها من جديد بحيث تتمكن من أن تخرج نفسها من هذه الشقوة الجاهلية ومن هذا السلام المسلح الذي يفرض على عالمنا شروطاً لا طاقة له على تحملها أو الإلتزام بها ، شروطاً فيما لو التزم بها ـ تدفعه إلى التنازل عن حقه في الوجود ، وعن موقعه في الشهود ، وقد ترمي به في غياهب الجاهلية من جديد ، فالأمة التي تريد أن تصنع السلام على ضوء ظروفها واوضاعها وعدم قدرتها على المواجهة اخلق بها أن تتراجع . . . لأنه لا يمكن أن يصنع السلام إلا على

ضوء الذات والكرامة والوجود ، باعتبار أنه لا يمكن القول لرب العالمين غداً أن عدم وجود السيارة والمنزل والدولار حال بيني وبين أن أكون مؤمناً ، ولا يمكن القول له تعالى أيضاً ، ان عدم وجود القوة العسكرية دفع بنا إلى التعامل مع اسرائيل أو إلى القبول بها وعقد اتفاق سلام معها ! إن الايمان شيء والدولار شيء آخر ، والسلام شيء وعدم القدرة أو القوة والضعف والغنى والفقر شيء آخر يقول سيد قطب: «وتتبدل الأحوال ويقف المسلم موقف المغلوب المجرد من القوة المادية ، فلا يفارقه شعوره بأنه الأعلى ، وينظر من علٍ ما دام مؤمناً ويستيقن انها فترة وتمضي وان للايمان كرّة لا مفر منها وهبها كانت القاضية فإنه لا يحني لها رأساً . إن كل الناس يموتون أما هو فيستشهد . . . »[1] .

فالأمة القوية في ذاتها المصنوعة على ضوء تعاليم السماء يمكن أن تهزم مادياً وعسكرياً إلا أنه لا يمكن أن تهزم إرادياً وذاتياً، فالهزيمة لا تعني الاستسلام والضعف والذل والهوان ، لأنه ليس من معاني الهزيمة عدم الايمان حتى ينتفي علو مقامها . . فما دام الإيمان موجوداً ، فإن العلو سيبقى موجوداً أيضاً ، وما دامت الكرامة والحرية والسيادة وكل ما يتعلق بحق الإنسان في الوجود ، ما دام كل ذلك موجوداً ، فإن الإنسان لا يهمه سواء انتصر أو انهزم في معركة الوجود والمصير ، وكذلك لا يهمه أن يكون في حالة حرب أو سلام ، وليستمر الصراع الوجودي بأي شكل من الأشكال الذي نريده نحن أم هم، وليكن العالم على ثقة تامة بأن استمرار الصراع فيه بوادر السلام الحقيقي خلاف ما يتوهم البعض من أن انتهاء الصراع من شأنه أن يحقق ذلك ! إن الكرامة هي التي تفرض وجودنا في الحرب أو في

---

(١) را: معالم في الطريق، م. س. ص٢٢٦.

السلام ، فإذا لم تكن هناك كرامة وسيادة وخصائص وجودية وشهودية ، فكيف يكون هناك سلام؟ .

وبما أن الكرامة من الله شهادة ، والموت عادة ، فلا بأس بحرب بلا هوادة . . . .

٢ ـ المستوى الثاني : الإشارة والرمز

هذا مستوى من مستويات السلام ومن المستويات الأخرى يمكن أن تشير إلى ما تضمنته اللغة والتي كنا قد اشرنا إلى بعضها في بداية هذا البحث، حيث قلنا أن من مستويات السلام أن يتبادل اطراف الصراع إشارات ورموز تعكس تطور ادراكهم بأنه لا جدوى من استمرار الحرب، فتولد الرغبة إلى تحقيق السلام بين الأطراف المتحاربة، وهذه الرغبة، بوقف الحرب ـ لا تتولد إلا حين يعرف أحد الطرفين أن الحرب لم تعد في مصلحته وأنه إذا استمر فيها فستلحق به الهزيمة ويضطر عندها إلى التنازل عن كافة حقوقه، فالإشارة والرمز في أثناء الحرب تعكس هذه الرغبة لدى المتحاربين، وقد لا تنفع هذه الرموز فيما لو اصر المنتصر على الاستمرار في الحرب حتى تحقيق النصر النهائي على خصمه وحمله على الاعتراف له بما كان ينكره عليه قبل الحرب، والزامه بكل ما كان يمتنع عن الالتزام به قبلها، ولنفرض أن العدو تمكن من ذلك، فهل معنى ذلك أن المهزوم ـ فيما لو قبل بشروط المنتصر ـ عسكرياً في جبهة القتال من واجبه أن يعكس اجواء هذه الهزيمة على إرادته بحيث يركن إلى شروط المنتصر ويعتبر أن الحرب انتهت ولم يعد بالامكان تحقيق أي نصر؟

أم أن ذلك معناه أن المهزوم يمكنه أن يفكر بوسائل حرب اخرى من

شأنها أن تحمل المنتصر في الجبهة على التنازل لأجل تحقيق سلام عادل يأخذ كافة الحقوق بعين الإعتبار؟ لا شك أن المهزوم إذا تعرض لنكسة في معركة ، فلا يعني ذلك أنه قد خسر الحرب ، باعتبار أن هذه الحرب مستمرة والمهزوم اليوم قد ينتصر غداً فيما لو كان له إرادة صلبة وروح ايمانية عالية ، وقيم تدفع به إلى التضحية الدائمة من أجل كرامته وحريته وسيادته على أرضه ، وحالة التضحية والثبات في الجهاد هي حالة من حالات الإستعلاء التي يشملها هذا التوجيه العظيم» **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا . . .﴾** .

ازاء ما تقدم يمكننا الإشارة إلى المغزى الحقيقي من وراء هذا المستوى ، فنقول: إن رموز السلام وإشاراته انما تكون بين طرفين أو بين دولتين متحاربتين كل واحدة تعتقد انها على حق فيما تقوم به وتدافع عنه أو تكون عندها قناعة كافية بأنها فيما لو هزمت في الحرب لا تحملها هذه الهزيمة على تغيير قناعتها من مبدأ أن الحق قد يهزم وينتصر الباطل وخير دليل على ذلك أن الحق قد خسر في معظم الحروب لأسباب كثيرة مادية ومعنوية . . . إذن الرمز والاشارة إلى السلام هي بين دول وشعوب متحاربة وقد تنهكها الحروب فتلجأ إلى ما يمكن تسميته بالسلام ، لكن السؤال المطروح هنا هو ماذا بين العرب والمسلمين وبين اسرائيل؟ هل هم كانوا ولا يزالون في حرب وانتهى الأمر بهم إلى قبول دعوة السلام؟ أم انهم في حالة اللا حرب وجاء السلام ليكون حرباً . . .؟!

الحقيقة هي أن اسرائيل وجدت على أساس الحرب الدائمة والمستمرة ، وكان احتلالها لفلسطين نتيجة وسبب في آن لاستمرار الحرب ، بينما العرب والمسلمون هم كانوا ولا يزالون في حالة اللاحرب ، فعلى أي أساس قبلوا فكرة السلام وتجاوبوا مع اشارات ورموز السلام؟؟

اجل ، إن العرب والمسلمين لم يهزموا في الحرب مع اسرائيل حتى يقبلوا اشارات السلام سلفاً وقبل الهزيمة ومعها ، وانما هم هزموا في حربهم مع انفسهم . وبدل من أن تكون اشارات ورموز السلام فيما بينهم لتحقيق السلام على أرضهم وفي اوطانهم تحولت فأصبحت بينهم وبين اسرائيل بسبب الحرب المعلنة من قبل اسرائيل علينا في الداخل التي تأخذ اشكالاً عدة ، اقتصاد وفتن داخلية ، ونزاعات حزبية وغير ذلك . . . تحت شعارات قومية ووطنية واسلامية وعلمانية . . . الخ .

إذن لا معنى لهذه الإشارات السلمية بين دولة كانت ولا تزال في حرب وبين دول اخرى كانت ولا تزال بعيدة عن الحرب إلا مع نفسها ، لهذا فإنه لا يمكن القول أن هذا المستوى من السلام موجوداً . ويبقى السؤال لماذا قبل العرب الدعوة إلى ما يسمى بالسلام؟ .

فالعرب لم يحاربوا حتى يهزموا أو ينتصروا ليقبلوا شروط اسرائيل أو ليفرضوا الشروط عليها ليحققوا السلام المطلوب ، بدليل انه لا يمكن القول عن جسم أنه معافى وفي صحة جيدة وفيه جرثومة سرطانية تفتك به ، وقولنا ليحققوا السلام بشرط أن تعود فلسطين إلى أهلها كما يقضي جوهر السلام الحقيقي . ولو أن العرب والمسلمين حاربوا فعلاً لكان من الممكن أن ينتصروا ، لكنهم تمنعوا عن الحرب ، وبما أنهم تمنعوا عن الحرب ، فكان من الأجدر بهم أن يمتنعوا عن الدخول في ما يسمى بمفاوضات السلام لأنها اشد فتكاً بالعرب والمسلمين من الحرب الحقيقية فيما لو وقعت بينهم وبين اسرائيل لما تعنيه هذه المفاوضات من استمرار للحرب الداخلية!؟ نحن لا ندري لماذا سمح العرب لاسرائيل أن تفرقهم في الوقت التي كانت تخاف فيه أن يتوحدوا على حربها ، وان توحدهم على هكذا سلام ـ خال من القيمة

الاخلاقية ـ ينعكس حرباً عليهم وفيما بينهم؟ سلام هو اشبه ما يكون بالحرب الضروس التي لا تبقي على شيء اطلاقاً . اليس هذا يعني تفرد اسرائيل في اطلاق رموز الحرب الهادفة ليس فقط إلى هزيمة العرب والمسلمين في معركة ، بل إلى الهزيمة في الصراع الوجودي الذي من نتائجه خسارة الوجود والتحول عن موقع الشهود الذي أراد الله سبحانه وتعالى أن يميز هذه الأمة بهما . . .

الم يكن من الأفضل للعرب والمسلمين أن يحاربوا ويهزموا وان يتحولوا إلى مقاومة شعبية عمدتها إرادة البقاء والإنتصار بحيث يضطر العدو إلى الامتثال ولو لمرة واحدة إلى ما تريده هذه الأمة ، هذه الإرادة الكفيلة بأن تجعلهم في موقع الفعل دائماً لما تم تجاهلها من قبل العرب والمسلمين في الصراع مع اسرائيل ؟ فهل هي بحاجة إلى قوة عسكرية حتى يمكن ترجمتها؟ أم انها تحتاج إلى ايمان واخلاص لله تعالى؟

نعم لو عرف معنى الإيمان ، لعرف معنى السلام ، باعتبار أن الذي يعطي الأمن والأمان وحده القادر على اعطاء السلامة البريئة من كل شر . . . إن الدنيا وحبها وغرورها قتل الإرادة فينا ، فتحولنا إلى دمى والات لا فعل لها إلا بإرادة الغير الذي لا يريد لهذه الأمة امناً ولا سلاماً ، وما يمكن قوله هنا هو أن الهزيمة وقعت قبل الحرب من اسرائيل ، وقعت حينما قتلت الإرادة وحلت الفرقة ، فكانت النتيجة أن استغلت اسرائيل ومن وراءها هذه الهزيمة واعلنت حرباً بوسائل شتى وكان اخرها ما يسمى بمفاوضات السلام!!

لماذا نحن حيارى في بلاء من الشك وفي زلزال من الأمر ، لا نملك من القرار شيئاً؟ لا شك نحن كذلك لأننا تفرقنا عن الحق ، واجتمعنا على

لباطل وتحت سقوف متعددة ، لأننا لم نتوحد على حرب الاعداء ، كما توحدنا على دعوة الاعتراف بهم والتعامل معهم على أساس أن يكونوا عقولاً لنا كما في دعوة بيريز في مدريد ، فإذا كنا نركن إلى مقولة أننا ضعفاء ولا نقدر على اعلان الحرب على اسرائيل ، فلما لم يحل هذا الضعف دون دخولنا إلى مفاوضات السلام كونها تمثل حرباً جديدة؟ هل لأن الحرب الاولى عسكرية ، والثانية سياسية؟ .

نقول إن الحروب تقاس بنتائجها فأيها اخطر على العالمين العربي والاسلامي الحرب العسكرية أم حرب السلام المزعوم الذي يحاول الأعداء من خلاله الهيمنة على الاقتصاد والسياسة والثقافة وعلى كل ما له علاقة بما يميز هذا العالم عن غيره ، ولا بد من الاشارة هنا إلى أن اسرائيل عجزت عن الاستمرار في احتلال لبنان عسكرياً ، فهي عجزت عن البقاء تحت شعار الحرب وتريد أن تعود إليه تحت شعار ما يسمى بالسلام ، فهل نسمح لها بذلك . . !؟ فبما أن الضعف حال دون الدخول في حالة الحرب ، فكذلك ينبغي أن يحول دون الدخول في هذا السلام لأنه حرب أيضاً وذلك لاستحالة أن يتحول هذا الضعف إلى قوة تحت شعار السلام ، فإذا قال قائل ما هو الحل إذن؟

قلنا : إن الحل هو الامتناع عن الدخول في هذا السلام المزعوم وأن تستمر الدول العربية في تلقي اشارات ورموز الحرب من اسرائيل مثلما كانت قبل المفاوضات خصوصاً إذا عرفنا أن اسرائيل كانت ولا تزال تحارب بشروطها ، وأنها اليوم تدعو إلى السلام بشروطها أيضاً ، فلا يصدق عاقل بأن اسرائيل تدعو إلى سلام يخسرها ما كسبته في الحروب ، وإذا اردنا المبالغة نقول ان اسرائيل ـ على الأقل ـ تريد أن تحفظ ما كسبته إذا لم تكن

تريد إضافة مكتسبات جديدة . . . فلا يظنن أحدٌ بأن اسرائيل يمكن أن تعطي شيئاً في المفاوضات ، وما قدمته لياسر عرفات لا يعني في الحساب الاستراتيجي أن اسرائيل تنازلت أو خسرت ، بل يمكن ادخاله في حساب الربح لأنها اضافت إلى الحزام الأمني في الجنوب حزاماً اخر في غزة! والهدف من هذه الاحزمة الأمنية حماية اسرائيل ، وقد تقدم اسرائيل في المستقبل على إقامة حزام ثالث أيضاً . لقد خدع عرفات نفسه حينما اعتبر غزة واريحا أفضل من لا شيء وانه خطوة اولى باتجاه تحرير كامل الأرض ، فهو لو كان شيئاً في الحساب الاستراتيجي لما اعطته إياه ولو كان مبصراً لعرف أن غزة كانت وستبقى سبباً للقلق الاسرائيلي ، وكل ما فعلته اسرائيل انها احالت هذا القلق على الفلسطينين لأهداف خبيثة في نفسها ، باعتبار أن أي انسحاب اسرائيلي كانت تعقبه فتن وحروب داخلية ، فهل ينجو ياسر عرفات من هذا الفخ ويحول الصراع إلى الخارج ، أم أن الشعب الفلسطيني سيعي هذه الحقيقة ويستمر في مهمته المقدسة بالتصدي للإحتلال . . ؟

غاية القول: إن العرب لم يكونوا في حالة حرب ، ولم يكونوا يوماً في موقع الفاعل والباعث لإشارات الحرب أو السلام وبحسب اعتقادنا ـ فيما لو استمروا على ما هم عليه من ضعف وتجزئة ـ لن يكون لهم في المستقبل هذا الدور وهذه الفاعلية ، بدليل ان العرب في ظل ما توحدوا عليه من قبول دعوة امريكا للسلام!! قد دخلوا في الحرب الحقيقية ، وبما أنهم كانوا عاجزين عن الحرب في السابق ، فلا يظن أحد بأنهم سيكونون على شيء من القوة اليوم في هذه الحرب الجديدة ، لأن اسرائيل دخلت هذه الحرب بشروطها فلم يتغير شيء عند العرب والمسلمين ، فهم كانوا يبحثون عن شروط القوة واسبابها في الخارج ، وكذلك هم اليوم يبحثون عن شروط

السلام واسبابه في الخارج وكانت نتيجة ذلك كله الهزيمة في الحرب ؛ وستكون النتيجة في هذه المفاوضات الهزيمة أيضاً ، فإذا اراد العرب والمسلمون سلاماً حقيقياً ، وإذا أرادوا أن يعرفوا شروط الحرب وقوانينها والسلام وقوانينه فما عليهم إلا البحث عنها في كتاب الله تعالى «السلام المؤمن المهيمن» .

لا شك ان هذا المستوى من السلام يبعث على القلق ، لأنه لا يوجد دولتان متحاربتان تفرض كل دولة شروطها على الأخرى ، وانما هناك دولة واحدة هي في حالة حرب مع دول اخرى ليس عندها في الأصل رغبة في الحرب ، ولا هي قادرة على الأخرين من اعدوا انفسهم جيداً لحربها وإن كان لديها القدرة على القمع في الداخل فبين الحرب في الخارج والقمع في الداخل فرق كبير أما الأولى تحتاج إلى قوة الذات ، والثانية تحتاج إلى قوة الغير ، وما دام هناك دولة واحدة محاربة هي اسرائيل يقابلها دول متحاربة فيما بينها ، فإن الحقوق ستبقى ضائعة ، وبالتالي فإن سلاماً على أساس الحقوق المتقابلة لن يقوم ، وستكون نتيجة ذلك كله مزيداً من الخسائر على المستوى الوجودي وليس على المستوى العسكري والسياسي فقط لأن هذه الخسائر يمكن أن تقع في كل لحظة في جانب الحق أو في جانب الباطل لكنها لا تؤثر على المستوى الوجودي . . .

إن السلام كما قلنا لا يحتاج إلى سلاح فقط ، وانما يحتاج إلى إرادة ، وبما أن العرب لم تكن عندهم إرادة الحرب ، فكذلك لن تكون عندهم إرادة السلام أيضاً ولهذا نجد ان بعضهم قد دخل في المفاوضات نتيجة لإرادة العدم ، وحينما يتمكنون من ايجاد إرادة الوجود ، أو بالأحرى من إحيائها ، فإنهم سيقدرون حتماً على الخروج مما دخلوا فيه بسبب غياب

هـذه الإرادة ، ولا شك أن احياء هـذه الإرادة إنما يتم من خلال العودة إلى كتاب الله تعالى الذي يعطي السلامة والأمن ويحيي الإرادة التي تقدر على مصارعة الأخر . . . فالعرب لم يصلوا بعد حتى إلى هذا المستوى الذي لا يمكن أن نطلق عليه اسم السلام ، لأن هـذا الاسم ـ كما قلنا ـ مقدس ، ويحتاج إلى عالم مقدس يسعى من اجل تحقيقه على أساس الحقوق المتقابلة ، فأشارات الحرب والسلم ـ فيما لو اعلنت من احد الأطراف واستجاب لها الطرف الأخر قهراً ووصل الأمر إلى حد القبول بالشروط المفروضة ، فلا يمكن اطلاق اسم السلام على هذه الاستجابة ، لأنها تمثل حالة الهزيمة؛ والسلام الحقيقي هو أبعد ما يكون عن ذلك من حيث كونه اسماً مقدساً ويطلق على كل ما فيه العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . . .

٣ ـ المستوى الثالث: الحياد (الإيجابي والسلبي)

يبقى لدينا من مستويات السلام ما يمكن تسميته بموقف الحياد الذي يعني عدم التعامل ، وهو ما اشرنا إليه في الدلالة اللغوية ، ويتم في حالتين ، الأولى ان يقف العرب والمسلمون موقفاً حيادياً مما يجري في هذا العالم ، وبالأخص من مسألة فلسطين والوجود الصهيوني فيها ، بمعنى أن لا ينصروا قضايا العدل والإنسانية ، وان لا يدافعوا إلى جانب غيرهم عن الكرامة والسيادة كما حصل طيلة السنوات الخمسين الماضية حيث أن هناك دولاً عربية اعتبرت نفسها غير معنية بقتال اسرائيل واعترفت بها مباشرة أو غير مباشرة ، وهذا يعني في قاموسهم السياسي تحقيق السلام والاستمرار فيه كونهم يعتبرون عدم الحرب سلاماً بمعزل عن مجموعة القضايا الإنسانية الآخرى ، فاصحاب هذا الموقف الحيادي يبحثون عن سلام موافق لما يرغبون به ويطمحون إليه سواء اكان هذا السلام مع الله أو ضده ، فإذا صح

أن كل حياد سلاماً ، سواءً اكان ايجابياً أو سلبياً ، فما يكون معنى سلام الله اذن!؟

إن معنى أن نعطي السلام لإنفسنا على ضوء اهوائنا ومصالحنا الشخصية ، معناه أن الله تعالى ليس له أي دور في تحديد هذا السلام ، بل معناه ان سلام الله تعالى ليس مطلوباً إذا كان معارضاً لهذه المصالح الشخصية ! وعليه فإن الحياد السلبي الذي سمي بالسلام يمكن فهمه على ضوء هذه المصالح . اما أن يقال بأن هذا الحياد له ما يبرره في شرع الله ، وهو في اصله حياد عن الحق ، فذلك مما يمكن اعتباره تعدياً وفساداً وحرباً بوسائل السياسة ضد الله تعالى ، لأنه حياد يؤدي في النتيجة إلى تمكين العدو من الانتصار على المسلمين وعلى فرض شروطه عليهم . . . نحن في ابحاث سابقة كنا قد اشرنا إلى أن الحياد قد يكون مقبولاً فيما لو كان هناك فتن داخلية كما في قول الإمام عليه السلام كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب» فمقتضى هذا النص الحياد في زمن الفتنة وعدم المشاركة مع أي طرف من اطراف الصراع ، لأن من شأنه المشاركة أن تزيد وان تعمق الخلافات فضلاً عما يؤدي إليه من زيادة الفساد في المجتمع . . .

هناك امثلة عدة نشير إلى بعضها ، ففي حرب الخليج مثلاً حينما قام العراق بغزو ايران وقفت عدة دول عربية واسلامية على الحياد ، وبعضها شارك في هذه الحرب بحجة ان المعتدي هو ايران الإسلام ، فالذي وقف على الحياد لم يكن في الحقيقة طالباً للسلام ، وكذلك الذي شارك في هذه الحرب لم يكن طالباً للسلام أيضاً ، لأن طلب السلام يكمن في أن يحدد المعتدى ومن ثم معاقبته بالوقوف إلى جانب المعتدى عليه وهذا ما لم

يحصل طيلة سنوات الحرب ، بل حصل عكس ذلك تماماً . في حين أن غزو النظام العراقي للكويت قد حمل الدول التي كانت تقف معه في حربه ضد ايران إلى اعلان الحرب عليه ومساعدة المعتدي عليه على الرغم من أن هذه الدول ساعدة العراق طيلة سنوات الحرب مع إيران ، فالسؤال هو لماذا لم تقف هذه الدول مع ايران ضد العراق ، ووقفت مع الكويت ضده ؟

واجابة على هذا التساؤل نقول انه مثلما لم يكن الوقوف مع العراق في حربه ضد ايران طلباً للسلام ، فكذلك الوقوف ضده في حربه مع الكويت لم يكن طلباً للسلام أيضاً ، لأن السلام له ماهية واحدة وحقيقة واحدة ، فأي عقل أو شرع هذا يبيح لهذه الدول اتخاذ هذه المواقف المزدوجة حيال الصراعات بين الدول والشعوب؟

والمثال الأخر ، هو أن بعض الدول قد اعتبر اتفاق غزا واريحا شأناً فلسطينياً ، ونحن كما قال لسان حالهم ـ لا يمكننا أن نرفض ما قبله اصحاب القضية ! فهم احرار فيما يقبلون أو يرفضون ، وقد اعلن هؤلاء الحياد تحت شعار الخيار الفلسطيني ، وقليل هو عدد الدول التي رفضت هذا الإتفاق واعتبرته خيانة عظمى من مبدأ ان فلسطين هي أرض فلسطينية عربية اسلامية وليس من حق الفلسطينين وحدهم الدفاع عنها ، فالسؤال هو لماذا وقفت هذه الدول موقف الحياد اتجاه ما صنعه ياسر عرفات في (أوسلو) بتنازله عن حقوق الشعب الفلسطيني بالسيادة على كامل ارضه ؟ فأي حياد هذا يراد ادخاله تحت مفهوم السلام ، وهو في جوهره فساد لا يشبهه فساد . . . ؟

لا شك أن مواقف الدول العربية معظمها ليست ناشئة عن الضعف اطلاقاً إذ أنه لا يمكن أن ننسب هذا الحياد إلى الضعف والخلل في ميزان القوى ، مثلما أنه لا يمكن أن ننسب السلام إلى القوة والضعف ، فالحياد

الذي تمارسه بعض الدول ليس له ما يبرره إلا المصالح والاهواء الشخصية التي لا تأبه للحقوق . كما انه لا يهمها أن تكون في صراع مع العدو لأسباب عدة لا تمت إلى الإسلام ولا إلى السلام بصلة .

فأي عقل أو شرع هذا اباح للدول العربية والإسلامية ، لأغلب هذه الدول . أن تتخذ موقفاً حيادياً من اسرائيل ولم يبح لها أن تتخذ هذا الموقف من حرب العراق ضد ايران مثلاً؟

لماذا التوحد ضد إيران ، ومع الكويت ، والفرقة ضد اسرائيل ، وكما تساءلنا سابقاً لماذا الفرقة على حرب اسرائيل والتوحد على الاتفاق معها تحت شعار السلام؟

هل ان سلام الله هو الحاكم اليوم أم أن سلام الطاغوت المسلح هو الحاكم؟

من معاني سلام الله تعالى أن نقف في جانب الحق سواءً اكان هذا الحق مع قومنا أو مع قوم اخرين ، من معانيه أن نكون محايدين حينما تكون مصلحة المسلمين في هذا الحياد ، من معانيه أن لا نكون محايدين في الصراع الوجودي مع اسرائيل ، وأن لا نعترف بها وان نشارك الأخرين في هذا الصراع . . . من معانيه أن لا يؤدي هذا الحياد إلى الغاء حالة الحرب في مقابل البقاء في الحكم ، أو في مقابل اعطاء كل التسهيلات لإسرائيل كي تعزز اقتصادها على حساب شعوب المسلمين ، من معانيه أن لا يتحول الصراع مع اسرائيل إلى صراع في الداخل ، كما يحصل اليوم في اليمن وفي غير اليمن من صراعات وحروب أهلية تفوق خسائرها خسائر اي حرب مع اسرائيل . . .

اجل في الحساب الاستراتيجي يمكن القول أن ما خسره العرب والمسلمون في حروب الداخل مع بعضهم البعض وفي الحروب الأهلية يفوق أي خسارة في الحرب مع اسرائيل . فلا السلام المزعوم أدى إلى السلامة ، ولا الحياد المدعّى أدى إلى السلام ، مما يعني أن أي سلام أو أي حياد لا يأخذ بعين الاعتبار قول الله تعالى وشريعته لا يمكن أن يؤدي إلى السلامة أو إلى الأمن ، حتى أن حالة عدم الحرب التي هي من جملة معاني السلام قد تنعكس حرباً اهلية في الداخل فما يكون العرب قد طلبوه وسعوا إليه من خلال هذا الحياد المزعوم يصلون إلى مرحلة يجدون أنفسهم في حالة حرب هم اعجز من أن يتحملوا نتائجها . ما من دولة اعلنت الحياد في الصراع الوجودي مع اسرائيل إلا وكانت نتيجتة الحرب الأهلية ، وما تبقى من هذه الدول ينتظر دوره ما لم تبادر إلى الخروج عن حيادها لنصرة الحق في أي مكان من العالم باعتباره واحداً لا يتجزء: ﴿**وانَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾[1] .

جاء في لسان العرب في معنى الحياد ما يلي؟ «الحياد هو عدم تعامل أو علاقة بين طرفين كما في قوله تعالى: ﴿**وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . .**﴾[2] والسلام هنا لا بمعنى التحية ، وانما بمعنى أنه لا خير ولا شر بيننا ، وهذا الحياد يمكن أن يتم بين شعبين أو بين شخصين ، أو بين دولتين ، ويكون عبارة عن عدم موالاة قوم لقوم اخر ، بحيث تكون العلاقة بينهما مقطوعة من جهة الخير والشر معاً ، لأنه إذا كانت بينهما علاقة شر فقد يؤدي ذلك إلى الحرب وينتفي حينئذ معنى الحياد . وإذا كانت بينهما

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣. .
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

علاقة خير ، فقد يؤدي ذلك إلى الموالاة والنصرة وينتفي الحياد أيضاً، فإذا لم يكن بينهما لا خير ولا شر ، فلا يكون هناك ثمة حاجة إلى قيام أي علاقة بينهما مما يعني أن هذا الحياد لا ينطبق على وضع العرب والمسلمين اليوم مع اسرائيل مثلاً ، باعتبار أن الشر موجود وهو مطلق في فلسطين ولا يمكن ان نسلم منه لأنه يريد أن يفرض نفسه على العالم العربي والإسلامي ، وان يفرض إقامة علاقات معه ، هذا الشر لا يريد أن يبقى في فلسطين بل يريد الانتشار والاحتلال والحرب ، فلا يستطيع العرب أن يخاطبوا هذا الشر بلغة السلام ، وأن يقولوا له ابتعد عنا لا نريد إقامة علاقات معك ، وفي نفس الوقت هو يخاطب هذا العالم بلغة القوة . . . !؟

فأي حياد هذا يراد له أن يتحقق واسرائيل عازمة على التعامل معنا بلغتها **﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾**[1] **﴿سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾** ٢٨/ ٥٥. فإذا كانت هذه الآيات متضمنة لمعنى الحياد» فليس معنى ذلك أنه يمكن الحياد في الصراع معها باعتبارها شراً مطلقاً فالشر موجود ولا يتطلب سلاماً أو متاركة وتوديع تكرماً أو أمان منّا للعدو كما يريد العرب أن يفهمونا ، وعليه فإنه لا يمكن أن نقول لهذا العدو الشرير سلاماً ، أو اقبل منا حياداً ، فمن يريد مخاطبة هذا الشر بالسلام يكون اشر منه ، وكما يقول الإمام علي عليه السلام فاعل الخير خير منه ، وفاعل الشر شر منه «وكما في قول الحكيم» إن الشر لا يدفع إلا بالشر ، لأن اسلوب الخير أو السلام لا ينفع مع عدو هو بطبيعته شرير . . .

---

(١) قلنا فيما سبق ـ ان السلام هنا ليس الكلام المستعمل في التحية ، لأن الآية مكية ولم يؤمر المسلمون حينئذ أن يسلموا على المشركين . . قال أبو منصور: «تسلّم منكم سلاماً ولا تجاهلكم ، وقيل اقالوا سلاماً . أي سواءاً من القول وقصداً لا لغو فيه ، را: لسان العرب ، ج٢ م. س. ص٢٠٧٧ .

وبما أن السلام في لغة العرب أربعة اشياء ذكرناها سابقاً ، فإن للحياد في لغتهم معنيان فقط هما الحياد الايجابي والحياد السلبي؛ فإذا وجد الشر المطلق ، وهو موجود في فلسطين اليوم ، فلا مجال للعزلة ولزوم المنزل طلباً للسلامة منه ، حيث ان ذلك لا مجال له إلا حين وقوع الفتن التي من شأنها أن تذهب بريح الأمة ، لأن العزلة تسمح بانتشار هذا الشر وتمكنه من السيطرة على الواقع الإسلامي برمته ، ومن احتلال المزيد من الأراضي العربية والاسلامية ، مما يعني أنه لا وجه شرعي لأي سياسة محايدة في الصراع العربي الإسرائيلي ، فإذا حصل أن لجأ البعض إلى الحياد وامتنع عن الدخول في الصراع ، فذلك ما يمكن تسميته بالحياد السلبي الذي لا ايجابية فيه باعتبار أن ايجابية الحياد إنما تكمن في قدرة العرب والمسلمين على أن يكونوا فاعلين في السياسة الدولية من دون أن يكون للأخرين أي سلطة عليهم ، فالحياد الإيجابي ليس من معانيه أبداً معاداة العالم ولا عدم التفاعل معه ، بل هو يعني كل ذلك إضافة إلى ما يعنيه هذا الحياد من التحرر من القوة العظمى ، وقد عبر الزعيم الهندي الراحل نهرو عن هذه الحقيقة حينما كان وزيراً لخارجية بلاده بقوله: «إن سياسة الهند هي الإبتعاد عن سياسة القوى التي تتبعها الكتل المتصارعة بعضها مع بعض ، تلك السياسة التي أدت في الماضي إلى الحروب العالمية والتي قد تؤدي في المستقبل إلى دمار في نطاق اكبر»(١) .

هذا نوع من الحياد ، وهناك نوع اخر من الحياد عبر عنه مندوب مصر في مجلس الأمن الدكتور محمود فوزي ، حين علل امتناع بلاده عن التصويت بشأن مشكلة كوريا في ٣٠ حزيران ١٩٥٠ بما معناه: «إن هذا

---

(١) عن بطرس غالي السياسة الدولية العدد ٣١ يناير ١٩٧٣ ، ص١٦ .

الصراع ليس إلا صورة من صورة الحرب الباردة وان بلاده لا ترضى أن تقحم نفسها فيها وأنه كانت هناك عدة حالات عدوان على الشعوب وامتهان السيادة والوحدة الإقليمية لدول اعضاء في الأمم المتحدة ، وتلك الإعتداءات وهذا الامتهان عرضا على الأمم المتحدة ولم تتخذ بشأنها أي اجراء . ولما سأل مندوب بريطانيا في المجلس الدكتور فوزي عما يقصده بالاعتداءات التي مرت دون عقاب ، رد فوراً أنه عنى العدوان الصهيوني على شعب فلسطين المسلم»[1]

إن الأمم المتحدة التي يفترض فيها أن تكون مثالاً للحياد ، ومؤسسة قادرة على صنع السلام في العالم نجدها عاجزة عن ذلك بسبب هيمنة الباطل عليها ، فإذا أرادت امريكا واسرائيل أن يتخذ مجلس الأمن قراراً يقضي بانسحاب القوات العراقية من الكويت كان هذا القرار وكان تطبيقه ، أما إذا أراد هذا المجلس أن يتخذ قراراً بشأن الإنسحاب الإسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة ، فلا يكون هذا القرار ، ولا قدرة له على صنعه اصلاً ، وإن كان له القدرة على اصدار القرار فلا تكون له القدرة على تنفيذه . !!! فأي نوع من السلام هذا يراد تطبيقه في العالم من خلال مجلس الأمن الدولي!؟ وما يقال بالنسبة لمجلس الأمن وعنه يمكن أن يقال للدول العربية وعنها أيضاً ، فهذه الدول التي تعلن الحياد في الصراع وترى نفسها غير مسؤولة نجدها تعلن الحياد بالنسبة للصراع العربي الإسرائيلي ولا تعلنه بالنسبة للحرب العراقية الإيرانية ، بل وجدت نفسها ملزمة بدخول الصراع ودعم صدام حسين دفاعاً عن العروبة!!

إن أغلب الدول العربية ولنقل الإسلامية حتى الأن لم تخطو خطوة

(١) م . ع . ص١٧ .

واحدة باتجاه السلام المقدس ولم تتمكن من اعلان الحياد الإيجابي في كثير من القضايا والصراعات ، وقد اجبر بعض الدول العربية على المشاركة في كل شيء إلا في الصراع العربي الإسرائيلي فلم يسمح لهذه الدول بأن يكون لها موقف فيه ومنه!؟ إن الكلام قد يطول عن معنى الحياد في القاموس السياسي لبعض الدول العربية والإسلامية ، لكننا لا نريد أن نطيل الكلام فيه ، بل نقتصر على ذكر بعض التفاصيل الهامة التي تجعل من هذا البحث مشتملاً على بعض الحقائق واهم ما يمكن ذكره في هذا البحث هو أن بعض العرب لم يفهموا معنى السلام حتى الأن ، وكذلك لا يراد لهم أيضاً أن يفهموا معنى الحياد ، وقد يمكن القول ان ذلك مفهوماً لكن لا يراد لهذا الفهم أن يلامس الواقع أو أن يترجم فيه ، فكل ما له علاقة بالسلام المقدس ، أو بالحياد الإيجابي الذي يعني الحرية في دعم أو عدم دعم قضية من القضايا المطروحة للتصويت عليها ، كل ما له علاقة بذلك لا يمكن اعتباره أو الامتثال له لأنه يعني الخروج على أهل القوة! القوة المتصارعة على اقتسام النفوذ في العالم ، وخير مثال نذكره هنا هو أنه لما عقد مؤتمر باندونغ للدول الاسيوية الافريقية في نيسان ١٩٥٥ واشتركت فيه تسع وعشرون دولة ، هذا المؤتمر الذي لم يتمكن من رسم سياسة عدم الانحياز بوضوح حيث أن مقرراته لا نجد بينها أي اشارة صريحة إلى سياسة الحياد الإيجابي ، كانت تلك الدول تتحدث عن عدم الإنحياز من موقع الإنحياز ، يقول بعض المحللين السياسيين: «ان فكرة عدم الانحياز التي طرحها نهرو في باوندونغ لقيت هجوماً عنيفاً من جانب مجموعة الدول المنحازة فيه وكان من أبرز المدافعين عن الإنحياز فاضل الجمالي مندوب العراق وشارل مالك مندوب لبنان والجنرال رومولو عن الفيليبين ، هذا الصراع بين المدافعين

عن عدم الانحياز وخصومه أدى بمؤتمر باندونغ إلى عدم تبني سياسة عدم الإنحياز إلا بطريقة ضمنية وعارضة ارضاءً لأقلية في الدول الراغبة في هذه السياسة لكن الأغلبية الساحقة من الدول المشتركة في المؤتمر اصرت على تسجيل مبدأ الإنحياز وجعلت منه حقاً من الحقوق الأساسية للدول . . .»[1] .

ان اكثر الدول العربية والإسلامية كانت تتحدث عن سياسة عدم الإنحياز من موقع الانحياز وعن الحياد الإيجابي من موقع الحياد السلبي مثلما انها تتحدث اليوم عن السلام من موقع الاستسلام ، وعن الكرامة والحرية والسيادة من موقع السلب والإهانة والعبودية باعتبار أن هذه الدول قد تأطرت في إطار التبعية وصبت في قالب الرجعية وحيل بينها وبين أن تكون محايدة ايجابياً ، فهي غير قادرة على تعريف السلام ولا الحياد ، ولا الديمقراطية ، انها تجهل كل هذه المعاني أو يراد لها أن تجهلها نزولاً عند الرغبة الامريكية التي تفهم الحياد فهماً مطابقاً لمصالحها ، بمعنى انها لا ترى الحق إلا في التبعية لها والعمل من اجلها ، فالحياد والإيجابية ـ بالمفهوم الأمريكي ليس من معانيه ابداً أن تكون ضد امريكا . ومن معانيه أن تكون ضد روسيا مثلاً ، أن تكون ضد ايران وليس ضد اسرائيل ، أن تكون ضد نفسك وليس ضد غيرك ممن يعتدي عليك ويصادر حقك في الوجود والكرامة والمصير . . !؟

من هنا نجد اختلاف ردود الفعل في الكتلة الغربية بخصوص سياسة عدم الانحياز ، تلك الدول التي تراوحت بين التذمر والعداء الشديد لكل

---

(١) را: جولة في السياسة الدولية: حسن ابراهيم ، وعزيز شكري ، سيف عباس ، الدار المتحدة للنشر ص١٨٥ .

الدول التي تريد تحقيق هذه السياسة! وفي وقت من الأوقات هاجم (جون فوستود الاس) وزير خارجية امريكا الأسبق دول عدم الإنحياز وأدانها بما اسماه بانتهازيتها ولا اخلاقيتها لأنه لا مجال للحياد بين الحق والباطل على حد قوله»[١] ، خلاف ما فعله الإتحاد السوفياتي السابق من احترام هذه السياسة (عدم الإنحياز) وإن لم يرحب بها ، كما انه لم يتخذ منها موقفاً عدائياً لما كان له من انعكاسات على نفوذه في البلاد التي حضرت المؤتمر ودعت إلى هذه السياسة . . .

اليس مؤسياً فعلاً أن يدعو وزير خارجية امريكا أنذاك إلى عدم الحياد السلبي الذي يتمثل بانتهاج سياسة مستقلة وغير تابعة لامريكا؟ .

ألا يولد هذا الإدعاء شيئاً من الانقباض عند الشعوب العربية والإسلامية حينما تسمع هذه الشعوب بانه لا مجال للحياد بين الحق والباطل بين الحق التي تمثله امريكا ، والباطل الذي يمثله سواها؟ . إن معنى الحياد في المفهوم الأمريكي أن ينحاز هذا العالم الثالث إليها ، وأن يكون معها في السراء والضراء ومؤيداً لسياستها ، ومصوتاً دائماً لمصلحتها ، وقد رأينا ـ فيما سبق ـ كيف أن المندوب البريطاني امتعض من كلام المندوب المصري في مجلس الأمن حينما رفض اقحام مصر في التصويت بشأن مشكلة كوريا . !!؟

ليس من الحق ابداً أن يمتنع هذا العالم العربي والاسلامي عن التصويت إلى جانب قوى الشر العظمى ، كما أنه ليس من الحق ابداً أن يتساءل احد عن الأسباب التي تحول دون اتخاذ أي اجراء بشأن الإعتداءات

---

(١) م . ع . ص ١٨٧ .

الإسرائيلية على البلاد العربية!!

في المفهوم الأمريكي لا يحق أبداً لدول عدم الإنحياز أن تكون حرة في التصويت أو مقررة عن نفسها فيما يختص بشؤونها وقضاياها ، إن عالماً يتلقى المعونات من آمريكا لا يحق له أن يستقل عنها أو أن ينفرد بقراراته(١) .

في ختام معنى الحياد نقول انه لا بد من نهج سياسة جديدة أو من تعريفات جديدة للسلام وللحياد ، وللصلح ولكل هذه المفردات التي شوّهت ولم يعد يعمل بمضمونها الحقيقي. وبما أن اللغة تعكس رؤية حضارية معينة ، وتعبر عن الجماعة ، فإنه من الممكن العودة الى المعنى الحقيقي لهذه الكلمات لعل ذلك يفيد في بلورة مفاهيم جديدة، فإذا كان لا بد من السلام فليكن هذا السلام مقدساً أو على الأقل مراعياً لحقوق الناس جميعاً بغض النظر عما إذا كانوا ضعفاء أو أقوياء، فالسلام هو السلام والحق هو الحق، والباطل هو الباطل، والإنسان هو الانسان المكرَّم من قبل الله تعالى. ليست المعونات الاقتصادية هي التي تحدد ماهية السلام، ولا القوة العسكرية ولا الثروة المادية أو غير ذلك بما تمتاز به أوروبا اليوم. فالسلام لا ولن يتحقق، ما دام هناك من ينطلق لتحقيقه على أسس مادية تذهب بالانسان وتحوله الى سلعة يشتريها من يملك المال مهما كان ثمنها!!؟

إن طبيعة السلام من طبيعة الإيمان، ومن طبيعة الحياة؛ والمشاركة فيه انما تتم من خلال التفاعل التام بين الشعوب، لأنه بمجرد أن يشعر

---

(١) لعل الهجوم الأمريكي على دول عدم الإنحياز سببه أن عشرين دولة من مجموع الدول المشتركة في المؤتمر نالت في عام انعقاده معونات اقتصادية مباشرة من الولايات المتحدة قدرها ٥٠٠ مليون دولار. . . را: م . ع . ص ١٨٤ .

الانسان ان سلاماً ما لا يحقق له ذاته، ويسلبه حقه، لا بد أن يثور على هكذا سلام، فهو لكي يكون عادلاً وشاملاً يجب أن يكون قائماً على أساس الحقوق المتقابلة بعيداً عن سلطان القوة والقهر.

وكذا ما يقال بالنسبة للحياد، ونقول نعم لا مجال للحياد بين الحق والباطل، لكن الحق ليس مع أمريكا ولا مع إسرائيل ولا مع أي طاغوت يحكم بما لم ينزله الله تعالى، وانما هو مع أولئك الذين آمنوا بالله، واحترموا الانسان ودافعوا عن حقوقه، وجاهدوا من أجل الحرية والكرامة والسيادة وتحرير الأرض، فهو لكي يكون إيجابياً يجب أن يكون قائماً على أساس مراعاة الحق إينما كان ومع أي جهة كان ومع أي إنسان كان، وبما أن السلام هو سلام الله، وبما أن الله هو الذي يعطي السلامة والأمن، فعلى الإنسان أن يستمر في الحرب حتى تحقيق السلام العادل والشامل... فالحياد الإيجابي هو مستوى من مستويات السلام المقدس، فإذا انتفت عنه الإيجابية انتفت عنه القداسة...

٤ ـ الصراع التفاوضي: المستوى الرابع

من مدلولات السلم أيضاً ومستوياته الصلح الذي يعني دخول المتحاربين في ترتيبات من شأنها وقف الحرب العسكرية وتحقيق الحد الأدنى من السلام الذي يسمح للطرفين بالتفاوض من أجل حل المشاكل العالقة بينهما بغد التأكد من عدم جدوى الاستمرار في الحرب لاستحالة تغلب أحد الطرفين على الآخر، فيدعى الى التصالح على أساس أن يستمر التنازع بوسيلة أخرى ويطلق عليها اليوم في السياسة شدّ الحبال، بهدف تحقيق عدة مكاسب لم يكن ممكناً تحقيقها بالقوة المسلحة. ان التكافؤ لدى

الأطراف وعدم القدرة على الحسم يحتم اللجوء الى هذه الترتيبات بهدف ان تستمر الحرب بوسيلة اخرى، وهو ما يطلق عليه اليوم في العلاقات الدولية الصراع التفاوضي، وفي جميع الأحوال يبقى هذا الصراع أفضل من غيره وتبقى نتائجه أسلم بكثير من نتائج الهزيمة في الحرب، لأن الهزيمة في الحرب لا تحمل المنتصر على الدخول في صراع آخر تفاوضياً، بل تؤهله لأن يفرض شروطه. ولإدارة عملية الصراع بمفرده دون الأخذ بعين الاعتبار ما هو عليه المهزوم، ومن دون لحاظ أدنى مصلحة له. ونحن بدورنا كنا نتمنى لو أن الصراع العربي الاسرائيلي قد أخذ هذا المنحى ووصل الى هذه الدرجة؛ درجة التكافؤ في الصراع التي تدفع بالعرب والمسلمين الى التفاوض من موقع عدم القدرة على الانتصار على العدو، وما يجري اليوم هو في حقيقته تفاوض من موقع الهزيمة، لكن من أين يكون للعرب ذلك وهم في الهزيمة قبل أن يدخلوا في الحرب مع إسرائيل بسبب التفرق وانعدام الوحدة وعدم الإستعداد المادي والروحي... هذه الأمنية أن يكون العرب والمسلمون في موقع الدفاع وليس في موقع النصر ما زالت امنية... وهي يمكن أن تتحقق لكن ليس على يد مَن سبَّب الهزيمة وأدخل العباد والبلاد في مفاوضات تجهز على ما تبقى من الكرامة والحرية والسيادة. إن المهزوم فيما لو سمح له بالدخول في صراع تفاوضي، أو في تحقيق ترتيبات معينة لا يسعه أن يطالب بأكثر من الهزيمة، ومن العبث بل من الحمق القول ان المنتصر يدخل في تفاوضات مع المهزوم لأجل أن يخرجه منتصراً! فالمفاوضات تتم لأجل التأكد من الهزيمة على جميع المستويات بعد أن تأكد منها المنتصر على المستوى العسكري. فالغرب واسرائيل يسميان ما يجري الآن بالتفاوض إلا انه في حقيقته ليس تفاوضاً، لأن التفاوض

الحقيقي معناه أن يدخل العرب والمسلمون في الصلح بشروطهم ، من موقع ما تبقى لهم ولم يهزموا فيه أقله الإرادة التي لا يمكن للمنتصر عسكرياً ـ إذا كانت قوية مؤمنة ـ أن يكسرها؛ فلو أن التفاوض مع إسرائيل يتم من خلال هذه الارادة وغيرها لكان من الممكن أن يحقق للعرب شيئاً، ومن أين لهم ذلك وقد حلت إرادة العدم مكان كل شيء . . .

إذن ليس هناك إرادتان متساويتان تتنازعان للحصول على أكبر قدر من المكاسب، فالعرب اليوم لا يمثلون إرادة مساوية لإرادة إسرائيل، وما يجري مثلما أنه لا يسمى تفاوضاً كذلك لا يمكن أن يسمى تنازعاً لانعدام الارادة، ولهذا السبب وغيره ليس من الجائز أبداً تسمية ما يجري بالصلح لأسباب عدة أولها: ان العرب في هذا الذي تسميه أمريكا بالصلح أخذوا قهراً وأسلموا أنفسهم للمفاوضات الجارية عجزاً، وامتثلوا الى قول الله تعالى عكسياً، فبدل أن يلقي إليهم العدو السلم، ألقوا اليه السلام، وبدل أن يعتزلوه اعتزلهم على طريقته واختزلهم أيضاً. اختزل فلسطين كلها بغزة وأريحا، ومصر بسيناء، ويسعى هذا العدو جاهداً اليوم لأجل اختزال لبنان وسوريا وما تبقى من الدول العربية بوسائل مختلفة .

ومن جملة ما صرّح به عن نيته في اختزال سوريا مثلاً انه مستعد لأن يبدأ بالسلام مع سوريا تحت شعار مجدل شمس أولاً ظناً منه بأن الجولان يمكن أن يكون غزة، وحافظ الأسد يمكن أن يكون ياسر عرفات، والحق يقال: ان الجولان ليس غزة، ولا حافظ الأسد هو ياسر عرفات فلكل منهما دوره وتاريخه ومفهومه للسلام .

أجل العرب لم يؤخذوا عن صلح، وانما أخذوا قهراً وسلموا عجزاً، وهذا الفهم هو من مداليل اللغة أيضاً حيث جاء في اللسان في معنى قوله

تعالى: ﴿والقوا اليكم السَّلم﴾ أي الانقياد، وقولنا ان العرب اخذوا قهراً، انما نعني به انهم لم يجرِ معهم حرب إذ انه لا يمكن اعتبار ما حصل نتيجة لحرب، وانما هم عجزوا عن دفع العدو وعن النجاة منه فأخذوا أسرى واتفق على تسمية هذا الأخذ وهذا القهر وهذا الاستسلام والإنقياد صلحاً، ومما جاء في اللسان أيضاً في حديث الحديبية: انه أخذ ثمانين من أهل مكة سِلمَاً، قال ابن الأثير يروي بكسر السين وفتحها، وهما لغتان للصُّلح، فصلح العرب اليوم هو أشبه ما يكون بثمانين أهل مكة، فلم يؤخذوا عن صلح، وانما أخذوا قهراً، واتفقوا مع أمريكا على تسمية ما يجري بالصلح خوفاً من أن يؤسروا أو يقتلوا في الحرب، فاختاروا هذا الصلح وأسلموا أنفسهم عجزاً، فقد صولحوا على ذلك، كما ورد في اللسان.. لا بد من التعجب والاستفهام مما يجري تحت شعار السلام، وهم يعتمدون في اطلاق الكلمات، وفي كتابة المصطلحات على جهل العامة باللغة العربية، ويبحثون عن كلمات تعكس رؤيتهم للأمور بعيداً عن أي رؤية حضارية أو عن أية دلالة حضارية سبق لها أن أنتجت هذه الكلمات للكون وللذات وللآخر، ولهذا قيل ان التحليل اللغوي يمثل احد المداخل المهمة لمعرفة موقف حضارة ما من بعض القضايا، كيف تصورتها وفكرت فيها وعبرت عنها..، ولهذا السبب نحن نعتمد في تحليل صلح العرب على القواميس اللغوية لنبيّن مدى جهل هؤلاء الحكام باللغة حيث انهم جعلوا منها مجرد قالب شكلي تصب فيه الألفاظ من دون أن يكون لها أي تعبير أو معنى...

إن صلحاً يختزل الوجود الاسلامي ويلحق به هذه الخسائر، لا يمكن أن يكون صلحاً معبراً عن ارادة قوية، أو عن موقع مميز، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السَّلَمَ فما جعل الله لكم

عليهم سبيلاً﴾[1] أليس مؤسياً أن يعتزل العرب المسلمون، وان يلقوا السلم للأعداء تحت شعار الصلح والسلام والحياد وغير ذلك؟

أليس مؤسياً ان يختزل هذا العالم ويدعى الى عقل اسرائيل كي يرتب أموره ويستثمر خيراته؟؟

لماذا ألقوا السلم وهم أصحاب السلام والحرب؟

لماذا تحققت الهزيمة على مستوى الوجود حينما حول الصراع من صراع وجودي الى صراع سياسي. . ؟؟

لماذا نؤخذ سلماً ونختار الكلمات دون أن نفقه لها أي معنى؟

لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

لماذا نختار الذل والهزيمة الوجودية على أن نؤخذ أسرى أو نموت؟ ألا يوجد ما يحملنا على الذكرى والتذكر فنستذكر قول الحسين بن علي عليه السلام: ألا ان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منّا الذلة!!

لماذا نطلب النجاة ممن لا سلام لهم لا في الدنيا ولا في الآخرة؟ أليس من الممكن أن نختار مصارع الكرام على اللئام؟

بلى من الممكن ذلك لكننا اخترنا واعتقدنا ان السلام ليس سلام الله، وان الله تعالى لا يخلصنا من المكروه، وانه لا يملك السلام، فأوردنا أنفسنا مورد الهلكة. . . بقولنا السلام على إسرائيل ومن اتبعها بدل قولنا: والسلام على من اتبع الهدى، وتجرأنا على الله تعالى بإلقائنا السلم الى مَن لا سلام

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٠.

لهم من الله . . . لقد تجرأنا عليه بأن أعطينا اسرائيل السلام ومنحناها الأمان، وهذا ما لم ينزل الله به من سلطان، ولم يأمر به بل نهى عنه، وتوعَّد من فعل ذلك بالعذاب العظيم ﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء. . .﴾ .

إرادة عدم، وصلح مليء بالآفات يدخل الفساد على النفس والدين والمجتمع. . . ثاني الأسباب التي تمنع من تسمية ما يجري بالصلح ان الأمة ليست هي التي اختارت أن تؤخذ قهراً وان تسلم عجزاً طلباً للنجاة. . . وانما الأنظمة الحاكمة هي التي اختارت هذا الصلح المليء بالآفات المنذر بالمفسدات، وهذا ما أطلق عليه الشيخ شمس الدين اسم ضرورات الأنظمة، تلك الضرورات التي حملت الأنظمة على التحدث بلغة الأمة العاجزة والمهزومة، بلغة تخلط بين ما هو للنظام وما هو للأمة، رغم ان العدو يعلم علم اليقين بأن ضرورة النظام لا تلزم الأمة وليست بديلاً عن خيارها، كما أنه يعلم أيضاً بأن ما يعقده النظام ليس من الضرورة أن يكون معترفاً به من قبل الأمة، فإذا قلنا ان النظام دخل في المفاوضات الجارية، فليس معنى هذا ان الأمة قد دخلت في هذه المفاوضات، حتى ولو دخل البعض منها الى هذه المفاوضات، باعتبار ان المؤمنين لا يمكن أن يمثلوا بمجموعة صغيرة توالي النظام وتعترف بشرعيته. إن سلم المؤمنين واحد، لا يسالم مؤمن دون مؤمن، أي لا يصالح واحد دون أصحابه وانما يقع الصلح بينهم وبين عدوهم باجتماع ملئهم على ذلك، من هنا فان وثيقة المدينة التي صاغها النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وبين المسلمين واليهود أكدت على أنه لا يجوز لجماعة أو فئة أن تقرر السلم والصلح دون بقية الأمة، فقرار السلم قرار اجماعي ليكون مؤكداً أنه في صالح الأمة ولكي يكون مسؤولية كل أفراد الأمة، فهو حالة مصيرية كحالة الحرب تماماً لا

يجوز لفئة أن تتفرد به دون بقية المسلمين. . .

فقول القائل ان هناك جزءاً من الأمة وجزءاً من الفقهاء الممثلين لهذه الأمة قد اعترف بشرعية السلام مع اسرائيل، قول لا يمكن اعتباره دليلاً على شرعية هذا السلام، لأن أغلب الأمة لم توافق عليه، وبالتالي فهو غير ملزم لها ولا تتحمل المسؤولية عنه، لا لأنها لا تريد السلام، بل لأنها لا تريد الذل والهوان والاستسلام والانقياد، اذ كيف يكون لها ذلك وهي خير أمة أُخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وقد جعلت أمة وسطاً وشاهدة على سائر الناس، بما تميزت به هذه الأمة من لدن الحكيم ﴿**الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن. . .**﴾ ان الأمة الاسلامية لا ترى تحققاً لهذا السلام حتى ولو انسحبت اسرائيل من كل الأراضي العربية وبقيت في فلسطين. باعتبار ان معنى السلام العادل والشامل والدائم ـ كما بيّنّا سابقاً ـ ان تعود الحقوق الى أصحابها الى الفلسطينيين، والى المسلمين في أن تكون لهم السيادة على كل المقدسات وبخاصة القدس. فالسلام ليس كلمة تقال باللسان، أو اتفاقاً يتضمن بعض البنود!، أو شعارات وجولات مكوكية بين مدريد وواشنطن وأوسلو والقاهرة، أو بين اسرائيل وسوريا. وانما هو الاحتكام الى شرع الله وابقاء الصراع الوجودي مفتوحاً مع اسرائيل الى أن يتحقق الانسحاب الكامل من فلسطين، السلام معناه في قاموس الأمة اللغوي والشرعي ان يلتزم الحكام بقوله تعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً**﴾[1] وليس معناه أبداً أن نستمع الى نصائح الدول العظمى، والى مقررات مجلس الأمن الدولي، وغير ذلك مما دفع أغلب شعوب العالم

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

الفقيرة الى الاستسلام والاذعان لإرادة الأقوى. ان اسرائيل تعلم ـ كما أسلفنا ـ ان الأمة غير ملتزمة بما أدت اليه ضرورات الأنظمة وبما انبثق عنها، وهذا ما صرح به رابين لاحدى الصحف القطرية بقوله انه لا شيء يضمن استمرار هذه الاتفاقات بعد زوال الأنظمة المعقودة معها، لأن هذه ـ كما يقول ـ تمت في ظل غياب الديمقراطية! وفي هذا ما يدل على أن اسرائيل متيقنة من ان صلح الأنظمة غير صلح الأمة، وسلام الأنظمة غير سلامها، فإذا كانت اسرائيل نفسها تعلم ذلك، فكيف يتجرأ أهل النظام على اعتبار ضروراتهم ونتائجها موافقة لخيارات الأمة وممثلة لها؟ ان اسرائيل يهمها أن تكون الأمة موافقة على الدخول في صلح معها وان يكون النظام ممثلاً للأمة ومقرراً عنها في واشنطن، وفي مدريد، حيث تعقد مؤتمرات ما يسمى بالتسوية السلمية. لكن هيهات ان تنسجم خيارات الأمة مع ما تقرره الأنظمة أو أن يكون معنى السلام أو الصلح المزعوم موافقاً لما تريده الأمة أو تطمح اليه. إن السلام مع الله شيء ومع إسرائيل شيء آخر، فالسلام مع الله انما يعني السلام والأمان، في حين ان السلام مع اسرائيل يعني الشر والهزيمة والتسلط وذهاب الدين والوحدة. فإذا أردنا سلام الله فلنحكِّم سلامه وكتابه واحكامه ﴿**ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**﴾ وإذا أردنا سلام الشيطان والطاغوت فلنحكِّم إسرائيل ﴿**فما لكم كيف تحكمون**﴾ وما تسالمون عليه انه ظلم وفساد كبير.

ان عدم دخول الأمة في هذا الصلح لا يجعلها مسؤولة عن شيء إطلاقاً، لأن هذا الصلح لم يؤخذ بقرار اجماعي، بل تفردت به الأنظمة وهي تحاول ان تلزم به الأمة طوعاً أو كرهاً، لكن بحمد الله لم ولن يأخذ هذا الصلح شرعيته لأنه غير متضمن لسلام الله تعالى، ولنفرض أن بعض الأمة

أعطى لهذا الصلح شرعيته، فهذا لا يعني أنه أصبح شرعياً وملزماً، اذ لا شرعية لشيء قبل العرض على كتاب الله تعالى، فإذا كان موافقاً لكتاب الله عُمل به ولُجأ اليه، أما إذا كان مخالفاً للكتاب والسنة والعقل، فلا تكون له أية قيمة على الإطلاق، وإلا إذا سمينا كل ما يتفق مع مصالحنا وأهوائنا صلحاً وسلاماً وأعطيناه الشرعية على أساس ذلك، فما يكون معنى كتاب الله ومعنى هيمنته وسلامه والاحتكام اليه؟ . . .

غاية القول ان ما تقوم به الأنظمة وما توافق عليه من اتفاقات ومعاهدات سياسية وعسكرية وأمنية. . . لا يلزم الأمة في شيء وهذا ما يجعلها في حِلّ من كل مسؤولية. وفي نفس الوقت لا يحق للأنظمة أن تتفرد في هذا الصلح لأنها غير قادرة على الوفاء بوعودها أو بالتزاماتها بمعزل عن مساعدة الأمة. إن كل ما تقدم يحملنا على التأكيد ان ما يجري لا يجيز تسمية الإنقياد بالصلح أو بالسلام. أما ثالث الأسباب التي لا تجيز تسمية ما يجري بالصلح أو بالسلام، فهو ان الصلح لكي يكون صلحاً، كما بيَّنّا في أبحاث سابقة، لا بد وأن تكون هناك إرادتان متساويتان تتنازعان للحصول على أكبر عدد من المكاسب، وبما أنه لا وجود لإرادة العرب اليوم، وإرادة العدو هي التي تنازع وتفاوض وتساوم دون وجود إرادة مقابلة لها تدافع وتنازع وتعارض، فإن أية مكاسب لا يمكن الحصول عليها في ظل انعدام هذه الارادة عند العرب والمسلمين التي تكاد تصل الى العدمية لولا بعض المؤمنين الذين يتحركون في الواقع لأجل حماية ما تبقى من مقدسات هذه الأمة، قد يكون هناك امكانية لتسوية ما في ظل وجود إرادتين قويتين، لكن حتى هذه التسوية تبدو للعاقل غير ممكنة، ومن الفقهاء من رفض تسمية ما يجري بالتسوية، فكيف يمكن أن يقال عنه انه صلح أو سلام؟ فالفرق بين

التسوية والصلح واضح، حيث ان من معاني الأولى أن يتنازل كل طرف عن بعض حقوقه لأجل الوصول الى حل وسط يضمن لكل طرف بعض حقوقه، والحق يقال انه من منظور إسلامي لا يمكن أن يتنازل صاحب الحق عن حق من حقوقه. بمعنى ان الإسلام ومقتضيات السلام الحقيقي لا تجيز لمسلم أو مؤمن أن يتنازل عن أي حق من حقوقه لمصلحة اسرائيل لأن هذه الأخيرة ليس لها أي حق في هذا العالم، وهي دخيلة عليه، وقد زرعها الاستعمار لحماية مصالحه. أما التسوية التي من معانيها الترقيع والتنازل والقبول بالحل الوسط، أو بأنصاف الحلول ليست مبررة شرعاً ولا يمكن العمل من أجلها، باعتبار ان هناك عدواً غاصباً للأرض وليس له حقوق في هذه المنطقة، فإذا تنازل العرب والمسلمون له عن بعض حقوقهم أو تنازل العدو عما يدعيه لنفسه من حقوق، فذلك كله يؤدي الى أن تكون أكثر الحقوق وأكثر المكاسب للعدو لأنه في الأصل لا حقوق له إطلاقاً، فعلى ماذا تجري التسوية إذاً. ؟ لكن حتى هذه الأخيرة غير ممكنة في ظل ما هم عليه. العرب والمسلمون من ضعف وتجزئة وانعدام إرادة، فإذا لم يكن هناك سبيل الى التسوية فمن باب أولى ان لا يكون للصلح سبيل أيضاً، بمعنى ان الصلح من شأنه أن يلغي حالة الحرب، وان يعطى لكل طرف حقوقه من دون أي تنازل حتى عن حق واحد لا في الحرية، ولا في الكرامة، ولا في الوجود والمصير، ولا في السيادة، فهو يحفظ حقوق الجميع خلاف التسوية التي تترتب فيها الأمور على أساس ان كل طرف من الأطراف المتحاربة والمتصارعة سواء في حالة الحرب أو في حالة النزاع التفاوضي، يمكنه أن يحفظ لنفسه من المكاسب ما يقدر معه على إلحاق أكثر الضرر بالطرف الآخر بعد تحصيله أكبر عدد من المكاسب. إن التسوية ـ فيما لو تمَّت بين

إرادتين متحاربتين ـ لا يمكن أن تنتج صلحاً أو سلاماً، بل هي مقدمة لحرب اخرى ولنزاع آخر، هذا فضلاً عما تعكسه هذه التسوية في الداخل من حروب وصراعات أهلية بسبب قبول البعض بها ورفض البعض الآخر لها، في حين ان الصلح ـ فيما لو كان حقيقياً ـ ليس من شأنه ان يعكس هذه الصراعات لأنه يحصل بموافقة الأمة كل الأمة ولا يترشح عنه أي خطر بسبب اتفاق الأمة كلها على أن تقوم بمسؤولياتها. . .

ان العرب يطلقون على التسوية الجارية الصلح ويعتبرونه سلاماً، فهم غير قادرين على الفصل بين التسوية والصلح، وهنا نحن نسأل هل من معاني التسوية أن يبقى الحق حقاً، والباطل باطلاً، والعدل عدلاً والظلم ظلماً؟

أليس من معانيها ان يشاب الحق بالباطل والعدل بالظلم، بحيث يؤخذ من هذا ضغث ومن ذاك ضغث يجمعان معاً، وعندها يصعب التميز بين ما هو حق وما هو باطل!!!

أليس من معاني التسوية ان يزواج بين العدل والظلم، بين الحق والباطل لدرجة قد يتحول الظلم فيصبح عدلاً، والحق فيصبح باطلاً، كما يحصل اليوم في غزة وأريحا وفي أكثر من منطقة في العالم!؟

نحن لا ندري كيف سميت التسوية بالسلام أو بالصلح. انها تسوية يراد بها ومنها تكريس الهزيمة واعطاء الحق لمن هو شرّ مطلق، أو لنقل انه يراد بها إلغاء الحق العربي والاسلامي في فلسطين تمهيداً لإلغائه في أماكن اخرى خارج فلسطين. . . تسوية تبرر الهزيمة، ولا يراد منها اعطاء أية فرصة لأصحاب الحق كي يطالبوا بحقهم في المستقبل. . .!؟

٥ ـ معنى التسوية

إذا كان يراد تسمية ما يجري بالتسوية من قبل الأنظمة ومن يقف وراء الأنظمة، فالهدف من وراء ذلك كله خدع الأمة لأجل أن توافق على مشروع التطبيع مع العدو، وما يؤسَف له هو أن بعض الأمة انخدع بمقولة التسوية وأعطاها معنى السلام، والصلح، وهذا البعض مستعد لأن يكون لصاً يساعد اسرائيل في الداخل كي تتمكن من أن تشاركنا فيما تبقى عندنا من أرض ومياه وإمكانات. إن أخطر ما يهدد الأمة هو أن يتكاثر اللصوص في الداخل، وان يتحول هؤلاء الى وضع يؤهلهم لأن يتحدثوا باسم الأمة تحت شعار التسوية والسلام وتطوير الاقتصاد وإلغاء حالة الحرب مع إسرائيل والتعامل معها. . . !

أجل إن التسوية التي يعمل لها الآن في العالمين العربي والإسلامي هي في حقيقتها لصوصية وفنّ يسعى من خلاله الى إجهاض مشروع الأمة الذي يطل برأسه من أكثر من مكان في العالم الاسلامي، فاذا كان من شأن التسوية أن تعرض هذا المشروع الحيوي لمزيد من التقهقر والتراجع، فلا يبقى مجالٌ لها عند أصحاب هذا المشروع، وهذا يعني فيما يعنيه ان التسوية لا يمكن أن تتم في ظل الرفض لها من قبل الأمة التي قلنا ان الصلح لا ينعقد إلا بقرار اجماعي يتحمل مسؤوليته كل أفراد وجماعات الأمة، وكذلك التسوية هي أيضاً لا تتم إلا إذا أجمعت الأمة على قبولها. وهنا نعود لنؤكد على ما أكدنا عليه سابقاً من أن الأنظمة لم تحارب إسرائيل ولم يقتصر ذلك على نفسها فقط. بل منعت الأمة من أن تكون في حالة حرب معها بوسائل عدة وأهم هذه الوسائل كانت وسيلة الترف التي حاولت الأنظمة من خلالها إفقار الأمة ومنعها من توفير القدرات اللازمة لمواجهة المشروع الصهيوني، إضافة الى وسائل اخرى كان لا بد منها في الطريق الى التسوية بين صاحب

الحق واللص التلمودي. إن العقل العربي الذي عمل ويعمل من أجل إنجاح هذه التسوية اعتمد هذه الوسائل الترف وغيره وهو يدرك تماماً انها لا تصنع إرادة قوية تمكن العرب والمسلمين من إن ينازعوا العدو للحصول على مكاسبهم، أو للدفاع عن وجودهم؛ وليس من الغرابة في شيء أن نقول ان الأنظمة أُعدت خصيصاً للقيام بهذه المهمة للحيلولة دون وصول الأمة الى موقع يؤهلها للنزاع والتفاوض تمهيداً لإقامة السلام العادل والشامل...

ومن المفيد جداً هنا الدخول مجدداً الى المدلول اللغوي، فنقول: ان التسوية من معانيها الحقيقية أن تكون الأطراف ـ سواء أكانت في حالة حرب أو سلام ـ صاحبة حق، وحينما يجور أحد الطرفين بحيث يأخذ أكثر من حقه، تحصل التسوية بينهما ويجري الصلح على أساس أن يصل كل صاحب حق الى حقه، وإن حصل تنازل ما عن بعض الحقوق، فقد تقبل التسوية وتكون مشروعة لأنها حصلت مع أصحاب حق، اما ان تتم هذه التسوية بين صاحب الحق، وبين من لا حق له مثل إسرائيل، فذلك يعتبر مصادرة للحق من أهله... ليس الأمر بين العرب والمسلمين واسرائيل سواء، أو كما في قول الله تعالى: ﴿ليسوا سواءً...﴾ بمعنى انه لا يمكن المساواة بين صاحب الحق واللص، فإذا كان الهدف من التسوية ان يتساوى العرب والمسلمون مع اسرائيل، فذلك مما يجعل منها تسوية غير شرعية فضلاً عن انها تسوية تمكن العدو من أن يرتفع الى مستوى الانسانية، يقال في اللغة كما في لسان العرب: «ساويت هذا بذاك إذا رفعته حتى بلغ قدره ومبلغه» وقال تعالى: ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾[1] أي سوى بينهما حينما رفع السَّدَّ بينهما، وساويت بين الشيئين إذا عدّلت بينهما

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٦.

وسوّيت»[1].

لا أحد ـ كما يقول الفقهاء ـ يملك شرعية رفع اسرائيل الى مستوى الانسانية أو أن يساوي بينها وبين المسلمين بحيث يكون لها ما لهم وعليها ما عليهم، لأنه في الأصل ليس لها شيء إطلاقاً، وما يقدم لها اليوم تحت شعار الصلح أو التسوية لا يمكن اعتباره عملاً شرعياً. كما أنه يبقى حقاً للعرب والمسلمين، وان أي عقد أو اتفاق لا يمكنه أن يزيل هوية تراب فلسطين أو أن يساوي بين مجتمع إنساني جعله الله خليفة له في الأرض وبين مجتمع متوحش حيواني لا يشمله مبدأ الإستخلاف قال الله تعالى: ﴿**ليسوا سواء من أهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين**﴾[2].

نلاحظ ان هذه الآيات جاءت بعد قوله تعالى: ﴿**ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**﴾[3].

بعد أن بيّن الله تعالى استحالة إقامة سلام مع اليهود بسبب اعتدائهم وكفرهم وقتلهم للأنبياء بغير حق، قال تعالى ليسوا سواءً. . . مما يعني ان أهل الكتاب فيما بينهم ليسوا مستوين، ولا يمكن رفع أمة قائمة تأمر

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ج٣، ص٢١٦١ مادة (سوا).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله الى مستوى أمة ضربت عليها الذلة أينما ثقفت إلا بحبل من الله وحبل من الناس[1] . . .

---

(١) تجدر الاشارة هنا الى ان اسرائيل تفاوض العرب على أساس انها هي التي تعطي الأمن والسلام، وقد صدق بعض العرب ذلك، وهذا البعض دخل في مفاوضات سياسية واقتصادية وعسكرية معها ظناً منه بأنها صاحبة الحرب والسلم ولديها القدرة على ان تعطي من الأمن والسلام ما لا يعطيه الله سبحانه وتعالى! وقد تحول هذا الظن الى يقين عند ياسر عرفات فباع اليقين بالشك والعزيمة بالوهن وانتهى أمره الى ما انتهى اليه من خيانة لأقدس قضية على وجه الأرض. إن الشك بقدرة الله حمل هؤلاء على ان يقبلوا بالسلم الاسرائيلي الذي من شأنه أن يمنع فيض السماء، وسلام السماء عنهم، باعتبار ان عليهم أن يختاروا بين سلام الله تعالى وبين سلام الناس (اسرائيل وأمريكا ومن يدور في فلكهما)، فإذا كان الاختيار لسلام الله، فإن هذا يقضي بأن يكون العرب والمسلمون في حرب مع الذين أخرجوهم من ديارهم وظاهروا عليهم، وإذا كان الاختيار لسلام الناس الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة فإن هذا يقضي بأن يكونوا في حرب مع الله تعالى لما بيناه وسنبينه من أن سلام الله شيء وسلام الذين أشربوا العجل في قلوبهم شيء آخر، وقوله تعالى: **﴿إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾** هو يتضمن هذه الحقيقة ان حبل الله غير حبل الناس وسلامه غير سلامهم وأمنه غير أمنهم، سلامه وأمنه انما يكونان بأن يعتصم الناس بحبله، أي بحبل الله تعالى لقوله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾** بينما سلام الناس وأمنهم هو ان يعتصم الناس بحبال بعضهم البعض بمعزل عن حبل الله تعالى الذي هو حبل ممدود من السماء الى الأرض فيضلوا عن حبله تعالى باعتمادهم على حبال متفرقة وقد قال تعالى: **﴿وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾**، وقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾** هو يشير الى حبل الله تعالى، والى ضرورة ان يعتصم الناس بحبل الله تعالى من خلال الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر الذين هم أبواب السلم كما في بعض الروايات، وكما روي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال السلم هو آل محمد أمر الله بالدخول فيه وهم حبل الله الذي أمر بالاعتصام به قال تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾** را: البرهان في تفسير القرآن، ص٢٠٩ ان الله سبحانه وتعالى يعطي السلامة في الدين والدنيا فيما لو تمسك الناس بحبله واختاروا سلامه، أما ان يعطيهم السلامة وهم معتصمون بحبل أمريكا وإسرائيل والذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة، فهذا ما لا يمكن تصوره لقوله تعالى: **﴿ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾** ولقول المعصوم عليه السلام هيهات لا يخدع الله عن جنته ولا تنال مرضاته إلا بطاعته: نهج

يقول العلامة الطباطبائي: «السواء مصدر اريد به معنى الوصف أي ليسوا متساوين في الوصف والحكم، فإن منهم أمة قائمة يتلون الكتاب، وقد اختلف في قوله قائمة فقيل أي ثابتة على أمر الله وقيل عادلة أي ذو امة قائمة أي ذو طريقة مستقيمة. والحق أن اللفظ مطلق يحتمل الجميع غير ان ذكر الكتاب وذكر أعمالهم الصالحة يعني ان المراد هو القيام على الإيمان والطاعة... أضاف ومن هنا يظهر ان قوله من أهل الكتاب في مقام التعليل يبين به وجه عدم استواء أهل الكتاب»[1] وعليه فإنه لا يمكن أيضاً التساوي بين أهل الكتاب وبين خير أمة أُخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، أمة أمرت أن تكون وسطاً وشاهدة على الناس ومتميزة بشهودها ووجودها، لا معنى لأن يكون الوصف والحكم واحداً، هذا ما يقال بالنسبة لأمة قائمة تتلي آيات الله آناء الليل من أهل الكتاب وبين أمة المسلمين، فكيف الحال أي التساوي ـ بين أمة ضُربت عليها الذلة وبين أمة المسلمين؟.

إذن لا يمكن أن تكون التسوية مبررة شرعاً ولا عقلاً بين العرب وإسرائيل لأنها تمثل تلك الأمة التي ضُربت عليها الذلة... إلا بحبل من الله وحبل من الناس... إن الأمر في هذه التسوية القائمة اليوم نرى أنه يتجاوز هذا المعنى بكثير، يتجاوزه الى أن تسلب هذه الأمة كافة حقوقها، وان يبقى

البلاغة ١٢٩ فما دام بعض العرب قد اختار النصرة لإسرائيل والسلام والأمان لها خلافاً لأمر الله تعالى، فلا يسع هؤلاء، إلا ان ينتظروا أمر الله فيهم وبالعدو الذي لا سلام له لا في الأرض ولا في السماء ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين﴾١٦/ ٤٥ ـ ٤٦.

(١) را: العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٣، ص٤٣٩.

عليها لا لشيء إلا لأنها تمثل موضوعاً وحقلاً لتجارب العقل الإسرائيلي كما بيَّن شمعون بيريز عشية مؤتمر مدريد. . !!؟

فالسؤال من أين دخل العرب الى هذه التسوية؟ هل دخلوا اليها من باب اللغة، أم من باب الشرع وكيف اصطلحوا على تسمية ما يجري بالصلح أو بالسلام؟.

ان العرب اليوم، لا شك انه يبقى عليهم لا لذاتهم، يقول أرسطو في كتاب السياسة: «ان الدولة الحقيقية هي التي يبقى عليها لذاتها وليس لكثرة الذين يرومون بقاءها إذ أن ذلك قد يتأتى لدولة فاسدة ولسياسة فاسدة على حد تعبير أرسطو[1]. فالدولة القطرية باقية لا لذاتها وانما لأجل الآخرين الذين يسعون الى تحقيق ما يسمى بالصلح على حسابها، لأن هذه الدولة قادرة ـ حسب زعمهم ـ على المشاركة بهذا الصلح، وعلى إنجاحه مهما كانت نتائجه. . !!

ألا ترى بأن الدولة القائمة لم تتمكن من تقديم شيء على الصعد كافة، وهي أحياناً تتهم نفسها بالفساد بلغة العجز عن الاصلاح وعن إقامة المؤسسات الفاعلة!؟ وعلى الرغم من كل ذلك يراد لها ان تبقى بهدف تعزيز مسيرة السلام المزعوم والمسلح. . . حتى يتسنى للآخرين إفساد هذا العالم نهائياً بحيث يعجز في المستقبل عن إصلاح حاله لأنه فيما لو تمكن من ذلك سيلجأ حتماً الى ضرب الذلة على إسرائيل وإلى إلغاء كافة الاتفاقات مع هذا العدو. غاية القول ان التسوية اليوم تقوم على أنقاض العجز العربي وحين يتمكن العرب من تحقيق أنفسهم وتوفير القدرة التي تمكنهم من النزاع

(١) أرسطو، كتاب السياسة. نقله من الأصل اليوناني الى العربية وقدم له وعلق عليه الأب أوغسطينس بربارة البولسي، ط٢، ١٩٨٠، ص٢٠٩.

والمفاوضة، فإن ما يسمى بالتسوية قد تتعرض للإلغاء، ولهذا السبب وغيره مطلوب أن تبقى حالة العجز في التسوية، كما كان العجز مطلوباً في حالة الحرب، لكن هذا العجز لا يعني الهزيمة النهائية ولا التسوية الحقيقية، وسيأتي اليوم الذي يستطيع فيه العرب والمسلمون أن يحققوا أنفسهم وسلامهم بضرب الذلة على العدو وذلك كله يبقى رهناً بانقطاع حبل الناس بعد انقطاع حبل الله تعالى . .

الفصل الثالث

مفهوم الحرب والسلام في الاسلام

تمهيد

في المباحث السابقة تبين لنا ان السلام الحقيقي ليس كلمة تقال، أو معاهدة تتضمن بعض البنود التي قد تقتصر أحياناً على إلغاء حالة الحرب، وإنما هو مجموعة قضايا إنسانية من جملتها إلغاء حالة الحرب، ولما كان الاسلام ديناً كاملاً ومتضمناً لكافة قوانين الحرب والسلام فلا حاجة بنا الى البحث عنه ـ أي عن السلام ـ خارج كتاب الله تعالى، باعتبار أن من أبعاد الاسلام تحقيق السلام لخير البشرية جمعاء، فلا يقتصر السلام على أمة دون اخرى، لأن الله تعالى إله البشر جميعاً وسلامه لا يمكن إلا أن يكون لخيرهم جميعاً انطلاقاً من حقيقة وهي انه تعالى السلام الذي من معانيه السلامة من النقص والعيب والفناء، وبما أنه كذلك، فهو يريد لعباده جميعاً أن يسلموا من النقائص والعيوب تمهيداً للحلول في دار السلامة التي هي الجنة وإذا كان البشر يتعرضون للموت في هذه الدنيا، فليس معنى ذلك تحقق الفناء لهم، بدليل ان الموت في الدنيا ليس انقطاعاً وزوالاً، وانما هو لأهل السلام في الدنيا الذين حققوا الكمال، تواصل وخلود[1] .

---

(١) را: العلامة الطباطبائي، في بداية الحكمة، دار المعرفة الاسلامية، ص٢٩.

ليس الموت نقصاً في ختام الحياة لمن حقق الكمال والسلامة في نفسه ودينه، وانما هو نقص لمن زرعوا الفجور وحصدوا الثبور الذين لم يسالموا الله ولم يطيعوه فيما أمرهم به لتحقيق السلام في الدنيا والآخرة.

إن الله رب العالمين من أسمائه السلام وما على البشرية إلا ان تسعى لتحقيق سلامها من خلال ما أمر به الله سبحانه وتعالى، إذ أنه في اسم الله تعالى إشارة الى انه مصدر السلام والأمان. فإذا ما لجأت البشرية الى مصدر آخر واعتبرت نفسها من خلاله، فلا تكون قد حققت السلامة في نفسها ودينها، لأنها لم تلجأ الى ركن وثيق فيما اختارته لنفسها. . . ان معنى ان يكون السلام محققاً، معناه ان تعود البشرية الى قوانين الله تعالى للعمل بها، لأن السلام المطلق عز وجل بين في رسالته الكاملة ومن خلال الانسان الكامل، ان القوانين الموحى بها والمنزلة على رسوله من شأن العمل بها ان يؤدي الى تحقيق الكمال الإنسان والى حلول السلام. يقول الشيخ جعفر السبحاني: «بما أن الدين الاسلامي هو آخر الأديان الإلهية فإذا كان يحتوي على قانون الحرب والقتال مع العدو فإنه الى جانب ذلك لديه قانون السلام والمسالمة أيضاً وانه لو اكتفى ببعد واحد لما أمكنه أن يكون على المستوى العالمي آخر الأديان»[1].

(١) را: الشيخ جعفر السبحاني، عقائدنا الفلسفية والقرآنية، دار الصفوة، ص٢٥٧.

مفهوم السلام في الاسلام

قال الفقهاء: ان السلام هو أساس علاقة الدولة الاسلامية بالعالم، وهذا الفهم مستنبط من جملة من الآيات القرآنية التي تؤكد على أساسية السلام في علاقات الدولة الاسلامية مع العالم الآخر، وعلى استثنائية الحرب، واذا كنا نجد في كتاب الله تشريعاً للحروب على مستوى الجعل والإنشاء، فهذا التشريع لا يعدو أن يكون وسيلة من الوسائل التي لا بد منها لتحقيق السلام، قال تعالى: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يُقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتُقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولّوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾**[1] وهناك من الفقهاء القدامى من ذهب الى القول بأساسية الحرب واستثنائية السلام، واعتبروا الآية الآنفة المؤصلة للسلام منسوخة بآيات اخرى تدعو الى قتال المشركين والكفار أينما ثقفوا وأكدوا على ان القتال هو أداة الدولة الاسلامية الحركية لتحطيم القوى التي تقف في وجه نشر سلطان الاسلام على

(١) سورة الممتحنة، الآيتان: ٨ ـ ٩.

العالم[1] ، لكن العلامة الطباطبائي وجملة من الفقهاء المحدثين يذهبون الى القول بأساسية السلام في العلاقات مع البشر شرط أن يكون العالم الآخر راغباً بالسلام وطالباً له وداخلاً مع المسلمين في معاهدات تسمح لهم بنشر الدعوة، وتحقيق الأمن والسلام الذي يريده الله تعالى، يقول العلامة الطباطبائي في الميزان: «قيل: إن الآية منسوخة بقوله: ﴿اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ وفيه ان الآية التي نحن فيها لا تشمل بإطلاقها إلا أهل الذمة وأهل المعاهدة وأما أهل الحرب فلا، وآية التوبة انما تشمل أهل الحرب من المشركين دون أهل المعاهدة فكيف تنسخ ما لا يزاحمها في الدلالة»[2] فالرسول ﷺ يبدأ دعوته بالحرب، وانما بدأها بالسلام، بالدعوة بالتي هي أحسن، ولم يكره أحداً بالقوة على دخول الاسلام والإيمان حيث قال تعالى: ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[3] ، وقال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ﴾[4] الى غير ذلك من الآيات التي ترشدنا الى حقيقة السلام والدعوة بالتي هي أحسن الى الدين الجديد، فهو ﷺ لم يستعمل السيف ولم يؤمر به من قبل الله تعالى إلا بعد أن تيقن بأن دولته الجديدة مهددة بخطر ماحق ينبعث من معقل الكفر والجاهلية في مكة المكرمة، فكان لا بد أن يدافع عن الكيان الاسلامي الجديد وهذا ما يظهر جلياً من لسان الآية الكريمة التي شرعت القتال في ذلك الظرف حيث كان لسانها لسان دفاع عن الاسلام والمسلمين وذلك في

---

(١) اخرج أبو داود في تاريخه وابن المنذر عن قتادة: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، نسختها اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، را: الميزان، ج١٩، ص٢٤٨

(٢) را: تفسير الميزان، ج١٩، ص٢٤٣.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

قوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[1].

ان الرسول ﷺ والذين آمنوا معه اضطروا الى الدفاع عن أنفسهم، وعن دولتهم الجديدة ضد الكفار والمشركين الذين تربصوا بالاسلام والمسلمين شراً منذ اليوم الأول للدعوة الى التوحيد ونفي الشرك. ان الأمر الإلهي بقتال هؤلاء يقضي بأن يكون القتال في سبيل الله وليس في سبيل أي شيء آخر، لا من أجل القهر والسيطرة وكسب المال وغير ذلك مما تعلن الحرب من أجله حيث قال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله...﴾ وكونه في سبيل الله انما هو لكون الغرض منه إقامة الدين وإعلاء كلمة التوحيد، فهو عبادة يقصد بها وجه الله تعالى دون الاستيلاء على أموال الناس واعراضهم، فانما هو في الاسلام دفاع يحفظ به حق الانسانية المشروعة عند الفطرة السليمة فإن الدفاع محدود بالذات، والتعدي خروج عن الحد ولذلك عقبه بقوله تعالى: ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ فمساق هذه الآيات مساق قوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾[2] اذن ابتدائي للقتال مع المشركين المقاتلين من غير شرط»[3].

يقول الفقهاء: النجفي في الجواهر[4]، والحلي في الشرائع[5]،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٣) را: الميزان، العلامة الطباطبائي، ج٢، ص٦١.

(٤) الشيخ محمد حسن النجفي، جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، دار الكتب الاسلامية، طهران، ج٢١، ص٤٦.

(٥) شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام، المحقق الحلي أبو القاسم نجم الدين

والطباطبائي في رياض المسائل[1] في بيان من يجب جهاده وهم ثلاثة: الأول: البغاة على الإمام من المسلمين، الثاني: أهل الذمة، وهم اليهود والنصارى والمجوس إذا أخلوا بشرائط الذمة، والثالث: ما عدا هؤلاء من أصناف الكفار، وكل من يجب جهاده فالواجب قتالهم وكما قلنا ان الحرب مع هؤلاء هي حرب دفاعية حتى وان كانت آخذة طابع الهجوم والابتداء[2]

جعفر بن الحسن، دار الأضواء، بيروت، ج١، ص٣١٠، حيث قال: فإن بدأوا فالواجب محاربتهم، وإن كفّوا وجب بحسب المكنة، وأقله في كل عام مرة، واذا اقتضت المصلحة مهادنتهم جاز، لكن لا يتولى ذلك الا الامام أو مَن يأذن له الإمام.

(١) رياض المسائل في بيان الأحكام بالدلائل، السيد علي الطباطبائي، دار الهادي، ج٤، ص٦٤٢. قال: لا يبدون، أي الكفار مطلقاً بالقتال إلا بعد الدعوة لهم الى الاسلام واظهار الشهادتين والاقرار بالتوحيد والعدل والتزام جميع شرائع الاسلام فإن امتنعوا بعد ذلك حلّ جهادهم بغير خلاف للنصوص ولا تقبل منهم الجزية مطلقاً بغير خلاف فيه بيننا ظاهر ولا محكي، حيث قال تعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾ ولم يذكر الجزية، وقوله تعالى: ﴿وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ـ الى قوله ـ من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية﴾ فشرط في أخذ الجزية أن يكونوا من أهل الكتاب وهؤلاء ليسوا كذلك.

(٢) الجهاد الابتدائي، كما في كنز العرفان ج٢، ص٩. هو جهاد الكفار في نصرة الاسلام وإعلاء كلمة الله، ويكون ابتداءً من المسلمين للدعاء الى الاسلام، ولذلك سمي ابتدائي ويشترط في هذا الجهاد وجود الامام عليه السلام أو نائبه الخاص، فكأن الفقهاء أخذوا وجود الإمام عليه السلام شرطاً مقوماً لصحة الجهاد الابتدائي فلا يعتبر شرعياً ما لم يقترن بوجوده أو وجود نائبه الخاص دون النائب العام، لكن الملفت للنظر هو عبارة العلامة الطباطبائي في الميزان، كونه في سبيل الله، انما هو لكون الغرض منه إقامة الدين وإعلاء كلمة التوحيد... فإنما هو في الاسلام دفاع يحفظ به حق الانسانية، اننا نستشعر من كلمات الفقهاء ان هناك خلافاً لفظياً بينهم لجهة القول بالجهاد الابتدائي على أنه دفاعي، وهذا ما يذهب إليه بعض الفقهاء المحدثين، لأن المشركين والكفار يحادون الله ورسوله ويعملون من أجل القضاء على أهم مبدأ من مبادىء الرسالة ألا وهو التوحيد، وهذا يعتبر من جانبهم اعلاناً للحرب لأنهم في حالة اعداد دائمة لها لأجل ان ينقضوا على المسلمين أو يغدروا بهم. فقد يرى الحاكم الشرعي الهجوم عليهم سبيلاً للدفاع، بعد أن قام الدليل على الشر المتوقع كبرهان

لأن هؤلاء هم في حالة حرب مع الدعوة الى التوحيد قبل أن يكونوا في حالة حرب مع المسلمين وهذا لا يعني انه لا يمكن مسالمة هؤلاء من خلال الدخول معهم في معاهدة يتعهد هؤلاء فيها بعدم التعرض لحرية الدعوة بالانتشار (١)، ومن الأمثلة التاريخية البارزة على ذلك هو صلح الحديبية مع

واضح من قبل الكفار، ومما يدل على ذلك ان الرسول ﷺ لم ينتظر حتى ينقض عليه كسرى من الشرق وهرقل من الغرب، ورأى ان لا بد من دفع الاعتداء قبل ان يستحيل الدفع... ولهذا نقول انه ليس من معاني الحرب ان تطلق السهام والقذائف، بل ان يعد العدة لها من قبل الأطراف، اذ ان مجرد الاعداد لها هو اعلان للحرب من قبل المشركين والكفار...

(١) إن الصلح، كما سنبين في أبحاث لاحقة يمكن ان يعقد مع المشركين على أن تكون له مدة محدودة بحيث يقوم المبلغون بنشر الدعوة، وهذا العقد أو المعاهدة معهم لا بد من الالتزام بها لقوله تعالى: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً، فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾ سورة التوبة، الآية: ٤.

وقال تعالى: ﴿وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ التوبة، ٦. فالكافر الذي كان دمه مهدوراً لأنه محارب لله ورسوله. ولكن بمجرد اعلانه عن رغبته في طلب الهدى رفع الله تعالى عنه هذا الحكم وأصبح داخلاً في ضمير قوله تعالى: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم...﴾ وهذا مما يدل على ان الحرب ضد الكفار والمشركين انما هي من أجل دخولهم في الكرامة الانسانية من خلال توحيد الله وليست من أجل الاستيلاء على أموالهم وأرضهم. إن الله يريد لهم السلام شرط أن يعبدوه وان لا يتخذوا من دونه آلهة يعبدونها، فإذا عجز السلام عن مخاطبة فطرتهم فلا بد من الحرب حتى تثار دفائنهم بحيث يعودوا الى فطرتهم السليمة التي شهدت لله بالربوبية في عالم الذر، قال تعالى: ﴿واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا...﴾ الأعراف، الآية: ١٧٢..

هنا نتصور مدى سماحة الاسلام الذي يقاتل هؤلاء من أجل أن يكون لهم كرامة، لأجل أن يصبحوا بشراً لهم ما لسائر الناس وعليهم ما عليهم، في حين ان الكفار والمشركين يقاتلون الذين آمنوا لا لشيء إلا لأنهم اختاروا التوحيد على الشرك والحق على الباطل والصلاح على الفساد..!؟

مشركي قريش الذي كان من نتائجه دخول الناس في الاسلام أفواجاً، وهزيمة قريش معنوياً وسياسياً، ومما امتاز به هذا الصلح هو انه كان محدوداً ومؤقتاً حيث ان مدته كانت العشر سنوات. لقد مكّن هذا الصلح المبلغين من أن يقوموا بتبليغ الدين في صفوف المشركين بمعنى أن الصلح يجري إذ وافق المشركون على احترام بنود المعاهدة اما إذا أصروا على الحرب فلا يكون هناك ثمة مجال لمصالحتهم أو لإعطائهم السلام؛ وفي هذا الوضع لا بد أن تكون العلاقة بينهم وبين المسلمين علاقة حرب لأن الاعتراف بالشرك مناقض تماماً لدين التوحيد فإجماع الفقهاء القدامى والمحدثين على ضرورة ان يكون القتال هو أداة الدولة الاسلامية الحركية لتحطيم القوى التي تقف في وجه نشر سلطان الاسلام على العالم، لا يعني تفويت فرص السلام وعدم السعي له، بل هو من أجل السلام، وإذا قدست الحرب مع هؤلاء، فهي تقدس لما تؤدي اليه من قداسة باعتبار انها بذاتها لا خيرة باطلاق ولا شريرة باطلاق، بل هي وسيلة قد تكون الدوافع اليها أخلاقية وقد لا تكون.

الاسلام شرع الحرب وأمر بالاعداد لها لأجل اعلاء كلمة الله وإصلاح الأرض، كما سبق وبينا من انها في جميع حالاتها دفاعية بغض النظر عن الخلاف اللفظي بين الفقهاء . إن السلام في الاسلام تقضى الدعوة اليه والعمل له بأن يسلم الكفار والمشركون أو بأن يقتلوا، لأن وجودهم هو بحد ذاته عدوان على الله ورسوله والذين آمنوا وبالأخص إذا أصروا على أن يبقوا على ما هم عليه من فساد في نفوسهم وعلى عبادتهم للأصنام مع ما تقتضيه هذه العبادة من شر وإفساد في حياة الناس، فإذا اقتضت الدعوة الى السلام ان يعقد الصلح مع المشركين لهزيمتهم معنوياً ولنشر الدعوة بالتي هي أحسن فذلك يمكن أن يتم شرط ان يكون محدوداً خلافاً للصلح مع أهل الكتاب

الذي يمكن أن يكون دائمياً ومستمراً فيما لو عاشوا في مجتمع المسلمين وأدوا ما عليهم اتجاه الدولة الاسلامية. ومما يجب لفت العقل إليه هنا هو ان المشركين قد يلجأون الى صلح ما بهدف استغلاله ومفاجأة المسلمين بالحرب، فإذا رأى الحاكم ذلك فيمكنه أن ينبذ اليهم ليحول بينهم وبين اعلان الحرب كما في قوله تعالى: ﴿**وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين**﴾[1].

يقول المحقق الحلي في الشرائع: «لو استشعر الإمام خيانة جاز له أن ينبذ العهد اليهم وينذرهم» لقوله عليه السلام: «ولكن الحذر كلّ الحذر من عدوك بعد صلحه فإنه ربما قارب ليتغفل»[2] أما إذا لم يشعر منهم خيانة، فإنه يلتزم بالمعاهدات حتى المدة المذكورة فيها لقوله تعالى: ﴿**فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم**﴾[3].

إن مجرد نقض العهد من قبل المشركين يعتبر اعلاناً للحرب، كما هي الحرب في العصر الحديث، وكذلك الإعداد للحرب من قبلهم لا يمكن النظر اليه بسلام من قبل المسلمين، فإذا بدأ المسلمون القتال فلا يكونوا معتدين بدليل انه ليس من اللازم لشرعية قتال طائفة أن يعتدوا بالفعل بل قد يكون المبرر هو الحماية من الاعتداء اذا كان متوقعاً، وقامت الأدلة على إرادته كما فعل كسرى عندما أرسل الله النبي صلى الله عليه وآله يدعوه الى الاسلام فأرسل الى النبي صلى الله عليه وآله من يقتله ويأتيه برأسه الكريم وبذلك قام الدليل على الشر المتوقع كبرهان واضح، فما كان لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله ان ينتظروا

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٥٣ (كتاب الى مالك الأشتر).

(٣) شرائع الاسلام، م. ع. ص. ن.

حتى ينقض عليهم كسرى من الشرق وهرقل من الغرب. . . بل لا بد من دفع الاعتداء قبل أن يستحيل الدفع، وقد يتعين الهجوم سبيلاً للدفاع وكذلك كان الأمر»[1].

إذن هدف الجهاد الاسلامي هو نشر التوحيد باعتباره تجسيداً لانسانية الانسان، وان الكفر مسخ لهذه الانسانية، وبما أن هدف الجهاد هو هذا فإنه لا يمكن النظر اليه إلا نظرة السلام والأمان في الأرض، لأن أي سلام لا يؤدي الى التوحيد، والى الاصلاح، والى احياء الفطرة، لا بد أن يكون استسلاماً للشيطان، للأهواء والشهوات وغير ذلك مما يجعل من الانسان مسخاً مقلوباً رأساً على عقب. . . يتبين لنا من كل ما تقدم ان الله سبحانه وتعالى قدس السلام وأراده لعباده، وإذا كان القتال قد فرض عليهم فذلك انما تمَّ من أجل سلامتهم في الدين والنفس والكرامة، فهو فرض لا من أجل إكراه الناس على أن يكونوا مؤمنين، بل من أجل منع الكفار والمشركين من الإفساد في الأرض.

وكيف كان، كما يقول صاحب الجواهر، فإن بدأوا المسلمين بالقتال فالواجب محاربتهم مع المكنة بلا خلاف، ولا اشكال، بل هو كالضروري، بل إن كفّوا وجب ابتداؤهم بها بحسب المكنة كذلك أيضاً بعد تعاضد الكتاب والسنة والمعلوم من سيرة النبي ﷺ وآله والتابعين من شدة المواظبة والحث عليه حتى تكرر ذلك منه ﷺ وهو في النزع وخصوصاً في تنفيذ جيش أسامة بن زيد. . .[2]

---

(١) را: من الفقه السياسي في الاسلام، محمد صالح جعفر الظالمي، دا مكتبة الحياة، ص١٧١ نقلاً عن كتاب العلاقات الدولية في الاسلام، محمد أبو زهرة ص٤٩.
(٢) جواهر الكلام، الشيخ النجفي، م. ع. ج٢١، ص٤٨.

ان من مقتضيات السلام ان يغزى الكفار والمشركون في عقر دارهم مع اعتبار المكنة في ذلك، لأن السكوت عليهم من شأنه أن يهدد السلام الأهلي ودولة الاسلام ومبدأ التوحيد لقوله عليه السلام اغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذُلُّوا»[1]، وهذا الدفاع عن الدين لا ينبغي ان يساء فهمه بحيث يقال ان الاسلام يقدس الحرب ويدعو الى السيف، ويتعرض للحريات الانسانية كما يقول الغرب! لما بيناه من ان الإسلام بدأ بالدعوة بالتي هي أحسن، وصالح قريشاً، «وعنه صلى الله عليه وآله وسلم انه أخر قتال قبائل من العرب بغير هدنة لها أيضاً»[2] فالاسلام دين له وجهان، وجه الى السلام وآخر الى الحرب ولو لم يكن كذلك لما صح ان يكون آخر الأديان، وقد جعل الله السلام أساس العلاقة بين الشعوب والدول ما لم يتعرض المسلمون للخطر أو للغزو من قبل الآخرين سواء كانوا مشركين أو أهل كتاب﴿**انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم. . . ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**﴾ هذه الآية توضح استحالة ان تكون العلاقة سلمية بين المسلمين وبين الذين أخرجوهم من ديارهم وظاهروا عليهم وقاتلوهم في دينهم كما هو الحال اليوم مع اليهود في فلسطين الذين يجب أن تقوم الحرب معهم على ساق لأنهم اغتصبوا أرضنا وشردوا أبناءنا واستحيوا نساءنا وعاثوا فساداً في بلادنا، فمثل هذه الحرب معهم ـ كما نعلم جميعاً ـ لا تخضع لشروط الجهاد وفي مقدمتها وجود المعصوم أو نائبه الخاص. إننا يجب أن نعلم ان حربنا مع هؤلاء ليست جهاداً ابتدائياً (ومن يقف وراءهم) حتى يخضع لشرائط الجهاد

(١) خطبة الجهاد. نهج البلاغة: شرح محمد عبده، ج١ ص٩٣.
(٢) وجواهر الكلام، م. ع. ص٤٩.

الابتدائي، إذ ليس الهدف منه الدعوة الى الاسلام ونشر احكامه العادلة بل هي حرب دفاعية مقدسة ندافع بها عن بيضة الاسلام وحريم الشرع وبلاد المسلمين. . . وهذا النوع من الجهاد «الدفاع» لا يشترط فيه وجود الإمام أو نائبه الخاص. . .»[1].

في عالم الوجود ليس هناك سلام مجرد، بل هناك سلام واقعي حقيقي ولهذا السلام أبوابه الحقيقية ولكي يكون هذا السلام سلاماً إلهياً لا بد من الدخول من هذه الأبواب التي قد ترشدنا الى ان نكون في حالة حرب مع من يريد محاربتنا، وفي حالة سلم مع من يريد مسالمتنا بالاعتماد على كتاب الله تعالى الذي فيه تبيان كل شيء، فأصل السلام هو أن يكون موافقاً لكتاب الله تعالى، والحرب انما شرعت لأجل أن تخدم السلام، وكما قلنا ان الاسلام هو آخر الأديان ومتضمن لكل ما يحتاجه الانسان من قوانين سواء في الحرب أو في السلام وهذا ما يميزه عن غيره من كتب السماء الذي جعل مهيمناً عليها، وقد قدم الله سبحانه وتعالى السلام على الأمن والهيمنة تبياناً لأهميته، فإذا عمل الناس بكتاب الله وسنة نبيه وآله فإنهم سيحصلون حتماً على السلام وعلى الأمان أيضاً، لأن الأمان نتيجة للسلام وليس العكس، قال تعالى: ﴿السلام المؤمن المهيمن. .﴾ فالأمن لا يعطى في أجواء الحرب، وانما يعطى في أجواء السلام، ولهذا يدعو الله تعالى عباده الى أن يعبدوه عبادة خالصة، إلى الالتزام بأوامره والعمل بقوانينه لأجل أن يحصلوا على سلام نسبي، لاستحالة تحقيق السلام المطلق من قبل الانسان، فإذا عمل بهذه القوانين كان السلام وفي ظلاله يحصل الأمان. ان امة ما لم تشعر بالأمن والسلام في ظل قوانين ما أنزل الله بها من سلطان، وحيثما يوجد

---

(١) جعفر الظالمي، محمد صالح. م. ع. ص٤٤.

الطواغيت وطاعة الشيطان، توجد الحرب والفوضى وينعدم الأمان، لأن الطواغيت والشياطين لا يحملون قوانين الله ولا يعملون بها، فهم يريدون أن يعطوا الأمن لإنفسهم من أنفسهم، وليس من الله تعالى، فكانت النتيجة أن خسروا أنفسهم والأمن معاً، وهذه النتيجة جد طبيعية لقوله تعالى: ﴿**ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾[1] ويستفاد من قوله تعالى أيضاً ان من لم يجعل الله له أمناً فما لهم من أمن، ومن لم يعطه الله السلام والسلامة فما له من سلامة ﴿**بيده الخير انك على كل شيء قدير**﴾[2] فالزعم بأن الانسان قادر على أن يسالم نفسه وغيره بعيداً عن نور الله تعالى. زعمٌ باطل ومخالف لما مرَّ به الانسان في جميع تجاربه التاريخية، لأن الانسان كان في جاهلية جهلاء ولم يتمكن من اخراج نفسه من الظلمات الى النور، وهو لم يخرج من جاهليته إلا بعد نزول الرسالة وهداية الله تعالى له من خلال الرسل والأنبياء والأولياء الذين انتدبهم الله لهذه الغاية..

أجل إن الحرب لم تشرع لتكون بديلاً للحكمة والموعظة الحسنة، وانما شرعت ضد أولئك الذين تربصوا بالرسول والرسالة شراً، وقوله تعالى: ﴿**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**﴾[3] الذي هو من جملة الآيات المدنية، يأمر الرسول بالجهاد للحيلولة دون ان يتمكن الكفار والمنافقون من أن يرجعوا بالناس قهقرياً، في حين ان الآيات المكية لم تأمر بذلك[4] ، لأن القتال لم يكن ليسمح للناس بأن يدخلوا في الاسلام

---

(١) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٣

(٤) مصطلح الجهاد اسبق من مصطلح القتال فهو مصطلح مكي، بينما القتال مصطلح مدني، فهو التعبير المؤسس لحركة دولة، أما قبل الدولة فإن مصطلح الجهاد وهو

أفواجاً نظراً لحالة الناس في مكة الذين كانوا في بدء الدعوة حيارى. . . يعيشون الصدمة، وينتظرون كلام الرسول ﷺ الداعي الى التوحيد ونبذ الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، فتشريع الحرب في مكة كان من شأنه أن يلغي تلك الفرصة التي يعيش فيها العقل الانسان حالات من المد والجزر والتأمل والتشوق أحياناً لمعرفة ما يدعو اليه من قبل الرسول ﷺ. ان الله تعالى الذي من أسمائه السلام بدأ خطابه بالسلام في مكة وليس بالحرب، والحكيم هو الذي يبدأ بخطاب السلام والحكمة والموعظة الحسنة ﴿**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾ فإذا فرغ من هذا الاسلوب وكانت النتيجة القبول والرضى كان السلام ولا معنى حينئذٍ للحرب لأنها ليست الغاية وانما هي وسيلة اضطر اليها المسلمون للدفاع عن وجودهم وعن رسالتهم ضد الكفار والمنافقين الذين لم تنفع معهم الدعوة بالحسنة حيث انهم أصروا على قتل الرسول والصدّ عن سبيل الله فكان الخطاب الإلهي: ﴿**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**﴾. . .

بعض الناس يقول إن الآيات المكية تفيض بمعاني السلام بينما الآيات المدنية تشتد على الكفار والمنافقين وتحضّ على القتال، وهذا البعض في

اعداد نفسي وتربوي ودعوى للقتال باعتبار ان القتال هو أسمى صورة للجهاد وهو أكثرها خطراً على النفس، ففي المعركة يتعرض الإنسان لزلزلة الأقدام على الموت وهي فتنة تحتاج الى تربية وجهاد، ولهذا قسم الفقهاء الجهاد الى قسمين الجهاد الأكبر الذي هو جهاد النفس، والجهاد الأصغر الذي هو جهاد العدو، وما لم يقدر الانسان على الجهاد الأكبر فإنه لن يقدر على الجهاد الأصغر، ومن هنا صح قول القائل ان الرسول ﷺ في بدء دعوته لم يحمل السيف، وانما دعا بالتي هي أحسن تمكيناً للناس من أن يجاهدوا أنفسهم بحيث يتم ترويضها لأجل مجاهدة الشرك والكفر. . . يقول الامام عليه السلام: ميدانكم الأول أنفسكم فإن قدرتم عليها كنتم على غيرها أقدر وإن عجزتم عنها كنتم عن غيرها أعجز فجربوا معها الكفاح، فمن استصعبت عليه نفسه فيما تكره فلم يعطها سؤلها فيما تحب. .

قوله هذا يسعى الى الفصل بين الآيات المكية والمدنية على الرغم من أن كتاب الله تعالى لا يتجزأ ومكمّل لبعضه البعض ومفسر لبعضه البعض، فإذا كان الخطاب قد بدأ بالسلام، فليس بالضروري أن ينتهي بالسلام، لأن الله يعلم بأن من الناس من لا يريد السلام معه ومع رسوله ورسالته، ويعلم أيضاً بأن الرسالة. والرسول سيواجهان صعوبات من قبل الكفار والمنافقين والمشركين، وبأن هؤلاء سيظلمون ويعتدون ويمنعون الناس الذين أحبوا الله وأحبهم من أن يلتحقوا بالرسول، ومن أن يعبدوا الله إلهاً واحداً لا شريك له في ملكه ولا منازع له في خلقه، وبما أن الله يعلم ذلك فكان لا بد من أن تشرع الحرب ومن أن يجاهد هؤلاء حق الجهاد، وهذا ليس من معانيه أبداً ان الله قدس الحرب وجعلها غاية للمسلمين، بل يعني انه لا بد من أن ينتصر الاسلام، وان يحقق السلام على نحو يسمح للناس جميعاً بأن يختاروا الدين الذي يشاؤون، اذا انه ليس من معاني الحرب التي شرعها الله تعالى أن يجاهد الناس بالقوة على قبول الاسلام والعمل بقوانينه، وان يمنع أهل الكتاب من ممارسة حريتهم في ظل ما يختارونه لأنفسهم من شرائع وإن كان الاسلام قد دعاهم الى أن يسلموا، فهذه دعوة تمت لهم من أنفسهم ومن كتبهم المقدسة قبل أن تكون لهم دعوة من الاسلام[1]، وبما انهم أحرار ولهم حرية

(1) جاء في انجيل يوحنا، المبشر الوحيد الذي سرد ما حدث في نهاية العشاء الأخير للمسيح وقبل القبض عليه... وينتهي هذا الحدث بخطبة طريلة، فهو ـ أي إنجيل يوحنا يفرد أربع إصحاحات (من ١٤ الى ١٧) لتلك الرواية التي لا نجد لها أثراً في الأناجيل الأخرى، وما يسود الرواية هو مستقبل البشر الذي يتحدث عنه المسيح بعد رحيله، فهو يقول لتلاميذه: «إذا كنتم تحبونني فستعملون على اتباع أوامري وسأصلي للأب الذي سيعطيكم Peruclet آخر» (١٤، ١٥، ١٦)، ويضيف «رحيلي فائدة لكم، لأنني إذا لم أرحل فالفارقليط لن يأتي اليكم، وعلى العكس فإذا رحلت فسأبعث به اليكم، وهو بمجيئه سيذهل العالم فيما يخص الخطيئة والعدل والحكم (١٦، ١٧، ١٨) «عندما سيأتي روح الحقيقة، فسيجعلكم ترقون الى الحقيقة بكاملها، لأنه لن

يتكلم بإرادته وانما يقول ما يسمع وسيعرّفكم بكل ما سيأتي، . . وسيمجدني (١٦، ١٣، ١٤) نقلاً عن موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة. م. س. ص١٢٦.
لا شك ان السيد المسيح عليه السلام في كلامه هذا هو يبلغ الناس بأن الله سيبعث رسولاً من بعده، وهذا ما يبينه القرآن حيث قال تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدِّقاً لما بين يديَّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمدُ فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ ٦١/٦.
وفي سيرة ابن هشام ورد هذا المعنى أيضاً عن ابن اسحاق انه قال في صفة رسول الله ﷺ في الانجيل: «مَن أبغضني فقد أبغض الرب. . . ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التي في الناموس انهم ابغضوني مجاناً ـ أي باطلاً ـ فلو قد جاء المنحمَّنا هذا الذي يرسله الله اليكم من عند الرب روح القدس هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد عليَّ وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معي. والمنحمَّنا بالسريانية: محمد وهو بالرومية البرقليطسْ. را: سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، ص٤٩.
وجاء في التوراة أيضاً الحالية آيات لا تنطبق إلا على رسول الاسلام لو أنصف أهل الكتاب، لقد جاء في التوراة المطبوعة في لندن سنة ١٨٦١ ففي التثنية ١٨/١٨: «وأقيم لهم نبياً مثلك من بني اخوتهم واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به بإسمي أنا أطالبه، وقد حرفت العبارة الأولى ـ الى واقيم لهم نبياً مثلك في وسط اخوتهم» وفي سائر الطبعات الاخرى وهذا الكلام لا ينطبق إلا على رسول الاسلام الذي هو من بني اسماعيل بن إبراهيم وهو أخو اسحاق جد اليهود لعدة أمور. الأول: كما في التثنية ٣٤/١٠ ما نصه «ولم يقم بعد نبي في اسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه، وهذا نص في أن موسى أفضل من عيسى مع أن عيسى من بني إسرائيل أيضاً وفي الاصحاح المتقدم يقول اقيم لهم نبياً مثلك أي مثل موسى، فهو لا يريد عيسى وانما يريد غيره وليس هناك غير عيسى سوى محمد ﷺ.
الثاني: والكلام للشيخ محمد علي برو العاملي، قوله: واجعل كلامي في فمه، وهو ظاهر في إرادة القرآن الذي أوحاه الله على لسان نبيه محمد ﷺ.
الثالث: قوله فيكلمهم بكل ما أوصيه به أي أمره به وهو القرآن الذي فيه تبيان كل شيء ولا يصح ارادة الانجيل لان عيسى ليس مثل موسى بنص التوراة كما تقدم.
الرابع قوله: ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا اطالبه» أن انا أعاقبه وأنتقم منه وقد انتقم الله من أعداء الرسول الذين حاربوه، را: محمد علي برو العاملي، الكتاب المقدس في الميزان، الدار الاسلامية، بيروت،

الاختيار، فهذه الحرية، وهذا الاختيار لا يؤهلهم لأن يعتدوا، أو ان يمارسوا ضغطاً على المسلمين كي يصبحوا من أهل الكتاب، كما انه لا يحق للمسلمين أن يقاتلوا أهل الكتاب لإدخالهم في الاسلام عن طريق القوة والقهر والإكراه حيث قال تعالى: ﴿**لا إكراه في الدين، قد تبيّن الرشد من الغيّ...**﴾[1].

ومن جملة ما يمكن الاشارة اليه هنا هو ان جملة من الآيات المدنية التي تؤكد على السلام وتدعو اليه ولا تنهى عن الذين لم يقاتلونا في الدين... ان نبرهم ونقسط اليهم، الآية التي يستنبط منها أساس السلام

ص٢٣١.

غاية القول ان كل الأنبياء بشروا بالنبي ﷺ، لكن بعض أهل الكتاب أخفوا هذه الحقيقة ولم يعلنوها خوفاً من أن يؤدي ذلك الى أسلمة المجتمعات اليهودية والمسيحية، ومما يدل على هذه الحقيقة قول الرسول ﷺ أنا دعوة ابراهيم عليه السلام: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾ إذن أهل الكتاب لقد تمّت الدعوة لهم من أنفسهم وليس من المسلمين فقط وعلى الرغم من كل ذلك جاء الاسلام ليقول لا إكراه في الدين، ومن أذى ذمياً فقد أذاني كدليل على سماحة الاسلام ورحابته شرط أن يلتزم أهل الكتاب بإعطاء الجزية في ظلال المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية...

(١) يقول السيد الطباطبائي في تفسير هذه الآية ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ نفي الدين الاجباري، كون الاعتقاد والايمان من الأمور القلبية التي لا تحكم في الاكراه والاجبار... وقوله تعالى إن كان قضية اخبارية حاكية عن حال التكوين انتج حكماً دينياً ينفي الاكراه على الدين والاعتقاد، وان كان قضية انشائية تشريعية كما يشهد به ما عقبه تعالى من قوله: ﴿**قد تبيَّن الرشد من الغيّ**﴾ كان نهياً عن الحمل على الاعتقاد والايمان كرهاً وهو نهي متك على حقيقة تكوينية، وهي التي مرَّ بيانها ان الاكراه انما يعمل ويؤثر في مرحلة الافعال البدنية دون الاعتقادات القلبية..» را: تفسير الميزان، ج٢، ص٣٤٧. والدين لما انكشفت حقائقه واتضح طريقه بالبيانات الإلهية الموضحة بالسنة النبوية فقد تبيّن ان الدين رشد والرشد في اتباعه، وعلى هذا لا موجب لأن يكره احد احداً على الدين. م. ع. ص. ن.

وقدسيته هي قوله تعالى ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين﴾ فهذه الآية مدنية وتدعو الى السلام وتكمل الآيات السلام المكية «ان كتاب الله لا يتجزأ فإن ما جاءت به الآيات المدنية مكمل لما قررته الآيات المكية، والاسلام في جميع أدوار الدعوة في المدينة وفي مكة لم يعوّل إلا على الحجة ولم يلجأ للحرب إلا عند الضرورة»[1] .

فقولنا: إن الله بدأ بخطاب السلام، وليس من الضروري أبداً أن ينتهي بخطاب السلام، انما نعني به انه لو كان الأمر كذلك أي ان تكون بداية الخطاب سلمياً ونهايته سلمياً بحيث لا يكون لتشريع الحرب أي معنى لأدى ذلك الى ان يكون الاسلام ذو بعدٍ واحد هو بعد السلام. بينما هو في الحقيقة آخر الأديان ولا بد من أن يكون له بعدان حتى يمكنه أن يكون على المستوى العالمي آخر الأديان، خصوصاً إذا علمنا ان الله تعالى شرع الحرب وسمح للمسلمين بأن يدافعوا عن وجودهم وعن رسالتهم لعلمه بأن الكفار والمنافقين سيحاربون هذه الرسالة، فلو لم تشرع الحرب، رغم علمه بذلك، لكان نقصاً ولاستحال أن يكون الاسلام آخر الأديان، وبما ان الله تعالى منزه عن النقص، وله الهيمنة الوجودية فكان لا بد من أن تتضمن رسالته قوانين الحرب بحيث يلجأ المسلمون اليها فيما لو اعتدي عليهم وحيل بينهم وبين أن يكونوا أحراراً في اختيار الرسالة التي تؤهلهم للخروج من الظلمات الى النور، باعتبار ان الله اذا أراد لعبده خيراً مكنه من الدفاع عن نفسه في السلم والحرب، فإذا لم تكن الحرب مشرعة ولم يكن لها قوانينها،

---

(١) را: طراد حمادة مجلة النور، سنة ١٩٩٤. مفهوم الحرب والسلام في شريعة الاسلام.

فكيف يمكن أن يلجأ اليها حتى للدفاع عن النفس؟ . . وهذا ما سنتعرض له في بحث الحرب إن شاء الله تعالى.

إذن الإسلام يؤثر السلام ويريد أن تعلو كلمة الله من غير قتال ولا سفك دماء، ولذلك ورغم أهمية الجهاد لم تذهب الفرق الاسلامية الى اعتباره من أصول الدين ما عدا فرقة الخوارج[1]، وإذا كان المسلمون قد حاربوا يوماً فذلك كان لأجل السلام، وليس لأجل الحرب، فهذه الأخيرة إذا لم تكن اعتداءً وكانت دفاعاً عن النفس، كانت سلاماً ولم تكن حرباً، وكانت خيراً ولم تكن شراً وكانت مقدسة أيضاً، خلاف ما لو كانت حرباً عدوانية يراد منها الإفساد في الأرض، فإذا كانت كذلك كانت شراً ولم تكن سلاماً على الاطلاق، وإذا تأملنا ما جاء به القرآن الكريم لوجدنا ان آياته تحض على السلام، ويكفينا أن نشير الى عدة آيات في سورة البقرة، والأنفال والنساء، وآل عمران، ويونس، والمائدة. . .

ليس الهدف من الحرب أن يصبح الناس أمة واحدة، ولا الهدف منها أن ينتصر المسلمون بالسيف تحت أي شعار؛ بل كما قلنا الهدف منها ان يتمكن المسلمون من الدفاع عن أنفسهم وعن النور الذي بين أيديهم ويسعى أمامهم وخلفهم، فلو قلنا ان الهدف منها ان يصبح الناس أمة واحدة لكان معنى ذلك ان الحرب مقدسة ويجب أن تؤدي الى غايتها، وهذا ـ كما نعلم

(١) الجهاد في سبيل الله كما بيّن الفقهاء هو ذروة سنام الاسلام ورابع أركان الإيمان، وباب من أبواب الجنة، كما في خطبة الجهاد لمولانا الامام عليه السلام، وأفضل الأشياء بعد الفرائض، وسياحة امة محمد صلى الله عليه وآله التي جعل الله عزها بسنابك خيلها، ومراكز رماحها. را: الوسائل الباب (١) من أبواب مقدمة العبادات الحديث (٣). الوسائل الباب (٤) من أبواب جهاد النفس والحديث(١١)، والباب(١) من أبواب جهاد العدو، الحديث(١٣) ـ ٩ ـ ٢٢. ورا: أيضاً الجواهر، ج٢١. ص٣.

جميعاً ـ ما لا يريده الله من وراء تشريع الحرب لأنه **﴿لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾**[1] ، وبما أنه تعالى لم يشأ ذلك ، فإن معنى انْ تعلن الحرب لأجل ذلك ان يتعرض البشر جميعاً للفناء تحت شعار الحرب المقدسة، وهذا ما فهمه الغرب عن المسلمين على الرغم من أن المسلمين لم ينتصروا بالسيف، وانما انتصروا عليه، وانتشروا في الأرض سلماً وتعرضوا للحروب تحت شعار القداسة من قبل الآخرين الذين لم يقبلوا بهم إلا بأحد شرطين؛ إما أن يهاجروا في الأرض، واما ان يدخلوا في المسيحية، كما حصل في اسبانيا مثلاً التي لا يوجد فيها مسلمون بعد ان تعرض فيها المسلمون لما تعرضوا له من قتل وتهجير وغير ذلك.

هذا ما سنتحدث عنه تحت عنوان الحرب وأسبابها ونتائجها، وما نريد بيانه في بحث السلام ان الله تعالى جعله قاعدة أساسية في علاقات المسلمين مع غيرهم، وهو ما بدأ به ولم يبدأ بالحرب حيث قال تعالى: **﴿قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾** واذا وقعت الحرب، فلا يكون الهدف منها مصلحة الاسلام والمسلمين فقط، بل هي تهدف ـ تحت عنوان ضرورتها ـ الى تحقيق الخير لجميع البشر بحيث تنتهي الى تحقيق السلام والى الاصلاح في الأرض، لأن الذين يجعلون علاقاتهم قائمة مع الناس على أساس القوة، ويعتدون على الآخرين ويحرمون شعوبهم الأمان والسلام، فإذا ردّ العدوان وتحققت الهزيمة للمعتدي فإن الشعوب التي استغلت في الحرب العدوانية لا بد انها تستفيد من هزيمة هؤلاء، وما تحقق من سلام لا يكون لمصلحة المسلمين وحسب بل يكون من مصلحة شعوب اخرى تضررت في هذه الحرب وحيل بينها وبين أن تكون

(١) سورة هود، الآية: ١١٨.

آمنة، إن الذين يؤثرون الحرب على السلام في جميع الأحوال هم في الحقيقة يؤثرون الشيطان على الله، والمعصية على الطاعة، والظلم على العدل والخير على الشر، والفساد على الاصلاح، فكيف يمكن القول عن دين المسلمين انه دين الحرب ولا يعرف للسلام طريقاً!؟

وماذا كان بإمكان الرسول ﷺ ان يفعل مع أولئك الذين لم يسالموه وحاربوه تحت شعارات شتى لا تمتّ الى السماء بصلة؟ غير ان يدافع عن نفسه، وقبله ان يدعوهم بالحسنى والحكمة والموعظة الحسنة..؟؟

ماذا كان بإمكان الإمام علي عليه السلام أن يفعل مع الذين أعلنوا الحرب عليه غير أن يقول لا تقاتلوهم لا تبدأوهم بالقتال قبل أن يبدأوكم. قال عليه السلام: «لا تقتلوهم حتى يبدؤوكم فإنكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة اخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم»[1]، «لا تقاتلن إلا من قاتلك ولا تدن من القوم دنو من يريده أن ينشب الحرب ولا يحملنكم شنأنهم على قتالهم قبل دعائكم والاعذار اليهم».

فلو كان عند الغربيين أدنى اطلاع على النصوص الاسلامية الداعية الى الحرب أو الى السلام لما كنا سمعنا منهم ما سمعناه ان الاسلام انتصر بالسيف، ولا يعطي للسلام فرصة!؟

ان الحروب الاسلامية كلها التي كانت تقاد من قبل الامام المعصوم عليه السلام برهنت على ان الاسلام ليس دين حرب وقهر وإكراه، وان

---

(١) رقم النص١٤.

السلام يمكن أن يتحقق فيما لو استجيب له من قبل الاعداء الذين يتحركون بالحرب على ضوء شهواتهم ومصالحهم، فما كان يمكن أن يفعل النبي أو الإمام إذا كان أهل الباطل قد أصروا على الحرب، وعلى مهاجمة المسلمين في عقر ديارهم . . .؟، وما تتضمنه خطبة الجهاد للإمام علي عليه السلام التي قد يفهم منها انها تحرض على الاعتداء، ـ لا يعدو كونه ـ أي ما تتضمنه هذه الخطبة إشارة الى ان التخلي عن الجهاد بكل فروعه يؤدي الى الذل والبلاء والصغار، كيف لا وقد رأى الامام بأم عينه ان الاعداء قد أغاروا على البلاد وقتلوا الأطفال والنساء، فأي سلام يمكن أن يتم مع هؤلاء وهم على ما هم عليه من عدوان وهمجية؟ أجل لم تكن غاية الامام من الحرب بسط السلطان السياسي، وكل ما كان يهدف اليه من حربه هو تأديب المعتدين وإصلاح ما فسد من أمور المسلمين، ولو كانت الحرب شيئاً مقدساً ويعول عليها في نشر الدعوة أو في تحقيق مكاسب سياسية للمسلمين، أو لبسط السلطان السياسي، لكان من الممكن أن نجد في التاريخ محاولة واحدة من قبل النبي أو المعصوم لفرض هذا السلطان، لكننا لا نجد أية محاولة من هذا القبيل. فالمسلمون لا يفكرون بالحرب إلا حين يتعرضون للعدوان بينما الآخرون ممن درجوا على الاعتداء كانت الحرب شغلهم الشاغل، ولم يكونوا يتوانون عن الغدر لتحقيق انتصارات عسكرية وسياسية بمعزل عن أي دافع إيماني لذلك، ولهذا تجد الامام حين سُئل ان معاوية يغدر ويفجر. أجاب: «والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر، ولكن لكل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة»[1] ، وفي مقارنة قانونية أعدها محمد طي بيّن قواعد الحرب في الاسلام وقواعد الحرب الحديثة انطلاقاً من دراسته لقانون الحرب عند الامام

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٠.

علي عليه السلام حيث عمد الكاتب الى عرض القواعد العامة التي وضعها الامام علي عليه السلام للحرب وهي متطابقة متكاملة وبين قوانين الحرب الحديثة وخلص الى نتيجة مفادها ان القواعد التي وضعها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده وصيه الامام علي عليه السلام للحرب والتي تستهدف الاختصار على الحد الأدنى من إلحاق الأذى والخسائر والآلام بالإنسان المقاتل والتي يمكن إذا ما تمَّ احترامها بدقة وإخلاص ان تمنع نشوب الحروب. إن هذه القواعد يجب أن تكون الغايات النهائية للسياسيين والحقوقيين الذين يهمهم بقاء الانسانية وتقدمها، وشعار الإمام علي عليه السلام الذي اختصر في هذا القول البليغ له: «لقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أهله الغدر كيساً ونسبهم أهل الجهل فيه الى حسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحُوَّل القُلَّب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين»[1]

خطاب الحرب والسلام في الاسلام

الى ماذا يسوقنا هذا المعنى المتقدم، لا شك انه يسوقنا الى معرفة الحقيقة التالية: وهي ان السلام لا يقوم به ولا يقدر عليه الا مَن يكون عارفاً بالله، ومدركاً لكافة أبعاد الرسالة الاسلامية، من هنا ضرورية أن يكون أُولو الأمر حكاماً في كل زمان، لأنهم يمثلون السلام الدائم والعادل والشامل، وهم وإن حاربوا ودافعوا ضد الكفار والمنافقين، فحربهم انما تكون ضرورة لأجل تحقيق السلام من خلال تحكيم الاسلام، فالخطاب وجه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه يعرف كيف يعقد السلام الذي هو سلام الله، لا سلام نفسه

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٤١.

أو مصلحته، وهو حينما يكون سلام الله يكون سلام الأمة، وحينما لا يكون سلام الله لا يكون سلام الأمة، من هنا نقول ان الحفاظ على هذه القاعدة وعلى هذا المبدأ انما يتم من خلال تحكيم أُولي الأمر أو من ينوب عنهم، لأنه من غير المعقول، بل غير جائز ان تعطى مهمة إبرام السلم الى مَن لا أهلية له، أو الى مَن لا يعرف أبعاد قوانين السلام والحرب في الاسلام. فإذا أبرم السلام من قبل مَن لا أهلية له ولا معرفة فإن الأمة ستتعرض الى فساد كبير، وإلى أن تدخل، أحياناً في حرب لا تؤدي بها الى سلام حقيقي . . . والحق يقال انه منذ أن أبعد أُولو الأمر عن القيادة توالت الهزائم على الأمة، وفسدت جميع أمورها وأدخلت في حروب لم تحقق لها إلا الخزي والعار بسبب الغدر بها تارة، وبغيرها طوراً آخر من قبل مَن تولى أمرها بطريقة غير شرعية!!

ان الله تعالى توجه بخطابات الحرب الى الأمة، لأنها إذا تعرضت للعدوان ولم يكن أولو الأمر على رأس السلطة، فمن واجبها ان تدافع عن نفسها، كون الدفاع عن النفس واجب مقدس وليس حقاً فقط .

يقول الشيخ شمس الدين: «واما الحرب، فإنها بعد أن كانت في جميع الحالات دفاعية ضرورة يقتضيها رد العدوان على الأمة، فتكون في بعض الحالات من شؤون القيادة، إذا كانت ثمة دولة اسلامية، على مستوى تحريك القوى وإدارة العمليات، وفي بعض الحالات تتوقف مشروعية الدخول في الحرب على القيادة إذا كانت ثمة دولة اسلامية، ولكن في جميع الحالات الحرب الدفاعية واجب كفائي على الأمة عام لجميع أفرادها عليها أن تهيء نفسها لهذا الواجب دائماً بحيث تكون قادرة على الدفاع والنصر حين تدعو الحاجة الى ردّ

العدوان. . »[1].

إذن هناك فرق بين السلم والحرب، فالسلم يحتاج الى قائد عارف مدرك لأبعاد ما يجري، يعرف متى وكيف وأين تبرم معاهدات السلام، وكيف تنبذ العهود والمواثيق ومتى، وهذا ما لا تقدر عليه الأمة في غالب الأحيان، أما الحرب الدفاعية، فهي أمر فطري ليس عند الانسان بل عند جميع الكائنات، فلا يقال ان الأمة قد أخطأت في الدفاع عن نفسها، لكن يمكن أن يقال بأن الأمة أخطأت في إبرام معاهدة سلام مع الدولة الفلانية، فالدفاع عن النفس لا يحتاج الى فلسفة تبرره بينما السلام يحتاج الى إمام راسخ في العلم، أو على الأقل الى إمام قادر على استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية، فإذا قلنا ان السلام قاعدة أساسية صحيح، وانه مطلوب لازدهار البشرية وتطورها أيضاً ذلك صحيح، وأن إبرامه مع أي كان سهل على كل حاكم أيضاً هذا صحيح، وبما ان السلام كذلك فلا يمكن أن يناط إبرامه بمن لا دراية لهم بالاسلام ولا معرفة لهم بأبعاده.

من هذا التحليل ندخل الى معنى ان يسالم العرب والمسلمون اسرائيل، فنقول: انه وبناء على ما بيّنه الشيخ شمس الدين من أن الخطاب في شأن السلم قد وجه الى النبي وأُولي الأمر الذين أوجب الله طاعتهم، وبما ان حكام العرب اليوم لا يستطيعون اعتبار أنفسهم من أُولي الأمر، فإن إبرام السلام لا يمكن أن يكون شأناً خاصاً بهم، أو حقاً خاصاً بهم، لأنهم نتيجة للأمة وليسوا سبباً لها، وهي متقدمة عليهم ـ في عصر الغيبة ـ فليس كل من ترأس جماعة أو دولة، يمكن أن يقال عنه بطل حرب أو سلام، ولهذا نجد ان

---

(١) الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، في الاجتماع السياسي الاسلامي، دار مج، ١٩٩٣، ص١١٦.

الخطابات في شأن السلام قد وجهت الى الرسول ﷺ بينما خطابات الحرب قد وجهت الى الأمة .

يقول الشيخ شمس الدين: «وقد خاطب الله تعالى النبي ﷺ في شأن الدعوة الى السلام بقوله: ﴿**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها، وتوكل على الله، انه هو السميع العليم**﴾(١) » .

وقد خاطب الله تعالى النبي والأمة في هذا الشأن بقوله: ﴿**قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف، وان يعودوا فقد مضت سنَّة الأولين، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير، وإن تولوا فاعلموا إن الله مولاكم فنعم المولى ونعم النصير**﴾(٢)

ويتضح من التأمل في الآيات المباركة في شأن الحرب والسلم ان الخطاب في الآيتين اللتين شرع الله تعالى فيهما قبول الدعوة الى السلام موجه الى النبي ﷺ خاصة دون الأمة، وان الخطابات المشرعة للحرب، الإمرة بها موجهة الى الأمة، وفي آيات سورة الأنفال الآنفة توجه الخطاب الى النبي ﷺ في شأن السلم ﴿**قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم**﴾ وتوجه الخطاب الى الأمة في شأن القتال والحرب ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**﴾ .

إن السلام الله عز وجل بدأ بالسلام واصطفى من عباده للنبوة والإمامة ولرعاية شؤون الناس الإنسان الذي مكنه من مسند الخلافة وألقى مقادير

---

(١) سورة الأنفال: الآية: ٦ مدنية .

(٢) سورة الأنفال: الآيات ٣٨ ـ ٤٠ . مدنية

الأمور اليه واحال حكم الجمهور عليه، هذا الانسان عارف بأبعاد الشريعة، بقوانين الحرب والسلام، ومؤهل لإمضاء العهود والمواثيق ولديه القدرة على الحكم بين الناس بما اراه الله تعالى ، وبما أن السلام لا يمكن قبوله فيما لو كان مخالفاً للإسلام، فإن أحق الناس بإبرامه أُولو الأمر الذين أوجب الله طاعتهم لمعرفتهم التامة بقوانين الحرب والسلام[1] ، ولهذا السبب جعلهم

(١) قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم...﴾ وارد بصيغة الأمر الذي يدل على وجوب الطاعة طاعة أولي الأمر، كما ان اقتران طاعتهم بطاعة الله ورسوله يدل على هذا المعنى، والمقصود بأولي الأمر الأئمة عليهم السلام ثم الحكومة الشرعية في عصر الغيبة وذلك لأن طاعة أولي الأمر مفترضة وإن كانوا غير معصومين يجوز عليهم الفسق والخطأ، فإن فسقوا فلا طاعة لهم، وإن أخطأوا ردوا الى الكتاب والسنة، إن علم منهم ذلك ونفذ حكمهم فيما لم يعلم ذلك. را: الميزان، ج٤، ص٤١٥.
ومن هذا النص نعلم ان الحاكم الفاسق لا تجب طاعته. اذ تشترط العدالة في الحاكم الشرعي: ونحن قبل أن نسأل الحكام العرب اليوم ما إذا كانوا يعتبرون أنفسهم من أُولي الأمر، فهل حكوماتهم شرعية؟ وهل من الشرعية في شيء أن يقال أمام اليهود في الكنيست وإن جنحوا للسلم فاجنح لها.؟ وأين قوله تعالى: ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم...﴾؟
ان معنى ان تكون الحكومة شرعية في عصر الغيبة، وان يكون الحاكم الشرعي عادلاً، ان تكون في احكامها وفي قوانينها مستندة الى المبدأ الأعلى الى الله سبحانه وتعالى من خلال العمل بكتاب الله وسنة نبيه، ان تحكم بما أنزل الله تعالى، فإذا لم تكن كذلك فلا تكون الحكومة شرعية. ولا الحاكم عادلاً، ومما يدل على هذه الحقيقة تهافت بعض الأنظمة على مسالمة اليهود وهم على أرض فلسطين وهذا يعتبر خروجاً على النص وعملاً بالهوى وخلافاً لقوله تعالى: ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وقاتلوكم في دينكم ان تولوهم...﴾
إذن لا يمكن اعتبار الحكومات القائمة حكومات شرعية، ولا الحكام المسالمين لليهود حكاماً شرعيين وعادلين من أُولي الأمر، هناك حكومة شرعية في إيران وحاكم عادل لا بدَّ من طاعته لاستناده في جميع أحكامه وقوانينه الى المبدأ الأعلى الى الشرع الاسلامي وحيث يوجد هذا الحاكم العادل فإن طاعته تكون واجبة...
بناء على ما تقدم نقول أن الحكومات التي لا تستند الى المبدأ الأعلى، والأنظمة التي

الله تعالى مسؤولين عنه دون الأمة، لأن هذه الأخيرة لا يمكنها أن تبرم معاهدات سلام لما قد يؤدي اليه ذلك من ابرام معاهدات ومواثيق ليست في صالح الإسلام والمسلمين، وبما ان الإمام أو النبي وحده القادر على تحديد المصلحة، وعلى استشراف آفاقه، ومعرفة نتائجه فقد جعل ابرام السلم حق خاص له، وإذا أردنا أن نعبر عن ذلك بالمعنى الفلسفي لقلنا إن الله قيد الوجود بأُولي الأمر وأطلعهم على حقائق الأمور، وقد وجه الخطاب في السلم اليهم كونهم أعرف الناس به وأقربهم لديه مما جعلهم مؤهلين لأن يبدأوا بالسلام كما بدأ هو سبحانه وتعالى، فسلامه المطلق غير ممكن الوصول اليه إلا انه من خلال أُولي الأمر يبرم السلام الحقيقي المؤدي الى السعادة البشرية في الدنيا والآخرة، وما ذكره محمد طي في مقارنته القانونية، من أن الغدر يفسد البشرية ويعرضها للفناء، يستفاد منه انه ليس

لا تعمل بما أنزل الله تعالى لا يحق لها ان تبرم السلام ولا أن تعلن الحرب، لأنها لا تعرف النتائج التي ستترتب عن كل ذلك في حربها وسلمها. والأمة وحدها هي المخولة لذلك في عصر الغيبة إلا ان يكون هناك قيادة اسلامية ودولة اسلامية قادرة على فهم النص وتحريكه على ضوء الواقع ومتغيراته؛ فإذا لم تكن هناك قيادة اسلامية ومجتهدون يتولون أمر الأمة في الحرب والسلم وجب كما يقول الشيخ الكبير كاشف الغطاء، على كل من له القابلية السياسية وتدبير الحرب وجمع العساكر إذا توقف الأمر على ذلك القيام، وتجب على المسلمين طاعته كما تجب عليهم طاعة المجتهدين في الأحكام، ومن عصاه فكأنما عصى الامام عليه السلام» إن الصراع الوجودي مع اليهود في فلسطين يبدو انه بحاجة الى أولئك الذين عندهم هذه القابلية السياسية والحربية في ظل تخلف الأمة وعدم قدرتها على مواجهة العدو بسبب هيمنة الأنظمة المسلحة بفتاوى بعض الفقهاء. والجدير ذكره هنا هو أن ضعف الأمة، وتسلط الأنظمة، وهيمنة التشريعات الغربية على واقع المسلمين، وقوة الغرب واسرائيل، كل ذلك لا يبرر السلام مع اسرائيل، ولا يجعل الحكام العرب موضوعاً للخطاب الإلهي ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾. وعلى الرغم من كل ذلك أيضاً ما زلنا نجد بعض مَن لديهم قابلية تحريك الوضع لصالح الاسلام، وهؤلاء هم الذين سيقودون الأمة الى حيث يجب أن تكون في المستقبل سواء عن طريق الحرب أو السلم...

بمقدور كل حاكم أن يبرم هذا السلم، لأن الجهل بأبعاد القوانين الخاصة بالسلام قد يحمل أي حاكم على أن يمارس الغدر تحت شعار السلام، مما يعني ان للسلام أهله، وهم الأئمة المعصومون أو من ينوب عنهم، فإذا ابعد هؤلاء عن القيادة وحيل بينهم وبين أن يكونوا حكاماً، فقد تبدأ الحرب لا لأجل السلام، بل لأجل مصالح شخصية ومشاريع خاصة لا تخدم الأمة لا من قريب ولا من بعيد ومن حقها أي الأمة أن تقرر فيما يتعلق بمصيرها ووجودها.

وبحسب مقولة الشيخ شمس الدين، فإن الأمة لها الولاية على نفسها الى حين خروج الامام المعصوم الذي له ولاية عليها، وهي في جميع الأحوال يمكنها أن تبرر وجودها، وان تدافع عن مشروعها، ومؤهلة الى حد ما لإبرام العهود والمواثيق التي تضمن لها مصالحها من خلال مَن يتولى أمرها من الفقهاء العدول .

وبما ان الأمة ترفض إبرام أية معاهدة سلام مع إسرائيل، فإن الأنظمة والحكام لا يمكنهم إبرام معاهدة سلام معها، لأن من يكون نتيجة للأمة لا يمكن أن يكون أعظم منها أو أعرف منها بمصالحها. والحق يقال : ان الأمة أعظم من حكامها وأعرف منهم بما ينبغي أن تكون عليه وأن تقوم به باعتبار ان الأمة من خلال فقهائها قادرة على تحقيق نفسها بعيداً عن مؤثرات سياسة الحكام التي لا تلتقي معها في شيء، وبما ان الإمام المعصوم أو النبي هو سبب في وجودها وقدوة لها، فله حق إبرام معاهدات ومواثيق السلم، اما في غيابه، فإن للأمة الحق في ان تعتبر الخطاب موجهاً اليها في شأن السلم كما في شأن الحرب، وما تصدي الحكام لهذه المهمة إلا خروجاً على الأمة لأنها لا تجد لها أية مصلحة في ابرام السلم مع إسرائيل لما له من انعكاسات على

وجودها وعلى مسيرتها لتحقيق نفسها بعد أن تعرضت للغدر من قبل من تولى أمرها في المراحل الزمنية السابقة، ومن هنا هي لا ترى أي حق للحكام في أن يقرروا عنها أو أن يلزموها بما يتنافى مع جوهر رسالتها. . .

ان الأمة اختارت الصراع الوجودي مع اسرائيل ومن واجب الدولة الحاكمة أن تحمل مشروع الأمة وأن تدافع عنه، أما إذا كانوا ـ أي الحكام ـ يتصرفون على أساس انهم أُولو الأمر كما في تأويلات بعض الفقهاء لآية ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾ وتحت هذا الشعار يراد زج الأمة في سلام مزعوم يفتح عليها أبواب الفساد والحروب الى ما لا نهاية، فذلك مما يعتبر خيانة لها، لأن الآية تقضي بأن يكون أُولو الأمر شرعيين وعادلين في عصر الغيبة، ومن أين لهؤلاء أن يكونوا عادلين وشرعيين وقد عرضوا الأمة لأخطار الوجود وحالوا بينها وبين تحقيق أدنى مستوى من الوحدة والوسطية بعد أن استبدل هؤلاء الوحدة بالقومية والقطرية والوطنية والمذهبية. . . !؟

يجب ان يسمح للأمة بأن تنتج بديلاً لهؤلاء الحكام يكون أكثر تمثيلاً لها، بعد أن أنتجتهم بسبب ضعفها، فاستغل الاستعمار فرصة وجودهم وفرضهم عليها!؟ وهو يحاول اليوم جاهداً أن يعطي انطباعاً بأنهم ممثلون لها، ومعبرون عنها! فإذا ما استمرت على ما هي عليه فإن الخطاب الذي وجهه الله اليها في زمان المعصوم بالحرب الدفاعية قد يسلب منها وتصبح عاجزة عن صناعة الحرب والسلام التي تريد، وهذا يدفع بها الى أن تكون متلقية أوامر الحرب والسلام من قبل الطواغيت، وبذلك تكون الأمة قد تعرضت للأخطار ودفعت بنفسها نحو العدم. . . ! إن أمة غيبت إمام الزمان وجعلت من خطاب الله لها بالدفاع عن نفسها غير فاعل ولا مؤثر، ومكنت

الأعـداء مـن أن يصنعـوا لهـا الحـرب والسـلام علـى الشكـل الـذي يـريـدون والدائمة واللون الذي يريدون. إن أمة وصلت الى هذا المستوى جديرة بأن تقتل نفسها، كما في قول موسى عليه السلام لقومه، قال تعالى: ﴿**وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التوّاب الرحيم**﴾[1].

أجل، إن الحكام لا يصلحوا لأن يكونوا أبواباً للسلام المقدس «ليسوا مؤهلين لأن يكـونـوا مـوضوعـاً لخطاب السلام، وهـم أعجز من أن يكـونـوا قـادرين على ترجمـة مـا تتضمنـه النظريـة الاسـلاميـة مـن مبـادىء في السـلام والحرب، ومثل هذا الكلام أيضاً ينسحب على الأمة، فهي في ظل ما هي عليه من ضعف وتجزؤ لا تصلح لأن تكون موضوعاً للخطاب الإلهي سواء في السلام أو في الحرب، ويبقى عليها أن ترتفع الى مقام يؤهلها لأن تحقق الوحدة والوسطية والشهادة والسبيل الوحيد الى ذلك هو أن تقرن الإيمان بالعمل، والعبادة بالتوحيد، والإيمان بالجهاد حتى تصل الى هذا المقام الوجودي بحيث يصبح الخطاب منها واليها ممكناً، لكن في جميع الأحوال تبقى الأمة ولية نفسها في ظل غياب القيادة الحكيمة، وهذا لا يحملنا على أن نعطي الحكام حقاً في إبرام السلام لأن ذلك يبقى من حق الأمة، فإن قيل: ان الأمة لم تكن كذلك في زمن النبي والإمام المعصوم عليه السلام، قلنا حتى ولو صح قولكم هذا ان الأمة لم تكن مؤهلة لذلك وغير قادرة عليه، فذلك لا يعني أن الخطاب معها لم يكن ممكناً بدليل ان السلام كان من حق الامام المعصوم عليه السلام، وكانت تفهم الخطاب الموجه اليها دائماً وقد اجبرت على الدفاع عن نفسها رغم كل ما حلّ بها نتيجة تمكن الطواغيت من تولى أمورها

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

ورعاية شؤونها. لقد استطاعت ان تتكامل مع نفسها وان تسمع خطاب إمامها ولم تكن قادرة على إبرام السلام في زمن الامام وحيث ما اجبر هذا الامام على توقيع معاهدة الصلح، فإلزامه هذا رغم انه إلزام أُكره عليه الامام، إلا انه لم يكن ضد مصلحة الاسلام والمسلمين، بل كان صلحاً ضامناً لمصلحة المسلمين، وكانت نتائجه واضحة وآفاقه مرئية من قبل المعصوم عليه السلام، إن أي صلح لم يبرم في زمن المعصوم عليه السلام مع أية جهة إلا وكان لمصلحة الأمة، وهذا ما سنعرض له في البحث الآخر إن شاء الله تحت عنوان السلام في التطبيق التاريخي.

إن ابرام معاهدة سلام مع اسرائيل من قبل الحكام لا يلزم الأمة في شيء ولا تتحمل أية مسؤولية عن ذلك، لأن الأمة تدرك تماماً بأن هكذا سلام ليس فيه أدنى مصلحة للمسلمين ويمكن العدو من إحكام قبضته على ما تبقى من كرامة وحرية ووجود هذه الأمة، وكما قلنا في المدلولات اللغوية: ان السلام لا يتم إلا بقرار جماعي وليس من حق أي حاكم أن يتفرد في ابرام اتفاقية سلام لا تتضمن أدنى مصلحة للإسلام والمسلمين، فالأمة ولية أمرها في السلام والحرب، وهي مسؤولة عن تدبير أمورها من خلال الفقهاء الذين يحملون مشروعها... الى أن يمنّ الله عليها بظهور إمام الزمان (ع)...

فقد بينا فيما سبق ان السلام ليس مجرد عدم الحرب، وانما هو مجموعة قضايا إنسانية من جملتها عدم الحرب، فإذا كان سلام الأنظمة يتم تحت شعار ﴿الصلح خير﴾[1] مع إسرائيل، وبما أنهم ادعوا لأنفسهم ولاية الأمر والتحدث باسم الأمة، فإن ذلك يحتم عليهم أن يبينوا هذا الخير وأن يقدموه للناس، فهل الخير يكمن في أن تعطى إسرائيل فلسطين، وأن يتم

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٨.

التنازل عن القدس؟ أم هو في أن يسمح لكم رابين بزيارتها!؟

أم هو في تطبيع العلاقات معها وتمكينها اقتصادياً من المنطقة؟

وهل بإمكان الحكام أن يبينوا للأمة ما يحمله هذا الصلح من خيرات، وما يوفره من إمكانات للنهوض من التخلف؟

قلنا ان من يحمل لواء الصلح ويدعو اليه أول ما ينبغي عليه هو أن يكون عارفاً بالنتائج التي قد تترتب عليه وتترشح عنه، وان يكون مدركاً لما يفعل ومطمئناً لحركته باتجاه هذا الصلح مع اسرائيل!؟ الصلح خير في حقيقته، قول يعبر عن قاعدة مطلقة في العلاقات الانسانية والدولية، ولا يمكن رفعه للتفاوض مع الصهاينة الذين يدنّسون المقدسات ويصدون عن سبيل الله. فهو خير بين أصحاب الحقوق، لكنه ليس خيراً بين صاحب الحق واللص، فهذا الأخير لو كان يفهم بأن الصلح خير لما أقدم على إهلاك الحرث والنسل في فلسطين وغير فلسطين، مما يعني أنه لا يمكن رفع هذا الشعار لتبرير الاستسلام... فإسرائيل ليست داخلة حتى الآن في الدائرة الانسانية حتى يمكن الحديث عن علاقة طبيعية معها. باعتبار أن أي شعب في العالم لا يمكن أن يطمئن الى أية علاقة معها. انها الدولة الوحيدة التي لا تقدر على الارتفاع إلى المستوى الإنساني لما هي عليه من فساد، فالصلح معها والاعتراف بها، انما يعني الاستسلام لها والقبول بها في المجتمع الانساني على أساس انها جزء منه، نقول: إذا جنحت للسلم وكان وجودها طبيعياً يمكن أن يجنح المسلمون لها، إلا ان وجودها غير طبيعي في فلسطين كونها غاصبة ومحتلة لأرض عربية وإسلامية، ومن ثم هي لا تعرف للسلام معنىً، وما تشيعه عن السلام لا يمكن الاطمئنان اليه لأنها دولة معتدية في الأصل ووجودها يقوم على العدوان وعلى الاستمرار فيه، نحن لا ندري

كيف ان بعض العرب والمسلمين اطمأن الى دعوة اسرائيل السلمية وبدأ يعمل لتحقيق السلام!؟

عند المسلمين توجد دائماً روح المسالمة والاستعداد للدخول في السلم إذا اظهر المعتدي ميلاً الى ذلك، وبما انه لا يوجد في الأفق ما يدل على ان اسرائيل راغبة في السلام، فإن الجنوح لها يعتبر استسلاماً، لأن العرب والمسلمين يعلمون تماماً ان اسرائيل ترفع شعار السلام وتقبل به لتحقيق مكاسب عجزت عن تحقيقها من خلال الحرب. إن دعوة القرآن واضحة ووردت في صيغة الأمر حيث قال تعالى: **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله...﴾**، وهذا يعني ان مسألة الدخول في السلم ليست متروكة للرغبة والاختيار، لكنه يبقى مشروطاً بأن يظهر المعتدون رغبتهم في السلم.

يقول المحقق الحلي في كتاب الشرائع ـ كتاب الجهاد ـ عندما تكون القوة موجودة لدى المسلمين ولهم القدرة على القتال، وكان العدو ضعيفاً عاجزاً بحيث ان انتصار المسلمين بدون خسائر ظاهر فإن القتال واجب ولا يجوز الصلح[1]، كما في قوله تعالى: **﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وانتم الأعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم﴾**[2].

نلاحظ كم هي الدعوة ملحة إلى السلام في القرآن الكريم، حيث انه تعالى أمر بالجنوح إلى السلام حتى ولو كان هناك احتمال بأن المعتدي ليس صادقاً ويحاول أن يقارب ليتغفل، وبما ان العرب والمسلمين يعرفون تماماً أن اسرائيل لا تريد السلام، ولا يوجد احتمال بانها تريد أن تصدق في ما

(١) را: جواهر الكلام، م. س. ص. ن.
(٢) سورة محمد، الآية: ٣٥.

تدعوا إليه ، بل هناك يقين بأن اسرائيل تسعى من خلال هذا السلام المزيف إلى تأكيد وجودها للقيام بجولات حرب جديدة ، مما يجعل من الصلح معها والاعتراف بها امراً غير مشروع . فهي كيان صهيوني يريد أن يسالم ـ فيما لو صدقت دعوته إلى هذا السلم ـ من موقع غير شرعي ومن ارض ليس له الحق فيها ، إلا أن هذا العدو غير صادق في دعوته ، ويريد من خلالها تأكيد وجوده وتجديد حربه ، اضافة إلى وجوده غير الشرعي في فلسطين ، فكيف يمكن رغم كل ذلك أن يكون هناك ثمة شرعية للصلح معه أو للاعتراف به ؟ إن الكيان الصهيوني لو كان موجوداً خارج فلسطين ويتميز بهذه العنصرية ويدعي لنفسه من الحق والوجود والكرامة ما ليس له ودعا إلى صلح مع شعوب مجاورة له لما كان بالامكان تصديق دعوته والتصالح معه ، فكيف به وهو كيان قائم على ارض اسلامية مقدسة ومحتل لأرض عربية اخرى وفي كل يوم يقتل على يده النساء والأطفال والشيوخ في المساجد والبيوت والشوارع إضافة إلى ما هو عليه من عنصرية ومن مبادىء تعتبر الإنسانية كلها خدماً له ، وتعطيه الحق في أن يتملك مال كل الشعوب ، وكما جاء في كتاب دفائن النفس اليهودية عن مجلة المشرق اليسوعية : من أن املاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذي يحق لليهودي تملكه . . وان الله قد منح لليهود السلطة على مقتنيات الشعوب . . . فاليهود ـ كما يزعمون ـ احب إلى الله مّن الملائكة . . . الخ[1] .

نعم ادخلوا في السلم كافة ، والصلح خير ، وإن جنحو للسلم فاجنح لها وتوكل على الله كل ذلك قد دعا إليه الإسلام وامر به ، إلا أنه لا قيمة لكل

---

(١) نحن واليهود إلى اين ، باقر شري ، دار القارىء ، ط١ ١٩٩٢ . ص٣٩ نقلاً عن مجلة المشرق .

ذلك مع عدو يمثل الشر المطلق ، لا كما ذكر أنور السادات في خطابه أمام الكنيست من أن اسرائيل اصبحت حقيقة واقعية واعترف بها العالم . . . قال: «ولما كنا نريد السلام ، فإننا نرحب بأن تعيشوا بيننا في أمن وسلام فعلاً وحقاً»(١) .

فلا ندري عن أي سلام كان يتحدث السادات أمام الكنيست الإسرائيلي ، ولا ندري أي عالم هذا اعترف باسرائيل وكأنه يتحدث عن جميع المسلمين في العالم؟ إن احداً من المسلمين لم يعترف باسرائيل ولن يعترفوا بها ، ولا صلح معها لإنها شر مطلق ، فإذا كان الصلح خيراً فيصبح معها شراً!!!

إن السلام معها لا يعني اكثر ـ في المفهوم الإسلامي ـ من أن تستمر الحرب بيننا وبين اليهود ومن وراء اليهود. . انه تنازع مطلق اما أن نموت ليعيشوا ، وإما أن يموتوا لنعيش وما نحن الذين اردناها كذلك بل هم وعسى أن تكون هذه الدراسة ـ إن جازت التسمية كافية في اقناع العرب اللاهثين وراء حل سلمي سرابي ضبابيّ انهم يدورون في حلقة مفرغة ، وانها لكافية إلا أن يكون وباء الماسونية قد تجذر فيهم ، فعندها لا يتبقى لنا سوى أن نلوذ بالمثل العامي «فالج لا تعالج!»(٢) إن السادات في خطابه تحدث عن السلام مع اليهود في الكنيست ورحب به قناعة منه بأن اليهود سيعيشوا بيننا في امن وسلام ، ولكنه أخطأ في التعبير ، باعتبار أن اليهود لا يبحثون عن سلام يمكنهم من العيش بين العرب والمسلمين ، بل سعيهم ينصب على ايجاد

---

(١) را: امين مصطفى ، كتاب العلاقات الامريكية الصهيونية ، دار الهادي ، ط١ ١٩٩٣ ، ص٢٤٥ نقلاً عن جريدة الأهرام ، القاهرة ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٧ .
(٢) نحن واليهود إلى أين ، م. س. ص٧٦.

سلام يجعل منهم سادة وغيرهم عبيد ، فاليهود لا يريدون أن يعيشوا بيننا في آمن وسلام ، بل يريدون أن نعيش بينهم باعتبارهم العقل المقدس والشعب المختار المؤهل لقيادة الإنسانية كما يزعمون !؟ هناك فرق كبير بين سلام يمكنهم من أن يعيشوا بيننا ، وبين سلام يقضي بأن نعيش بينهم ولأجلهم . انها حقيقة لم يغفل عن ذكرها أنور السادات ، كما انه لا يغفل عنها العرب اللاهثين وراء حل سلمي يُفسد ما تبقى عندنا من دين ودنيا . . .

نعود هنا لنؤكد على أن الله تعالى لم يتوجه في خطاب السلام إلى هؤلاء وامثالهم ، بل توجه به إلى الإنسان الكامل القادر على فهم هذا الخطاب وعلى ترجمته ، وكل من يتصدى لهذا الخطاب لفهمه وترجمته ينبغي أن يكون كاملاً وعارفاً بابعاد السلام . وإذا لم يكن كاملاً ومعصوماً اقله أن يكون نائباً للمعصوم واميناً على الرسالة ، وكما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ : «الفقهاء امناء الرسل» وفي عصر الغيبة هم المؤهلون لقيادة البشرية ، ومجازون من الإمام في أن يبرموا معاهدة السلام . اما أن يقال بأن الحكام اليوم هم من أولى الأمر واليهم وجه الخطاب في شأن السلم ، فذلك مما يزيد الأمر سوءاً والأمة تخلفاً وتجزءً وضعفاً ، وقد يؤدي بها ذلك إلى الدخول في نفق العدمية خصوصاً إذا ما علمنا أن هؤلاء يقودونها إلى مرعى وبي ومشرب دوي . . . !؟ إن الله تعالى اجل واعظم من أن يتوجه بخطابه إلى حكام مستبدين يقدسون انفسهم ويدفعون بالأمة نحو العدم ، وإذا كانت الأمة تتحمل مسؤولية ذلك كونها انتجتهم ومكنتهم طوعاً أو كرهاً من تولي امورها ، فذلك لا يعني أن الأمة لم تعد قادرة على تحقيق نفسها ، وعلى انتاج اخرين ، وهي على المستوى الوجودي ما زالت مؤهلة لأن تقاتل حتى لا يكون فتنة ، وللقيام بواجبها في تعقل معنى الخطاب

الإلهي لها بحيث تتمكن من أن تدافع عن نفسها ومن منع الحكام من أن يبرموا معاهدات مع اسرائيل باسمها وعلى حسابها . انها امة مقدسة رفضت وما زالت ترفض شعار السلام مع اسرائيل وهي اليوم في كل مكان من العالم العربي والإسلامي تمارس حقها في الدفاع عن نفسها ، وفي تولية الحكم مَن هو أهل لذلك من الفقهاء الأمناء . . .

سلام الله ينهى عن
الحوار والسلام مع الذين ظلموا . . .

بين اليهودية والصهيونية

فقد بينا في مستويات السلام تحت عنوان معنى التسوية أنه لا يمكن أن تساوي بين امة قائمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وبين أمة ضربت عليها الذلة ، بين امة تدعي لنفسها الإمتياز الوجودي عن غيرها وبين امة هي خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ليسوا سواء كما قال تعالى في سورة آل عمران وقد افضنا في الحديث عن معنى التساوي بين أهل الكتاب فيما بينهم وبين أهل الكتاب والأمة الإسلامية ، وما نريد الوقوف عنده الآن هو معرفة مدى صحة ما يعلنه البعض عن ضرورة التوصل إلى حوار بناء بين الشعوب الإسلامية واليهود ، وبين العرب واسرائيل . . . !؟

هناك من يتساءل عن أسباب انعدام الحوار بين المسلمين واليهود ،

ويبدي انزعاجاً من استمرار الصراع بينهما ، وقد اتهم العرب والمسلمون بأنهم وراء حالة الصراع هذه لأنهم لم يفتحوا أبواب الحوار أو على الأقل لأنهم لم يشجعوا عليه ، ويقال أيضاً بأنه ما دام المسلمون يحترمون أهل الكتاب وقد امروا بمجادلتهم بالتي هي أحسن ، فلماذا يرفضون الحوار مع اسرائيل ويشجعون على مقاومتها ويحرمون التعامل معها؟

في الغرب مثلاً يصور الإعلام للرأي العام الغربي أن اسرائيل في خطر وقد تتعرض للإبادة على يد المسلمين ، ويصور له أيضاً بأنه على الرغم من تجاوب اسرائيل مع دعوات الحوار ، فإن المسلمين ما زالوا يرفضون هذه الدعوات ويصرون على الحرب ، ونتيجة لهذه الدعايات المغرضة حصلت اسرائيل على دعم كبير من دول اوروبا الغربية ، وعلى تأييد سياسي كامل دفع باسرائيل إلى زيادة ممارساتها العدوانية ، وإلى احتلال مزيد من الأراضي طيلة السنوات الماضية . . هذه هي صورة الصراع بين العرب والمسلمين واسرائيل في الغرب ، ولا احد يملك القدرة هناك على تغيير هذه الصورة بسبب الهيمنة الاعلامية اليهودية . . . !؟

لكن الصورة الحقيقية هي أن اسرائيل احتلت فلسطين وقتلت النساء والأطفال والشيوخ وهي كانت ولا تزال تعمل من اجل انجاح مشروعها التلمودي الصهيوني الذي يقضي باحتلال المنطقة كلها والسيطرة على الثروات المائية والطبيعية في العالم الإسلامي ، كما انها تتحرك باتجاه هذه الغاية بوسائل عدة وانطلاقاً من مبادىء تلمودية تسمح لها بتملك كل مقتنيات الشعوب التي هي في الأصل لها كما تزعم ، وقد بينا في ما مضى كيف أن اسرائيل تحاول السيطرة على هذا العالم تحت شعار أن الرب قد اختارها دون غيرها وهو مكنها من القوة والمال لأجل تحقيق

مشروعها . . .

إن شعباً يعتبر نفسه مختاراً ومميزاً عن سائر الشعوب واجيز له أن يهلك الحرث والنسل وان يعتدي على الإنسان الذي كرمه الله لأجل أن يستعبده بحيث يكون خدماً له ، ويعطي نفسه اكثر مما يستحق من الكرامة ، ويدعي بأنه افضل من الملائكة وانه ابن الله وغير ذلك من الأدعاءات المزيفة والتي لا قيمة لها لا في الأرض ولا في السماء ، هذا الشعب اخرج نفسه من الإنسانية وقطع حبال التواصل معها ، قبل أن يخرجه أحد منها ، وقد تجلى ذلك باعتداءاته المستمرة على الإنسان في كل مكان . . . نعم الله سبحانه وتعالى امر بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي احسن إلا الذين ظلموا فهؤلاء لا يمكن مجادلتهم ، والتعامل معهم او الاطمئنان لهم ، لأن دينهم هو الظلم وسعيهم إلى الفساد في الأرض . إن هؤلاء ضربت عليهم الذلة بما عصوا ، وحيل بينهم وبين أن يكونوا أناساً حقيقين ، هذا فضلاً عن انهم لم يوحدوا الله تعالى ، ولم يتبعوه فيما امرهم به ونهاهم عنه . . إن شعباً هذه صفاته ومميزاته ، كيف يمكن أن يكون الحوارُ معه وعلى أي أساس؟ هل يكون الحوار معه على أساس الكرامة البشرية ، وبأن الله كرم بني ادم .؟؟

أم يكون على أساس أن لا يعتدي أحد على أحد؟

أم على أساس أنه صاحب حق في فلسطين؟؟

فإذا كانوا لا يعترفون بأن للإنسان كرامة ويعتبرون الناس دواباً وخنازير وغير ذلك مما وصفوا به الإنسانية ، وإذا كانوا يعتبرون النبيّ عيسى(ع) ابن غير شرعي كما سنرى في نصوص لاحقة ، وإذا كان الاعتداء دينهم وديدنهم وغير مستعدين لأن ينسحبوا من فلسطين التي يقولون انها ارض شعب الله

وارض المعاد ، فهل ذلك كله يجعل من الحوار ممكناً؟ أم ان ذلك يدفع إلى القول باستحالة أن يتفق هؤلاء مع احد من الناس؟ وهنا يمكن القول أن بعض اليهود قد استنكر ما يدعيه التلمود ، فهم ليسوا على وفاق مع انفسهم ولا مع المسيحية ، ولا مع المسلمين ، واهم ما يميزهم عن غيرهم هو العداء للناس كل الناس ، وإذا خرج أحد على ما تدعيه التوراة والتلمود فإنه يسجن أو يقتل ، حتى انه انشئت حركة يهودية معادية للصهيونية عرفت باسم حركة المفردات اسرائيل أي (الاتحاد الاسرائيلي) وعقدت عدة مؤتمرات مناهضة للصهيونية وقد سعى بعض قادتها مثل جاكوب دي اهان وهو دبلوماسي هولندي للتحالف مع العرب لإقامة دولة عربية يهودية يتساوون فيها في الحقوق فقتل سنة ١٩٢٤ فضعفت الحركة المذكورة وصارت في سلك الصهاينة[١] . إن الإسلام لا شك دعى إلى حوار بين الناس ، ومع أهل الكتاب حيث قال تعالى: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله﴾**[٢] .

وقال تعالى: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي احسن إلا الذين ظلموا منهم﴾**[٣] .

فالإسلام هو في جوهره دين حوار ، دين سلام قبل أن يكون دين حرب وقتال ، وما قول الرسول ﷺ « من اذى ذمياً فقد اذاني» إلا دليل على أن الإسلام دين محبة وحوار ، ولا يظنن احد بأن الحوار يمكن أن يكون

---

(١) را: مخاطر التهويد الاسرائيلي ، مركز الإمام الخميني الثقافي ، دار الوسيلة ، مقالة الشيخ مالك وهبي ، ص٧٧ .

(٢) سورة آل عمران آية ٦٤ .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية: ٤٦ .

ممكناً في ظل ما تدعو إليه الثوراة المتداولة من أن العالم ما خلق إلا من اجل اسرائيل وواجب اسرائيل وملصحتها حدا بها أن تقول بالثوراة وتنفذها والمكان الذي قضى الله بأن تعيش فيه اسرائيل وتحقق الثوراة هو ارض اسرائيل ، وهذا يعني أن مبرر وجود العالم واستمرار بقائه هو اقامة النظام التوراتي على ارض اسرائيل»[1] .

ليس المسلمون فقط هم الذين لا يريدون ايجاد حالة حوارية مع الذين ظلموا اليوم وغداً . . . بل هناك المسيحيون أيضاً فهم لا يريدون هذا الحوار معهم ، لا لأنه حوار ، بل لأنه معهم . فالشعب الذي يشترط للحوار معه أن نعترف به أنه الأقوى وأن له الحق في أن يمارس كافة انواع الأذى ضد المسلمين والمسيحين ، وكذلك هو يشترط لإقامة هذا الحوار أن نعترف به انه ابن الله وبأن فلسطين له! هذا الشعب لا يمكن مسالمته لأنه ضد كرامة وحرية الإنسان . !! فالقول بأن المسلمين هم ضد الحوار مع اسرائيل ، نقول نعم هم ضد الحوار مع الذين ظلموا ، وهناك فرق كبير بين اهلَ الكتاب من يهود ونصارى وبين اسرائيل كحركة صهيونية لا تمت إلى اليهودية بصلة عكس ما يظنه البعض من أن اسرائيل هي تجلٍ لليهودية ، فلو كانت كذلك لكان من الممكن التحاور معها خارج ارض فلسطين وبعيداً عن كل ما تدعيه من عنصرية وفوقية وغير ذلك .

من جملة ما قرأناه في الأونة الأخيرة عن الحوار والمقاومة والتطبيع مع اسرائيل قول احد الأباء المسيحين سائلاً : لماذا لا نستبدل موضوع المقاومة بمشروع الحوار ، نحن لا يمكننا أن نقبل لا بالتطبيع ولا بالمساكنة ولا بالعيش مع اسرائيل ، ونحن بالعمق لسنا ضد اسرائيل فقط لأن اسرائيل

---

(١) را: مخاطر اليهود ، م . س . ص٨٣ .

هي احدى تجليات اليهودية ، ممكن المصالحة مع اسرائيل ، ولكن غير ممكن المصالحة مع المشروع اليهودي في ارض شعب الله وارض الميعاد ، يعني الشعب المختار ، انما المطلوب بحق فعلاً على صعيد حقوق الإنسان على صعيد ايضاً الدين المسيحية والإسلام على صعيد الوطن وعلى الصعيد العربي ان نعرف مثلاً هل نريد المصالحة مع اسرائيل والتطبيع معها ، انا لذلك اود أن اشدد واركز على مفهوم حقوق الإنسان على مفهوم أيضاً الدين المسيحية والإسلام من الدولة اليهودية ، وثالثاً أيضاً ما هو مفهوم الوطنين والعروبين من هذا الموضوع لذلك المسألة الإقتصادية هي ثانوية ويمكن أن لا تكون خطراً كبيراً كالخطر الإنساني والخطر القومي الذي نتعرض له من قبل اسرائيل»[1] .

هذا النص أو بالأحرى هذا السؤال يطرح مواضيع عدة ، يطرح موضوع المصالحة مع اسرائيل وامكانية الحوار معها ، حيث أن صاحب المداخلة يؤكد على رفض التطبيع مع اسرائيل وفي نفس الوقت يدعو إلى الحوار مع اليهودية ، فهو لا يميز بين اليهودية والصهيونية ويعتبرهما شيئاً واحداً حينما يقول بأن اسرائيل هي احدى تجليات اليهودية رغم علم الأب العزيز بأن اليهودية الحقيقية مثلها مثل المسيحية والإسلام لا مشكلة للحوار معها أو للتصالح معها باعتبار أن الديانات الثلاث تعود كلها إلى الإيمان الإبراهيمي الكبير؛ فاليهودية التي تقول بأن يسوع المسيح كان ابناً غير شرعي ، حملته امه وهي حائض وكانت تتقمصه روح ايسو ، وانه مجنون مشعوذ ، مضلل صلب ثم دفن في جهنم فنصبه اتباعه منذ ذلك الحين وثناً

(١) را: الشيخ شمس الدين في ضرورات الانظمة وخيارات الأمة ، مداخلات وحوارات ، حوار في دار الندوة بيروت تاريخ ٢٦/ ١٠/ ٩٣ ، سؤال الأب ضو (انطوان ، وجواب الشيخ شمس الدين) ص٤٦ .

لهم يعبدونه»[1] . لا يمكن التحاور معها أو الغاء واستبدال مقاومتها بالحوار ، وكذلك لا يمكن للمسيحية أن تعترف بها فضلاً عن الإسلام ، لأنها يهودية تلمودية ظالمة لا مجال لمجادلتها بالتي هي احسن ، يقول الله تعالى : **﴿ليسوا سواءً من أهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين﴾**[2] .

فإذا كانت اسرائيل تجلياً لليهودية ، فمعنى ذلك انه يجب أن نقبلها وان نقبل بكل ما تقوله عن المسيحين والمسلمين وكل ما تنسبه اليهم من فحشاء تحت شعار جادلو أهل الكتاب بالتي هي احسن . . !؟

فإسرائيل ليست تجلياً لليهودية ، ولا تنتمي إلى ايمان ابراهيم ، بل تنتمي إلى الظلم الذي لا ايمان معه لا ابراهيمي ولا مسيحي ولا يهودي ، ولا اسلامي . انه كيان ظالم مغتصب كافر بما انزل الله لا مجال للإعتراف به ولا للتعامل معه فضلاً عن الحوار والمصالحة . . .

لو أن الأب العزيز اطلع على ما قاله الأب براناتيس ، من انه لا شيء اكثر مقتاً مما يمكن تصوره عما يقوله هؤلاء عن المسيحين ، فهم يقولون عنهم وثنيين . واسوأ أنواع الناس ، وانهم اكثر سوءاً من الأتراك (المسلمين) القتلة ، الفاسقين الحيوانات . . . فهم كالبهائم بأشكال ادمية بل هم اهل لتسميتهم ببهائم ، . . . ارواحهم تولد من الشيطان وإلى الشيطان تعود في الجحيم بعد الممات . . . »[3] .

---

(١) را: نحن واليهود إلى أين ، م ، س . فضح التلمود ، ص٥٦ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١١٣ .

(٣) نحن واليهود الى أين. م. س. ص٥٦.

لا شك أن اليهودية الحقة منزهة عن هذا الكلام ، ومن اليهود من هو قائم بالعدل ويمكن التحاور معه والتصالح . . اما ان نعتبر اسرائيل المحتلة لفلسطين هي احدى تجليات اليهودية الحقة ، فذلك ما يدفع بنا إلى اتهام الأب العزيز بعدم الموضوعية ، هذا فضلاً عن أنه قول ناشىء عن قلة المعرفة بما هي عليه اسرائيل في طبيعتها ، وكان من جملة الاعتراضات عليه هو اننا : «نلاحظ أولاً أن اسرائيل ليست تجلياً لليهودية واليهود ممثلون لأحد فروع الإيمان الكبير ، ايمان ابراهيم ونحن شركاؤهم في هذا الإيمان ، اسرائيل هي تجل لما وراء اليهودية ، هي تجل للحركة الصهيونية ونحن كمتدينين نفهم الصهيونية على أنها الغاء لليهودية وليست تمظهراً لليهودية ، اما الملاحظة الثانية فهي الحوار ، الحوار مع مَن؟ الحوار فيما بيننا هل نصنعه الآن؟

الحوار مع الصهيونية هو ما اضطرت إليه الأنظمة ، اما الأمة فهي نحن ، الذين ليس بيننا وبين الصهيونية ما نتحاور عليه ابداً . . . »[1] .

في هذا الجو المحموم يمكن لنا أن نشير إلى بعض المسائل منها أن الصهيونية ليست تمظهراً لليهودية الحقة ، بل هي الغاء لها لكن في الوقت نفسه يمكن أن تقول بأن الصهيونية هي احدى تجليات اليهودية التي ضربت عليها الذلة والمسكنة كما في قوله تعالى: **﴿ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾**[2] .

(١) مداخلات وحوارات ، دار الندوة ، تاريخ ٢٦/٣/١٩٩٣ ، ص٤٦ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١١٢ .

لقد اجمع الفقهاء والباحثون واغلب من تناول موضوع الصهيونية بالبحث العميق على أن اسرائيل هي تجل لما وراء اليهودية تجل للصهيونية القائمة على أساس التوراة المحرفة والتي تقف على طرفي نقيض مع اليهودية الحقه .

بمعنى انها أي اسرائيل هي تجل للحركة الصهيونية نفسها التي لها صفات واحدة على امتداد التاريخ وإن لم تكن تسمى بذلك في القرون الغابرة . فاليهود الذين قتلوا الأنبياء بغير حق وباءوا بغضب الله كانوا صهاينة وإن لم يكن هذا الإسم وكان لهم هذا الفعل ، من هنا فإنه يجب التمييز بين الصهيونية التي حرفت اليهودية ، وبين اليهودية الحقة التي تلغي الصهيونية ، وبما أن هذه الأخيرة قد انعدمت بسبب التحريف وغيره فلم يبق إلا اليهودية التي تنتج الصهيونية وتدافع عنها وتعتبر المسلمين والمسيحين مجرد بهائم بأشكال آدمية . إن اليهودية الحقة غير موجودة اليوم باعتبار انها بحسب وضعها الديني الأصلي ـ ليست امراً يوجب الإصطدام أو الإتهام لا مع المسيحية الحقة ولا مع الإسلام ولذا كان الأنجيل الحق مصدقاً بالتوراة الحق ، كما صدق القرآن بالتوراة والإنجيل ، إلا أن اليهودية قد خرجت عن طورها الصحيح مما حولها عنواناً لفئة من الناس ذات مبادىء نسبت إلى اليهودية اوجبت عدم تأقلم اليهودية واليهود مع غيرهم لا على مستوى الافكار ولا الاوطان . . . »[1] .

إن ما نجده في القرآن من قدح وذم لليهود فيصفهم بقتلة الأنبياء وذوي القلوب القاسية والمحرفين لكلام الله . . . وغير ذلك ، هؤلاء لهم

(١) را مخاطر التهويد الاسرائيلي ، الشيخ مالك وهبى ، م . س . ص٧٤ .

امتدادات على طول التاريخ ، والصهيونية هي اسمهم الجديد ، فإذا قلنا أن الصهيونية هي الغاء لليهودية ، فلا نعني بذلك إلا اليهودية الحقة ، وليس الصهيونية لما يعنيه ذلك من الغاء الصهيونية لنفسها بعد أن ثبت في النظرية والتطبيق انها امتداد لليهود الذين قتلوا الأنبياء بغير حق . . فالأب الذي نحن بصدد مناقشة ما يرمي إليه كلامه ، نخشى أن يكون قد غاب عنه هذا المعنى حيث أننا نجده يشدد على ضرورة استبدال المقاومة بالحوار وعلى المصالحة مع اليهود ظناً منه بأن هؤلاء هم شركاء المسلمين والمسيحين في الايمان الإبراهيمي ، فهو يخلط بين اليهودية الحقة والصهيونية ويعتبر اسرائيل امتداداً وتجلياً لليهودية المقدسة التي صدقها القرآن وهيمن عليها ، والتي صدقها الإنجيل أيضاً ، فلا ينبغي الخلط بين اليهود الذين قتلوا الأنبياء واليهود الذين قاموا بالعدل وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، فاسرائيل هي امتداد لمن قتلوا الأنبياء ومن شأن التحاور معها ومصالحتها ان نبوء بغضب الله تعالى ، فاليهودية الموجودة اليوم هي الصهيونية بعينها وقلة هم الممثلون للتوراة الحقيقية التي تساوي بين البشر وتؤكد على الحوار والمصالحة . . . نحن لا نريد أن نلغي الفوارق اصلاً بين اليهودية والصهيونية ، إذ أننا نعرف بأن اليهودية بعنوانها ذات مفهوم مغاير لمفهوم الصهيونية مع وجود بعض الفوارق الأخرى ، وهذا ما يؤكده الكاتب اليهودي «جي توبيرغر» في مقالته (الفرق بين اليهودية والصهيونية نشر في كتاب الصهيونية حركة عنصرية . جاء فيه «اليهودية والصهيونية ليستا بأي حال متطابقتين بل انهما في الحقيقة غير قابلتين للتوافق ولا للإنسجام فاليهودي الصالح لا يمكن أن يكون صهيونياً ، والصهيوني لا يمكن أن يكون يهودياً صالحاً» ، وبما أن اسرائيل هل تجل للحركة الصهيونية فذلك

يدل على أنه ليس فيها يهود صالحين حتى يمكن اخراجهم من الصهيونية ، وقلة هم اليهود الذين لا يعتبرون الصهيونية ممثلة لهم. والمسلمون على استعداد تام للتحاور مع هؤلاء حيثما وجدوا ، وما يمكن التركيز عليه هنا هو أن القرآن في العديد من الآيات قد ركز على دور اليهود ونبه من افكارهم ومخاطرهم ، مما يعني أنه إذا كان هؤلاء قد سموا انفسهم باسماء جديدة مثل الصهيونية مثلاً ، فلا ينبغي لنا أن نميز بين الأسماء تمهيداً للتميز بين المعاني ، فهم كانوا يهوداً ، وما زالوا يهوداً ، كانوا معتدين وما زالوا معتدين ، فإذا سموا بالصهاينة فلا يتغير في الأمر شيئاً وقد امتازت هذه الحركة في انها استوعبت وأعني الحركة الصهيونية ، عدداً كبيراً من غير اليهود» واصبحت غطاءً سياسياً لجميع مَن انتسب اليها . يقول الشيخ مالك وهبى ونؤيده في رأيه: «انه وفقاً للقرآن من جهة ووفقاً لما نجده في واقعنا وواقع اليهود والصهيونية ان اليهودية تشكل البنية التحتية للصهيونية ، كما ان الصهيونية تشكل الغطاء السياسي والعملي لليهودية بالنحو الموجودة فيه فعلاً أي بما هي عليه من تحريف»[1] .

نعم يمكن الفصل والتمييز بين الصهيونية واليهودية الحقة، باعتبار ان الأولى هي امتداد للذين قتلوا الأنبياء وعصوا وكانوا يعتدون، بينما الثانية هي امتداد للإيمان الابراهيمي الذي يلتقي عنده الجميع. . . وبما ان هذه قد حُرفت، فإن الموجود فقط هو الصهيونية التي هي تجلٍّ لما وراء اليهودية حيث انها تمكنت من احتواء كل اليهود وحولتهم الى صهاينة وحالت بينهم وبين ان يكونوا يهوداً حقيقيين وقد عبرت هذه الصهيونية عن نفسها من خلال إسرائيل.

(١) را: م . ع . ص٧٤ .

نحن نفهم من كلام الأب العزيز (من سؤاله) ان دعوته الى الحوار والمصالحة تستند الى اعتقاده بأن اسرائيل هي تجلٍّ لليهودية الحقة، وقد تبين لنا عكس ذلك تماماً، مما يعني استحالة التحاور مع اسرائيل لما تمثله من يهودية محرفة تعبر عن نفسها من خلال التلمود والتوراة المتضمنة لمبادىء غير إنسانية مبنية على خرافات وأساطير لا تمتّ الى أديان السماء بصلة . . .

يتساءل مالك وهبي: أليست اليهودية والتوراة والتلمود تشكل منشأ سهلاً ومبرراً للصهيونية بحيث تستطيع الصهيونية أن تستند الى التوراة والتلمود كغطاء شرعي ومبرر تاريخي لحركتها السياسية والإرهابية أم لا[1] ؟؟ ان الحوار ممكن بين امة من أهل الكتاب قائمة بالعدل تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وبين أمة اخرى سواء أكانت مسيحية أم إسلامية، أم ان يكون هذا الحوار ممكناً بين امة ضربت عليها الذلة وبين أمة آمنت بالله واليوم الآخر فذلك مما لا يمكن القول بإمكانيته[2] ، لأنه يعني فيما يعنيه التحاور والتواصل مع الذين ظلموا وهذا ما نهى الله عنه . . . الله سبحانه وتعالى يقول ليسوا سواءً، فكيف يقول بني آدم سواء أكانوا يهوداً أو نصارى أو مسلمين بأنهم سواء؟

فإذا كان البعض يريد أن يخضع الحوار أو المصالحة الى المبدأ الإنساني، والكرامة الانسانية تحت شعار حقوق الانسان، فهذا مما لا

---

(١) م. ع. ص٧٤٠.
(٢) بيّن الله تعالى ان الأمر بين أهل الكتاب ليس سواءً، فكيف يمكن ان يكون سواءً بين أهل الكتاب الذين ظلموا وبين خير أمة أُخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . . .

يستقيم أولاً مع ما تدعيه اسرائيل لنفسها من انها وحدها التي تنتمي الى الانسانية وما تبقى من الناس لا يعدو ان يكون بهائم بأشكال آدمية . . !؟ وثانياً: ان إسرائيل فيما تدعيه لنفسها من حق في تملك العالم ومقتنياته تحت عنوان شعب الله المختار، فقد بيَّن الله سبحانه وتعالى وأثبتت التجارب ان اسرائيل والحركة الصهيونية لا تقيم أدنى وزن للمعايير الانسانية وللفضائل الأخلاقية. لقد تبيّن أن الإنسانية لا تكمن في المال أو في القوة العسكرية أو في الهيمنة على وسائل الاعلام، كما انها لا تكمن في الوحشية والعدوان المستمر على المسلمين والمسيحيين وغيرهم، فإذا كان المراد أن يبدأ الحوار على أساس ان الجميع متميزون ويشتركون بالهيئة الانسانية ونعني بالصورة والشكل الآدمي فذلك ما نتركه للشاعر الذي قال:

ترى القوم اسواء اذا جلسوا معاً وفي القوم زيف كزيف الدراهم

أجل لسنا سواء لا في الشكل ولا في المضمون، ولا في الدعوة، ولا في الانسانية والأخلاقية والإيمان، ولا في الحقوق، وقد بيّنّا فيما سبق من أبحاث تحت عنوان التسوية من أنه ليسوا سواء من له الحق كل الحق ومن هو لص يريد أن يشاركنا في أرضنا وبحارنا ومياهنا وفضائنا، فبما ان الصلح غير ممكن والتسوية غير ممكنة، فضلاً عن السلام؛ فكذلك أيضاً لسنا سواء فيما ندعو اليه ونؤمن به وفيما يدعون إليه ويؤمنون به. . .

وإذا كانت الأنظمة قد بدأت حواراً عقيماً مع اسرائيل تحت عنوان الضرورات، فذلك مما لا يلزم الأمة في شيء اطلاقاً، كما انها لا تعترف به وليست مسؤولة عن كل ما يترشح عنه من نتائج لن تكون حتماً في صالح الاسلام والمسلمين، وكما يقول الشيخ شمس الدين: ليس بيننا وبين اسرائيل أي شيء يمكن ان نتحاور عليه أو أن نتواصل من أجله، لأن الأمة

ملتزمة بقول الله الذي نهى عن مجادلة الذين ظلموا، وفي هذا النهي تكمن سعادة الأمة وحريتها وكرامتها وفاعليتها، فإذا كان هناك ثمة ضرورات قد حتمت على الأنظمة ان تحاور اسرائيل خلافاً لما أمر به الله تعالى، فهذا الحوار لن تكون فيه أدنى مصلحة للإسلام والمسلمين، ولو كان فيه من الخير شيء لأجازه الله تعالى، وبما أن الأنظمة قد أجازت لنفسها محاورة الذين ظلموا وقتلوا الأنبياء وعصوا وكانوا يعتدون بدعوى ان ذلك يحقق الأمن والسلام في المنطقة! فإن ذلك فيه جرأة على الله تعالى وادعاء بالمعرفة والإحاطة بكل شيء علماً، لأن معنى أن ينهى الله تعالى عن الحوار مع الذين ظلموا، وان تأمر به الأنظمة، معناه ان الأنظمة قد تجرأت على الله وأمرت بما نهى عنه، وهذا يدفع بها كما دفع بها في الماضي الى تحليل ما حرم وتحريم ما حلل، لأن الدخول فيما نهى عنه لا يعني أكثر من ان هذه الأنظمة مستعدة لأن تدخل فيما حرمه الله تعالى؛ ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء، وان تفعلوه يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ولا يكونوا أمثالكم، انه على كل شيء قدير.

الإسلام الله لا يفرق بين الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية

يغالي البعض في التمييز بين الصهيونية السياسية والدينية، ويعتبر الحديث عن احداهما مغايراً للحديث عن الاخرى، وهذا البعض يقدم الصهيونية السياسية للناس على أساس انها حركة علمانية تسعى الى أن يكون لها ما هو لجميع الناس، مثلها مثل أية حركة علمانية في العالم، ويضيف هذا البعض الى ما تقدم مقولة ان الصهيونية السياسية لا تتحرك على أساس ديني وهي تختلف عن غيرها عن الصهيونية الدينية في ان هذه الأخيرة تتحرك على أساس ديني توسعي يعادي سائر البشر بينما الحركة الصهيونية السياسية، وهي وإن كانت تعمل لأجل ان يكون لها وطن قومي ودولة علمانية، تبقى حركة لها ما يميزها من حيث الدعوة الى التفاهم مع سائر البشر، وقد يكون بمقدور أي باحث ان يلحظ هذه الحقيقة بالتأمل في نصوص.هذه الحركة لجهة ما هي عليه من كفر وإلحاد يجعلها في مقابل الصهيونية الدينية، يقول الدكتور رشاد عبد الله الشامي في كتابه القوى

الدينية في اسرائيل: «وحينما واجهت الصهيونية ذات الطابع العلماني، في جوهرها، معضلة التوجه الى الصهيونيين الدينيين من بين يهود شرق أوروبا المرتبطين بكل أسس التراث الديني اليهودي كان عليها أن تجد حلاً يربط جسور التفاهم في النظرية الصهيونية بين اصرار يهود شرق أوروبا على الارتباط بكل ما هو وارد في العهد القديم بشأن «شعب الله المختار والوعد الإلهي» والحق التاريخي وغيرها من الادعاءات التي رسخت في الوجدان الديني عبر العصور وبين الاتجاه العلماني في الحركة الصهيونية الذي نحى منحى القوميات الجرمانية والسلافية، فوضعت الرموز والاشكال الدينية اليهودية التي جردت من محتواها الأخلاقي في خدمة القومية اليهودية، وهذه الرؤية اللاأخلاقية (التي تحل محل الإيمان الديني العميق على حين تستفيد به الى أقصى حد)، كانت دائماً وسيلة شبه مؤكدة النجاح لتجميع الجماهير وقد صحت بصفة خاصة في حالة الصهيونية وذلك على ضوء حقيقة ان قطاعاً عريضاً من أفراد الطوائف اليهودية في شرق أوروبا كانوا متدينين للغاية... وهكذا فإن الصهيونية، شأنها شأن الايديولوجيات الاخرى، وعلى الرغم من هربها من اليهودية والرفض لها سعت الى اكتساب الشرعية وتجنيد الجماهير باستغلال اليهودية لتضفي على نفسها صبغة دينية أو لتظهر وكأنها امتداد لليهودية وليست نقيضاً لها ومن هنا فقد لجأت الصهيونية الى تبني الأفكار والرموز الدينية المألوفة لدى الجماهير وحولتها الى رموز وأفكار قومية في صياغة شبه دينية للبرنامج الصهيوني ليكون محل قبول من كافة التنوعات الاجتماعية والعرقية والحضارية والثقافية ليهود أوروبا»[1]، ويبقى السؤال كيف تكيفت الصهيونية العلمانية مع وجهة النظر

(١) رشاد عبدالله الشامي، القوى الدينية في اسرائيل، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٤،

اليهودية التقليدية، وبالتالي كيف قبلت اليهودية التقليدية هذا التفسير وكيفته مع عقائدها بحيث أصبحت، هناك داخل الصهيونية العلمانية، صهيونية دينية وصهيونيون دينيون مما أدى الى نشوء علاقة وثيقة بين الصهيونية والدين اليهودي[1] . ؟

قد نجد مَن يقول بأن اليهود ليسوا جميعاً معادين للعرب والمسلمين، بل منهم مَن يقول بحق الآخرين في الحرية والكرامة والوجود وتقرير المصير، والصراع الوجودي انما هو مع أولئك الذين ينكرون حق الآخرين في ذلك، مع المتطرفين اليهود، مع شاش أو مع الحريدم وغيرهما من الحركات المتطرفة في ما يسمى بإسرائيل. . !! وقد يستطرد البعض في الحديث عن محاسن وإيجابيات الحركة الصهيونية العلمانية التي لا تقبل بأي دور لرجال الدين في سياسة الدولة بحيث يعتبر ذلك دليلاً على امكانية التفاهم مع أية حركة صهيونية لا تتحرك على أساس ديني توراتي، ويغرب عن بال هؤلاء ان الصهيونية العلمانية، وان كانت تتحرك على أساس قومي، هي أيضاً تنطلق وتتحرك تحت شعار العودة الى فلسطين، والعداء للعرب واحتلال أرضهم وتدنيس مقدساتهم تطبيقاً للتوراة. . . وكل همها أن يخرج الدين اليهودي من دائرة المعجزة الى دائرة العمل في الواقع وتحقيق الأهداف اليهودية من خلال إقامة الدولة والمؤسسات والسعي الدؤوب بعيداً عن طريق المعجزة، يقول أرثور: «لقد رفضت هذه الحركة كل المقولات الدينية التي تتعارض مع أهدافها، فرفضت المضمون الصوفي الانطوائي للدين وفكرة انتظار مجيء المسيح المخلص وفكرة العودة الى فلسطين عن

حزيران، ص٣٠ ـ٣١.

(١) م. ع. ص. ن

طريق المعجزة وغيرها من الأفكار التي من شأنها أن تبقي اليهود قانعين بحياتهم انتظاراً للمستقبل الموعود . . . »[1] .

أجل لقد تداخلت الصهيونية العلمانية مع الصهيونية الدينية واتفقت معها على قواسم مشتركة، وإذا صح ان هناك تناقضات بين هاتين الحركتين، فهذا ما يمكن أن نشهده في أية حركة سواء أكانت علمانية أم دينية، وما كتبه هرتسل في كتابه يكفي لبيان هذه الحقيقة، فهو يقول: «سوف يقوم حاخامونا، الذين نتوجه اليهم بنداء خاص بتكريس جهودهم وطاقتهم لخدمة فكرتنا، وسوف يغرسونها في نفوس الرعية اليهودية عن طريق الوعظ والإرشاد من فوق منابر الصلاة، لن نسمح إذن بظهور أية نزعات ثيوقراطية لدى سلطاتنا الروحية وسوف نعمل على ابقاء هذه السلطات داخل الكنيس والمعبد فالمتسلطون الدينيون، إذا حاولوا التدخل في شؤون الدولة سوف يلقون مقاومة عنيدة وشديدة من جانبنا»[2] .

هذا الكلام يوضح فيه هرتسل حقيقة ودور الحركة الصهيونية العلمانية التي ينبغي أن تحكم المجتمع اليهودي من دون إلغاء الدور المناط القيام به بالمتدينين، وهذا لا يعني اطلاقاً اخراج الدين نهائياً من الواقع، لأن إشاراته واضحة الى أن يقوم الحاخامون بتدعيم الفكرة والدعوة لها من على منابر الصلاة، وهذا ما دعا اليه الرئيس الاسرائيلي بن غريون الذي شدَّد هو أيضاً بدوره على ضرورة ان تكون الدولة علمانية قائمة على أساس ديني على الرغم من كل الإيهامات التي يراد لها ان تعطي انطباعاً بأن الدولة قائمة على

---

(١) م. ع. نقلاً عن روبنشتاين، امنون، ص٣١.
(٢) را: عبد الوهاب المسيري، الايديولوجية الصهيونية، ط٢. سلسلة عالم المعرفة ج٢. ص١٥.

أساس قومي. إن عالمنا اليوم العربي والاسلامي يتحدث عن المجتمع الاسرائيلي وكأنه مجتمع منقسم على نفسه وان حزب العمل الاسرائيلي أفضل وأقرب للسلام مع العرب من الأحزاب الأخرى. وهذا الحديث هو من جملة ما يراد لهذا العالم ان يعيشه من منطلق انه حقيقة وليس وهماً وخيالاً، ومن جملة الأقاويل أيضاً ان حزب العمل غير متعصب دينياً ويرفض النزعة الثيوقراطية وهذا من شأنه أن يفسح في المجال أمام تطور العملية السلمية في المنطقة. وكأن مشكلة هذا العالم هي في أن يكون الليكود هو الحاكم في إسرائيل، أو غيره من أحزاب اسرائيل، نحن قلنا فيما سبق ان المشكلة كانت وستبقى فلسطين وليس انقسام المجتمع الاسرائيلي على نفسه وقرب أحد الأحزاب من بعض الدعوات السياسية التي تطلق هنا أو هناك، وقلنا أيضاً ان هناك صهيونية مختلفة فيما بينها على ان يكون الحاكم علمانياً، أو دينياً ثيوقراطياً، وهذا الخلاف لا يمت بصلة الى ما تقوم عليه الدعوة الصهيونية لجهة ان تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود قائماً على أساس توراتي، وان يبقى العداء للعرب قائماً سواء أكانوا في حالة هدنة أو في حالة حرب. سواء أكان حزب العمل هو الحاكم أو الليكود. إن أحداً في العالم لا يمكنه القول بأنه الصهيونية هي دائماً متفقة مع نفسها وموحدة في رأيها في الخطوط العريضة، وفي التفاصيل، لأن كل حركة في العالم لها وجهات نظر مختلفة بالنسبة لما تعيشه من قضايا ومشكلات، اما ان يقال بأن الحركة الصهيونية بجميع وجوهها متفقة في كل التفاصيل فذلك يمكن اعتباره هذياناً، انطلاقاً من معرفتنا التاريخية بأن اليهود هم من أكثر الأمم اختلافاً فيما بينهم، وانهم لم يتفقوا يوماً على شيء وكانوا دائماً يتفقون حينما يتعرضون لعدوان خارجي، واذا لم يكونوا في حالة حرب مع الآخرين،

فإنهم حتماً في حالة حرب مع أنفسهم، حرب بين الأقوياء منهم وبين الضعفاء، وهذا ما بيَّنه القرآن الكريم في جملة من الآيات أشرنا الى بعضها في هذا الكتاب.

لا شك ان الذي يوحد اليهوذ في فلسطين اليوم، هو شعورهم بأنهم ليسوا على شيء وليس لهم شيء في هذا العالم، وهم لو خليوا وأنفسهم لانعدم الوفاق بينهم ولقامت الحرب بينهم على ساق، وما يمكننا أن نشير اليه هنا ان بن غريون الذي يعتبر مؤسس دولة اسرائيل وأول رئيس لها هو أول من طبّق تعاليم هرتسل بأن لا يتدخل رجل الدين اليهودي في شؤون الدولة، لكنه مع ذلك أصدر القوانين اللازمة لإعفاء الكثيرين من طلبة العلوم الدينية من الخدمة العسكرية في الجيش، ومن جملة أقواله في هذا الشأن: «إن خلود اسرائيل يتميز باثنتين: دولة اسرائيل والتوراة[1]، على دولة

---

(١) ان أي باحث لا يمكنه ان يخفي التناقض بين الدولة والدين في تاريخ اليهودية والمسيحية، فالعلماني اليهودي لا يريد للدولة ان تكون محض دينية والديني التقليدي لا يريد للدولة ان تكون محض علمانية فقد تمَّ التوافق بين الصهيونية العلمانية والمتدينين على ان تكون الدولة مفسرة للتوراة ومعبرة عنها، وهذا التوافق بينهما ادلى، (بشكل ما) الى أن يضيع الدين بالدولة بسبب اصرار العلمانيين على موقفهم بإبقاء رجال الدين خارج اللعبة السياسية ومنعهم من التدخل في شؤون الدولة في الوقت الذي كان يعمل فيه هؤلاء على الاستفادة قدر الامكان من التوراة والعواطف الدينية مما ادى الى ضياع الدين في الدولة سواء عن قصد أو عن غير قصد، وهذا ما أشار اليه برهان غليون في كتابه الدولة والدين بقوله: يؤكد تاريخ اليهودية والمسيحية هذا التناقض العميق بين الدولة والدين، وكما أدى ضياع الدين في الدولة الى تحويل اليهودية الى طائفة بامتياز وجعلها تتصرف كقبيلة دينية معزولة ومنعزلة في العالم بالرغم من عالمية رسالتها، فقد أدى ضياع الدولة في الدين الى تفكك الاجتماع المدني وسيادة التمييز والفوضى وزوال القانون وارتداد الحقيقة الدينية الى فكرة روحية صرفة...» را: برهان غليون، نقد السياسة الدولة والدين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢ سنة ١٩٩٣، ص٦٢.

اسرائيل ان تعتمد على نفسها وعلى إلهنا الذي في السماوات»[1] فهذا الرئيس الاسرائيل الذي يعتبر من دعاة ومؤسسي الصهيونية العلمانية لم يجد بداً من الاعتماد على التوراة من أجل إقامة الدولة في فلسطين، وليس صحيحاً ما ذكره الدكتور رشاد من أن هذه العبارة هي في الحقيقة تعبر عن دبلوماسية سياسية أكثر من تعبيرها عن اعتقاد ديني شخصي» لأن العلمانية عند اليهود والتأثر بعلمانية أوروبا لا تعني أبداً ان يخرج اليهودي على نصوصه التقليدية أو ان يجعل منها مواداً ثانوية في حياته السياسية والكيانية، فقط هي تعني عندهم (أي الصهيونية العلمانية) ألا ينتظر التدخل الإلهي لتحديد المصير، بل عليهم، على اليهود أن يلجأوا الى الوسائل الطبيعية العادية مثل الفانتوم والنابالم، وقد قال بن غريون: «ان الجيش الاسرائيلي هو خير مفسر للتوراة»[2] بهذا فقط تمتاز الصهيونية العلمانية عن الصهيونية الدينية التقليدية التي لا تزال تؤثر فيها الشعوذات وغير ذلك مما لا يزال له الأثر الكبير في حياة الشعوب اليهودية والمسيحية والاسلامية. . . !؟

نحن نرى ان على العرب ان يعلموا جيداً ان العلماني بن غريون والحاخام المتطرف الذي حاول الكثيرون من زعماء اسرائيل إبعادهم عن السياسة، هما متفقان على ضرورة ان يكون الجيش الاسرائيلي مفسراً للتوارة، وان تكون طائرة الفانتوم هي اشارة السلام مع العرب والمسلمين، وعلينا جميعاً ان نعلم أيضاً ان بن غريون العلماني ورابين الذي قيل ان امريكا تريد له الاستمرار في الحكم لأجل الاستمرار في عملية السلام من حيث كونه معتدلاً فيما يريده ويدعو اليه، وكذلك شامير الذي مثل أبشع صور

(١) را: د. رشاد، عبدالله الشامي، م. س. ص٥٣.
(٢) م. ع. ص. ٥٤. وقا: مع المسيري، عبد الوهاب، اليهودية والصهيونية واسرائيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت ١٩٧٥ ص١٥٢، ١٥٥.

الاجرام في تاريخ الإنسانية، هم جميعاً متفقون على ضرورة ان يكون الجيش الاسرائيلي موجوداً في لبنان والجولان وفي كل مكان. متفقون على استمرارية العداء للعرب وعلى استحالة التفاهم معهم، وهذا ما قاله بن غريون حينما سئل عن التعايش مع العرب قال: «علينا ان نفعل كل شيء كيلا يرجعوا يوماً. . . وهو يعني اللاجئين. . وعلاقاتنا بالعرب خارقة للمألوف على اعتبار انه لا وجود لها. . ففي عالمه، في دولته، لا مكان للعرب؛ فلا هو عرفهم، ولا بوده ان يعرفهم»[1].

ان سعى العلمانيين لإبعاد الحاخامات عن السياسة لم يكن عملاً ضد الدين والتوراة وانما كان هدفاً لهمُ للحيلولة دون أن يتأثر المجتمع الاسرائيلي بأفكار وطروحات تؤثر سلبياً على حركتهم في الواقع نظراً لسيادة بعض التقاليد التوراتية التي لا تخدم دولة اسرائيل، ومن الحمق الظن أو الاعتقاد بأن العلماني في اسرائيل يمكنه أن يكون بديلاً للدين أو مستغنياً عنه اعتبار انه الحجر الأساس لقيام دولة اسرائيل على أرض فلسطين، انه السماد الثمين الذي يخصب البذرة الغالية للقومية ويحميها من القوى النهمة للاندماج. را: رشاد، م. س. ص ٣٥. وإلا ما معنى ان يُعفى طلبة علوم التوراة من الخدمة العسكرية في الجيش الاسرائيلي الذي هو خير مفسر لهذه التوراة، فلو كان هذا الاعتقاد عملاً سلبياً وضاراً بدولة اسرائيل لما أقدم بن غريون على اصدار قانون خاص يعفي طلاب التوراة من الخدمة في الجيش على الرغم من ان هذا القانون معترض عليه اليوم من قبل حزب العمل الاسرائيلي لأسباب عدة. .[2]

(١) ميشيل بارزوهار: بن غريون، النبي المسلم، باريس ١٩٦٦ ويمكن الرجوع أيضاً الى مجلة هاعولام هارابة ٧ نيسان ١٩٥٨، مقالة أوري افتري.

(٢) تجدر الاشارة هنا الى ان القانون الذي أصدره بن غريون ويقضي بموجبه اعفاء طلبة

العلوم الدينية والتوراة والتلمود سنة ١٩٥٠ تحت ضغط عدد من زعماء اجودات اسرائيل غير مرضَ عنه اليوم من قبل حزب العمل الاسرائيلي، وقد أبدى مخاوفه من ان يستغل للتهرب من الخدمة العسكرية. ومن الدلائل على ذلك الشجار العنيف الذي وقع في الكنيست الاسرائيلي بين حزب العمل والحريدم ومما جاء في هذا الشجار بين هذين المعسكرين ان افراهام بورج (حزب العمل) قدّم بحثاً شاملاً عن تهرب شباب «اليشفوت» (المعاهد الدينية) من الخدمة في جيش الدفاع الاسرائيلي ذكر فيه: ان نحو ٢٢ ألف شخص في سن التجنيد يتهربون حالياً من الخدمة في الجيش، وقد ذكر ان بن غريون وافق في عام ١٩٤٨ على اعفاء ٤٠٠ ـ ٩٠٠ شخص في السنة... ولقد بدأ المعركة عضو الكنيست امنون روبنشتاين قائلاً: انها ظاهرة مذهلة، انه توجد هنا مخالفة اجرامية عندما نموه على هذه الظاهرة تحت عنوان «تأجيل التجنيد» وردّ عليه جفني اجودات: لا وجود للشعب اليهودي دون دراسة التوراة. ورد عليه افراهام يورج في حزب العمل: انتم تعرفون انه لا يوجد نصب تذكاري واحد في المقابر العسكرية مدفون تحته شخص قتل نفسه في خيمة التوراة، أجاب شموئيل هليرت: حريدم: كيف تجرؤ على الكذب في الكنيست إن شقيق الوزير مزراحي كان من تلاميذ اليشفا وقتل في حرب يوم الغفران، قال بورج: فلتصرخوا كما تشاؤون ولتزعقوا كما تشاؤون قال: باروش (حريدم): وانت فلتنبح كما تشاء مثل الكلب.. را: عالم المعرفة القوى الدينية في اسرائيل م. س. ص١٥٧. الى ما هنالك مما جرى في تلك المعركة التي لا تتسع هذه الوريقات لنقل كامل وقائعها. لكن يمكن القول انه على الرغم من ذلك فإن الاتفاق بينهم قائم على أساس استمرار العداء للعرب، ومهما حصل بين العلمانية والدينية في اسرائيل فانهما يبقيان وجهين لعملة واحدة، وهذا ما لا يريد العالم الغربي لنا أن نفهمه بحيث نسرع الخطى الى السلام مع حزب العمل الاسرائيلي لما يمثل هذا الحزب من تقدم واعتدال كما يزعمون، وفي جميع الأحوال لا يمكن لحزب العمل ان يتعامل مع مؤسسة الحاخامية من منطلق انها مؤسسة ثانوية يمكن تقرير الحرب أو السلام من دونها، بل هي الأساس في كل ذلك، وما قيل من ان بن غريون ابدى مخاوفه سابقاً من أن يستغل قانونه (الاعفاء) هو قول مبالغ فيه، اذ كيف لا يكون مقتنعاً بهذا القانون، وهو يعلم بأن هرتسل وكل زعماء الصهيونية عملوا ودعوا الى أن تعمل الحاخامية من أجل دعم كل الخطوات العملية في اسرائيل وان لم يكن لديه رغبة في ان تتصدى هذه لشؤون السياسة والدولة، باعتبار ان ذلك سببه يعود الى ان زعماء الصهيونية العلمانية مقتنعون بأن تولي الحاخامية لشؤون السياسة من شأنه أن يحول دون التمكن من التعامل مع القضايا العصرية لأن التوراة ليس فيها من القانون ما يمكن

يقول العلماني اليهودي: ان للدين وظيفة، عليه القيام بتأديتها وكفى، وهو ما عبر عنه بوضوح بن غريون: «ان الدين هو وسيلة مواصلات فقط، ولذلك يجب أن نبقى فيها بعض الوقت، لا كل الوقت، ولا نستطيع ان نترك حياة اليهود للمتدينين فقط للحاخامات، لأن هؤلاء بنظر بن غريون تغلب عليهم فكرة المعجزة وانتظار المسيح، وغيرها من الأفكار التي تحول دون أن يعمل اليهودي لتحرير نفسه وإقامة دولته «إن حياة اليهود لو تركت لحاخامات اليهود لظلوا حتى الآن كلاب ضالة في كل مكان يضربهم الناس بالأقدام ويحتمي اليهود من أقدام الأغلبية الساحقة لهم في كل مكان بأحلام العودة الى أرض الميعاد والأجداد وانتظار المسيح الذي سيهبط عليهم من السماء لينقذهم ويقوم لهم بكل عمل، بينما هم يصلون الفجر والعشاء ويبكون ليلاً ونهاراً»[1].

لا شك ان كلام بن غريون يشير الى ان العلماني هو الذي يفهم التوراة وهو أقدر على العمل من الديني، وهو في جميع الأحوال يستطيع أن ينهض باليهود وأن يحول دون اضطهادهم في العالم، ونلاحظ أيضاً بأن العلمانيين حينما يبعدون رجال الدين عن السياسة قناعة منهم بأنهم غير قادرين على الوصول الى الأهداف، وهذا لا يعني كما قلنا انه يمكن الاستغناء عنهم، بل

من ذلك. إن حزب العمل كان ولا يزال يعتمد على الحاخامية، وسنرى في المستقبل كيف ان كل احزاب اسرائيل سيجمعون على ضرورة ان يكون الجيش الاسرائيلي برئاسة الحاخام، لأن الدين اليهودي المصطنع كان ولا يزال السبب الرئيسي في قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين.

(١) را: منصور انيس، خنجر في قلب اسرائيل، دار الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٦. ص٢٢.

لا بد أن يكونوا عاملين ومؤثرين وموكلين للعلمانيين بأن يقودوا الدولة والجيش الى اهدافها، وحجة العلماني في ذلك ان الشريعة اليهودية نفسها لا تحتوي على إجابات شافية لكل ما تحتاجه الحياة العصرية من متطلبات متعددة في مجال العلاقات الخارجية وتسيير الأمور الداخلية للدولة في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي»[1] ليس في الشريعة ولا لدى أصحاب الشريعة حتى الآن طريقة لإدارة خدمات الدولة المعاصرة بأسلوب فعال وصحيح مثل الجيش والشرطة والخدمات والخارجية والمواصلات والبريد الدولي وغيره، كما انه ليس لدى قطاع كبير من رجال الدين اليهود أي اهتمام بهذه الأمور»[2] . .

وهذا الكلام فيه كل الصحة، لأن اليهودية، وكذلك المسيحية، لا تحتوي على نظام سياسي أو اقتصادي، كونها تتضمن بعض التعاليم والوصايا التي تفيد في مجال الأخلاق. فقط القرآن هو الذي يحتوي على هذا النظام وعلى كل التشريعات التي يحتاج اليها البشر في حياتهم في كل زمان ومكان، باعتباره خاتم الكتب السماوية المتضمن لها والمهيمن عليها. لما بيناه ان حكمة الله اقتضت ان يكون القرآن مهيمناً وفيه أنظمة سياسية واقتصادية اجتماعية وأخلاقية، وهذا ما نفاه اليهود والنصارى لغاية في أنفسهم إلا قليلاً منهم. . .

اجل ان حرص العلمانيين اليهود، الصهيونية العلمانية، على القيام بالحكم وإدارة شؤون البلاد والعباد لا يمكن اعتباره عملاً عدائياً للدين اليهودي، أو تقليلاً لأهميته وإضعافاً له في حياة اليهود العامة والخاصة،

---

(١) رشاد عبدالله الشامي، م. س. ص٥٢.
(٢) م. س. ع. ص٢٦.

وانما هو حرص يدخل في باب الاهتمام بالقضايا المعاصرة التي لا يفي الدين في النظر اليها، وهذا ما يرفضه اليهودي الديني بشدة لاعتقاده بأن التوراة هي نظام وحياة ويمكن أن تنتهي الى إيجابات في شأن كل القضايا. والحق يقال ان هؤلاء يبالغون في أفكارهم، وقد ينتهي الأمر بهم فيما لو خلي بينهم وبين المجتمع اليهودي الى سلبيات كثيرة قد يكون من نتائجها تخلف دولة اسرائيل كما يقول العلمانيون. !؟

من كل ما مر معنا ندرك ان الحركات الصهيونية سواء أكانت دينية دنيوية أو علمانية، ليست على وفاق تام في جميع القضايا، بل يوجد بينها تناقضات واختلافات كثيرة شأنها شأن أية حركة في العالم. لكن الذي لا بد من التأكيد عليه هو ان هؤلاء جميعاً متفقون على ضرورة ان تكون التوراة مقدساً وحاكماً في الحياة ومؤثراً على اليهود ودافعاً بهم الى الدخول في الجيش لتحقيق حلم اسرائيل الكبرى، وليس صحيحاً ما ذكره البعض من أن الدافع الديني لعب دوراً هامشياً في الفكر الصهيوني السياسي فيما عدا الارتباط بأرض اسرائيل الذي يعتبر أصله، بلا جدال، أصلاً دينياً، وكان آباء الصهيونية من العلمانيين يرون ان أرض اسرائيل، انما هي ملاذ لليهود من الشقاء الذي يعانونه في البلاد الأجنبية، أي انها خلاص دنيوي وقومي ولم يكونوا يبغون ان تكون الدولة اليهودية قائمة على تعاليم التوراة أو ان تمهد الطريق لمملكة السماء على الأرض وقد تبعت الصهيونية الدينية على خطى الصهيونية العلمانية، وسعت الى البحث عن الجوانب الايجابية فيها، ولكن لم تحاول توجيه المشروع الصهيوني نحو اتجاه معين، أو في أفضل الأحوال، كانت الأوساط الدينية تجد عزاءها في امكان تنفيذ الدولة اليهودية لتعاليم التوراة مع مرور الزمن، وربما تمهد الطريق لمجيء المسيح

المخلص على الرغم من أنها ليست شرطاً مسبقاً أو مسبباً لذلك»[1] .

نحن لا نوافق على ما يتضمنه هذا الكلام، لأن القرآن لم يتحدث عن يهود علمانيين ويهود دينيين، وقال تعالى: **﴿ولتجدنَّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا. .﴾** وهذا يعني فيما يعنيه ان اليهود، بعد ان حرفت التوراة، وبعد ان حفل التاريخ بكثير من الاحداث عنهم، لم يعودوا على شيء من الايمان أو من الدين، وقلما تجد يهودياً اليوم لا يوافق على ما تفعله اسرائيل في فلسطين وفي غير فلسطين، فهم جميعاً، العلماني وغير العلماني، المؤمن بالتلمود والملحد، كلهم يهود ويعيشون حالة العداء للشعوب الاخرى ويترجمون عداءهم هذا قتلاً وإجراماً في كل مكان من العالم، فقول القائل ان الصهيونية الدينية تبعت على خطى الصهيونية العلمانية هو قول بلا طائل ولا يمكن اعتماده في التمييز بين يهودي وآخر، لأنهم يتبعون بعضهم بعضاً، وما يتخلف عنه البعض يقوم به البعض الآخر بوسائل مختلفة كلها يجب ان تؤدي الى الغاية المطلوبة عندهم، ويكفي أن نقول ان الدين لعب دوراً أساسياً في الفكر الصهيوني السياسي بأرض اسرائيل الذي يعتبر الدين أصله بلا جدال. اما إذا كان المقصود من التمييز بينهما هو ان اليهودي العلماني يملك من الخبرات والمعارف أكثر مما يملك اليهودي المتدين، فذلك مما لا يمكن التعويل عليه للتمييز بينهما. باعتبار ان ذلك شيء بديهي بين جميع البشر، وهذا يعود الى المتغيرات الكبيرة التي حدثت في أوروبا مع تقلص دور الدين وازدياد المفاهيم العلمانية[2] فالقول بأن الصهيونية العلمانية لم تكن تبغي ان تكون الدولة اليهودية قائمة على

---

(١) م. ع. ص٢٦.
(٢) را: م. ع. ص٣٤.

تعاليم التوراة، هو قول سياسي أكثر مما هو قول ديني، ويراد منه تشويه حقيقة قيام هذا الكيان في فلسطين من خلال النظر اليه نظرة قومية علمانية. . . !

قد يختلف اليهود حول تفاصيل معينة في الطريق الى اقامة الدولة على أساس الشريعة التوراتية، لكنهم جميعاً متفقون على ان الدين هو الحقيقة الوحيدة التي يمكن من خلالها الحفاظ على الدولة اليهودية، بما هي دولة دينية، سعى من أجلها كل اليهود في العالم علمانيين ودينيين. ومن المفيد القول ان استرشاد اليهودي العلماني للنموذج الأوروبي، وعدم تقبله لهيمنة الفكرة الدينية، لا يجعلان منه إنساناً غير يهودي، فهو كذلك سواء أكان مؤمناً بالتوراة أو كافراً بها، كما في قول يعقوب سيركين المفكر الصهيوني عن هذا الاتجاه: ان تكون يهودياً لا يعني اعتناق الدين أو القبول بالمعتقد الأخلاقي. اننا لسنا طائفة أو مدرسة فكرية، بل عائلة واحدة ولنا تاريخ مشترك. إن إنكار التعاليم اليهودية لا يضع الفرد خارج الجماعة، كما ان قبولها لا يجعل الشخص يهودياً، وباختصار ليس من الضروري ان يؤمن الفرد بالدين اليهودي أو بالنظرة الروحية العامة لليهود كي يصبح جزءاً من الأمة[١] !؟

ولعل التعبير القرآني يذهب الى هذا المعنى أيضاً، أي أن اليهود، هم على سجيتهم كما كانوا في جميع مراحل تاريخهم يختلفون ويتفقون ويكفرون ويؤمنون ومسعاهم جميعاً واحد، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى كما في قوله تعالى: ﴿**لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم**

---

(١) م. ع. ص٣٣.

شتى . . ﴾[1] منهم المؤمن ومنهم الكافر، ويضمرون العداء للبشرية من منطلق كونهم شعباً مختاراً له في السماء والأرض ما يميزه عن غيره من الشعوب كما يزعمون. . . !؟

فاليهودي يهودي في جميع أحواله، فقد يكون علمانياً، وقد يكون دينياً متطرفاً، وقد يكون فيه ضغث من هذا وضغث من ذاك، فالقول بأن الصهيونية العلمانية ليست دينية أو أنها تختلف عن سائر اليهود في انها تأثرت بأوروبا فيما انتهت اليه في الاجتماع والاقتصاد والثقافة، كل ذلك لا يجعل منها صهيونية على طرفي نقيض مع الصهيونية الدينية، فالكل يعمل بوحي من التوراة والتلمود ويستغل الدين لأجل تحقيق أغراضه، وما قيل ويقال بأن حزب العمل الإسرائيلي بزعامة رابين يختلف عن الأحزاب الأخرى، هي كلها أقوال سياسية يراد بها الخديعة للشعوب العربية والاسلامية . صحيح ان أمريكا تريد حزب العمل وتفضله على غيره من الأحزاب في اسرائيل، لكن ذلك ليس معناه ان حزب العمل لا يلتزم بما تقرره الشريعة، بل هو من أشد المحافظين والعاملين من أجل سيادتها. . . والفرق الوحيد بين هذه الأحزاب والكتل في اسرائيل، هو ان كل حزب يرى مصلحة اسرائيل باعتماد وسيلة معينة تختلف عن الوسائل الاخرى، لكن كما قلنا ان الكل متفق على قداسة التوراة وعلى فكرة العهد بين الله والشعب الذي منح الخالق بمقتضاه الشعب أرض فلسطين المقدسة، حتى وإن كان بعض العلمانيين يسخر هذه المفاهيم لمصلحة خاصة يراها مناسبة له أو لحزبه في صراعه مع الأحزاب الأخرى، وقد لا نبالغ إذا قلنا بأنه إذا كان بن غوريون علمانياً وسعى من أجل ان يكون الحاخامات في خدمة الدولة، وإذا

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٤.

كان العلمانيون يرون ذلك من منطلق ان التوراة لا تتضمن اجابات دقيقة على ما يجري في الواقع وليس فيه نظام سياسي واقتصادي واجتماعي، فإن كل ذلك يحملنا على طرح الأسئلة التالية:

أولاً: إذا كان اليهودي العلماني على حق في قوله ان الدين اليهودي لا يتضمن مبادىء وتشريعات ونظام حكم لإقامة الدولة وبناء المجتمع، وإن كان العلماني المسيحي هو أيضاً يرى ذلك في المسيحية، فهل العلماني المسلم على حق حينما يقول بأن الاسلام لا يتضمن كل ذلك؟

لا شك ان العلمانيين اليهود على حق حينما يدعون المجتمع اليهودي الى ان يكون واقعياً، من خلال معالجته لقضاياه، والى أن يكون موضوعياً في أطروحاته بعيداً عن الاسطورة والشعوذة وغير ذلك مما يحتوي عليه كتاب التوراة الحالي[1]، ولا شك أيضاً بأن العلمانيين حينما ينتقدون اليهود الدينيين في بعض ما يعرفون ويسعون اليه، هم بذلك لا يهدفون الى التقليل من أهمية الدين والشريعة اليهودية بل يهدفون الى ان يكون لهذا الدين أهمية من خلال حيويته في وجدان الشعب اليهودي، لأن الإحساس الداخلي الذي يربطه بالعهد القديم، كما يقولون هو إحساس خاص معلق بالقداسة، أي احساس تخرج منه آلاف الأوتار الدقيقة التي تأخذه في الاستمرار من عصر

(١) نحن نميل الى الفكرة القائلة بأن الصهيونية بوجهيها العلماني والديني متفقة على أساس ان تلعب أدواراً سياسية مختلفة لإيهام الخارج غير اليهودي بأن هذا الحزب اليهودي أقرب الى الاعتدال من ذلك الحزب، ومهما كانت المشاجرات في الكنيست قوية، فذلك لا يعتبر دليلاً على عدم اخلاص اليهود لدولتهم او لدينهم حتى ولو كانت الاتهامات تطال أعماق وجودهم الديني، كما في ذاك الشجار الذي حصل بين أعضاء الحريدم، وحزب العمل حول قانون اعفاء اليشفوت من الخدمة العسكرية الذي وضعه العلماني الأول مؤسس دولة اسرائيل بن غريون الذي قيل عنه انه لم يكن متديناً، وكان له دينه الخاص!!؟

لآخر حتى أعماق الماضي البعيد»[1] . فإذا كان الصهيوني العلماني على حق حين يرفض الاعتماد المطلق على الشريعة في معالجة قضايا الحياة، القضايا العصرية التي لا إجابات بشأنها في التوراة، فهل المسلم العلماني، كما يحب أن يسمي نفسه، على حق حينما يرفض الاعتماد على الشريعة الاسلامية في معالجة شؤونه وقضاياه؟

إن اليهودي العلماني، وكذلك الديني، وكل اليهود يسخرون من دعاة العلمانية في العالم الاسلامي حينما يستعينون بالغرب لإيجاد حلول لمشاكلهم المعاصرة، كون اليهود من أعلم الناس بأن القرآن الكريم هو كتاب كامل ويتضمن تشريعات لكل زمان ومكان، ومما يدل على ذلك انهم شهدوا وراقبوا قيام الدولة الاسلامية في المدينة على يد الرسول الأكرم عليه السلام فراعهم ذلك وحملهم على أن يتأمروا مع المنافقين ضده، وهم اليوم أيضاً يدركون تماماً بأن الاعتماد على الاسلام يغني عن كل شيء وافد من هنا أو هناك، فما بال العرب والمسلمين يتخلون عن كتابهم طمعاً بقوانين وتشريعات ما أنزل الله بها من سلطان!!

أما قول القائل بأن اليهود لو كانوا يعلمون ذلك لما توانوا عن الأخذ به والعمل من خلاله، قول يتجاهل ما كان عليه هؤلاء في جميع مراحل تاريخهم، حيث انهم لم يعملوا بما علموا واتهموا النبي موسى عليه السلام وكادوا يقتلون أخاه هارون عليه السلام انه شعب خرج على كل الحقائق الإلهية والمعارف الربانية واختار العمل بوحي من الشيطان، كما انهم الآن يعرفون بأن فلسطين ليست لهم، لكنهم كعادتهم يدعون ما ليس لهم. . . ؟ والقرآن

---

(١) رزق، اسعد، قضايا الدين والمجتمع في اسرائيل، معهد البحوث والدراسات العربية. . . القاهرة ١٩٧١، ص١٣٥.

الكريم فيه كثير من الآيات التي تشير الى ما كان عليه هؤلاء وإلى ما قدم لهم وانزل عليهم، الا انهم كفروا بأنعم الله وباءوا بغضب الله وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. لقد وصلت السخرية بالعرب الى درجة انهم صدقوا بأن بعض اليهود يريد الصداقة معهم والتعاون على البر والتقوى، وان دعوته الى السلام ليست خديعة وغير ذلك مما يُعمل على تبريره الآن تحت شعارات اسلامية شتى! وقد بلغ بهم الضعف درجة كبيرة حينما صدقوا بأن حزب العمل الاسرائيلي يريد السلام والاستقرار في المنطقة على الرغم من أن رابين لا يتوانى عن التصريح في كل مرة بأن أي انسحاب جزئي يجب أن يخضع لاستفتاء شعبي عام[1] ، وهو بذلك يغمز في قناة اليهود الدينيين المتطرفين الذين يرفضون حتى الجلوس مع العرب كما كان يرى بن غوريون قديماً. . .

لسنا مخدوعين أبداً فيما يحاول اليهود ان يصلوا اليه عن طريق هذا الغزو السلمي، وكل اليهود في العالم في جميع اتجاهاتهم ومذاهبهم وأطروحاتهم متفقون على ضرورة ان تكون اسرائيل الدولة العلمانية الدينية القائمة على الشريعة هي سيدة المنطقة وواحتها الخضراء وما يقال بأن اسرائيل ليست دولة دينية هو تنظير يهدف الى تشويه الحقائق والحيلولة دون

(١) ان الاتفاق الائتلافي بين حزب العمل الاسرائيلي وشاش تضمن البند التالي: أي اتفاقية سلام بمعاهدة تنطوي على التنازل عن أرض توجد حالياً تحت سيادة أو سيطرة دولة اسرائيل الى طرف في اتفاقية أو الى طرف ثالث أياً كان تعرض للحسم بواسطة الشعب. استفتاء عام. . . على ان يتم هذا قبل توقيع اتفاقية سلام ويتم التنسيق طابع الحسم بين الكتلتين. را: م. س. ص٢٠٣. ما يجب ان يعلم هو ان الخلاف في المواقع داخل اسرائيل شيء والسلام مع العرب شيء آخر، ولهذا نجد انه كلما جاء الحديث عن الانسحاب من الجولان يصرح رابين بأن ذلك يحتاج الى استفتاء عام داخل اسرائيل!!؟

أن تعرف الصورة الحقيقية لهكذا دولة تعمل لتسخير واستعباد جميع شعوب المنطقة من منطلق توراتي تلمودي... يقول موشيه شميث لدى تعرضه بالبحث حول قضية الطابع اليهودي لإسرائيل: «هناك من يزعمون أن الدولة والدين في اسرائيل هما شيء واحد بينما هناك اخرون يعتقدون أن الدولة علمانية في جوهرها ...»[1].

ومنهم من يقول بأنه يمكن الحكم على علمانية الدولة أو دينيتها وفقاً لوجهة نظر المراقب من حيث كونه علمانياً أو دينياً»[2] وقد سبق لنا أن قلنا أنها دولة دينية في الجوهر تسيطر عليها خرافة الشعب المختار وهذا لا يمنع من وجود مناقضات بين الدولة والدين في اسرائيل، يقول رشاد عبد الله الشامي: «إن التناقضات الداخلية التي تحفل بها كل من وجهة النظر العلمانية ووجهة النظر الدينية تعتبر من سمات الموقف الحالي في علاقات الدين والدولة في اسرائيل حيث يريد كل طرف أن تكون له الغلبة»[3] ومراجعة تاريخ اسرائيل تكشف أن الغلبة كانت دائماً للدينين لأنهم علموا الجيش الاسرائيلي كيف يفسر التوراة ..!!!

ماذا بعد أيها المفاوضون على السياسة والاقتصاد والتجارة وغير ذلك، فهل لديكم من مزيد، وهل عندكم من الحقائق ما يكفي لتبيان أمر هؤلاء في التاريخ؟

وختاماً نقول ليست علمانية رابين من نوع علمانيتكم، وليس توراة رابين من نوع رسالتكم، انها علمانية خاصة وكتاب مقدس خاص، علمانية

---

(١) م. ع. ص٤٦.
(٢) م. ع. ص. ن.
(٣) م. ع. ص٥٦.

تقدس التوراة التي لم تعد على شيء من القداسة بسبب ما لحق بها من تحريف، بينما علمانيتكم تعادي القرآن، توراة رابين هي توراة حرب وفساد وعدوان وامتيازات إلهية خاصة، بينما كتابكم كتاب مقدس يحترم الانسان ويقدس الحرية والكرامة ولا يفاضل بين إنسان وآخر إلا على أساس التقوى. فإذا أردتم السلام مع رابين، فمعنى ذلك انكم اخترتم علمانية رابين، وتوراة رابين، واجرام رابين، لأنه لن يعطيكم أكثر مما تقوله التوراة عنكم، ولن يكون سلامه لكم أكثر من الاستعباد والتسخير والسيطرة على ما تبقى في عالمكم من الخيرات والثروات والمعادن!؟

انها حقيقة يجب أن تقال، حتى لا يتلهى الناس بما يعلن هنا وهناك حتى بأت الناس على وشك التصديق بأن اليهود يريدون السلام ويسعون اليه وكأن هؤلاء تغيروا بين ليلة وضحاها متناسين ان التوراة لا يمكن ان تفسر إلا بأعمال الجيش الاسرائيلي، بالفانتوم والنابالم وغير ذلك من وسائل الحرب. أيها العرب متى تقدسون القرآن وتعطون اليهود ما أعطاهم الله؟ متى تكون علمانيتكم موافقة للقرآن؟ متى يكون سلامكم سلام الله وحربكم حربه، فإذا لم يكن السلام سلام الله، فلن يكون لكم سلام ولا أمان ولا هيمنة؛ ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم﴾ وما النصر إلا من عند الله.

مفهوم الحرب في الإسلام

١ ـ الحرب في اللغة:

قال ابن منظور: «الحرب نقيض السلم، انثى، وأصلها الصفة كأنها مقاتلة حرب، هذا قول السيرافي، وتصغيرها حريب بغير هاء رواية عن العرب لأنها في الأصل مصدر، ومثل ذريع وقويس وفريس... وحكى ابن الاعرابي فيها التذكير... قال: والاعرف تأنيثها، وانما حكاية ابن الاعرابي نادرة، قال وعندي انه انما حمله على معنى القتل أو الهرج. وجمعها حروب.. ويقال وقعت بينهم حرب. الازهري: انثوا الحرب لانهم ذهبوا بها الى المحاربة، وكذلك السِّلم والسَّلم يذهب بهما الى المسالمة فتؤنث، ودار الحرب، بلاد المشركين الذين لا صلح بينهم وبين المسلمين، وقد حاربه مُحاربة وحِرَاباً وتحاربوا واحتربوا وحاربوا بمعنىً، وقوله تعالى: **﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾** أي بقتل، وقوله تعالى: **﴿الذين يحاربون الله ورسوله﴾** يعني المعصية، أي يعصونه... ويقال أيضاً: «أنا حرب لمن حاربني أي

عـدو . . »[1] وجاء في معنى اللفظ عند الراغب الاصبهاني ان كل حرب معروف، والحرب السلب في الحرب وقد سمي كل سلب حرباً، وعن الامام علي عليه السلام ان المرء ينام على الثكل ولا ينام على الحَرَب[2] ، ومنه الحربة آلة الحرب، والمحراب، فقد سمي المسجد محراباً لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى، والحرباء دويبة فتلقي الشمس كأنها تحاربها[3] . . في قول الراغب ان الحرب معروف، اشارة الى المعنى الشائع الظاهر للحرب، وهو القتال واستخدام العنف، لأن السلب هو نزع الشيء من الغير على القهر، وفي هذا يقترب التعريف من المفهوم المعاصر للحرب باعتبارها ظاهرة استخدام العنف والإكراه كوسيلة لحماية مصالح أو لتوسيع نفوذ أو لحسم خلاف حول مصالح أو مطالب متعارضة بين جماعتين من البشر، وعند الاستراتيجي الألماني كلاوز فتز: «الحرب امتداد للسياسة بوسائل اخرى وعمل عنف يقصد منه اجبار خصومنا على الخضوع لإرادتنا»[4] .

٢ ـ تعريف الحرب:

لا شك ان هناك صعوبة في تحديد معنى الحرب، لأن كل انسان يعرفها ويحددها بحسب ما تعطيه أو تأخذه منه، فإذا كانت سعياً له كانت حرباً له وإذا كانت سلباً منه، كانت حرباً عليه سواء في الاقتصاد أو في

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (مادة حرب) ج٢، ص٨١٥.
(٢) نهج البلاغة: قصار الحكم ٣٠٧ وقال لعمر بن الخطاب: «وابعث اليهم رجلاً محرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة» خطبة ١٣٤ .
(٣) را: طراد حمادة، مفهوم الحرب والسلم في شريعة الاسلام، الحرب في اللغة. مجلة النور ١٩٩٤ .
(٤) را: كلاوزفتز: موسوعة السياسة ج٢، ص١٧٠ نقلاً عن حمادة، مجلة النور، مقالة السلام والحرب.

السياسة، أو في الاجتماع، باعتبار ان الحرب ليس من الضروري ان تكون حرب مقاتلة فقط، بل قد تكون اقتصادية، أو سياسية أو نفسية أو اجتماعية، أو ثقافية وهي في حد ذاتها ظاهرة معقدة كما سنرى عند ابن خلدون، وعند آخرين، لكنها تبقى محددة لجهة انها عمل عنف يراد به تطويع إرادة، أو سلب حق، او استرداد حق مسلوب، وهناك تعريفات اخرى حفل بها العصر الحديث للحرب من قبيل تقسيم الحرب الى حرب ثقافية، الى حرب تقليدية، ونووية وغير ذلك، ويبقى ما ذكره الراغب في تعريفه الموجز البليغ بقوله الحرب معروف، والحرب لا تحتاج الى تعريف لبداهة معناها والمعرفة التي يكتسبها الانسان من معايشته للحرب بأشكالها المختلفة...»[1].

٣ ـ مفهوم الحرب في الاسلام:

قلنا فيما تقدم من أبحاث ان الاسلام لم يقدس الحرب، كما ان الله تعالى لم يشرع الحرب للانتقام والتشفي، بل هي ضرورة من ضرورات الحياة تحمل عليها ظروف وأحوال معينة يعيشها هذا المجتمع أو ذاك، ويكون الهدف منها الوصول الى ما يريده الله تعالى، وهي على الرغم مما تنطوي عليه من الآلام لا يمكن الاستغناء عنها نهائياً فيما لو كان هناك مجتمعات تريد أن تبرر نفسها أو ان تحقق وجودها من خلال الحرب، وكما نعلم جميعاً، ان الاسلام لم ينشر بالحرب، ولم يبن حضارته على أساسها، بل هو اعتبر الحرب وشرع لها لأهداف مقدسة من قبيل حماية الوحدة وتماسك المجتمع الاسلامي، ومنع يد التحريف من أن تطال العقيدة

(١) م. ع. ب. ن، البحث نفسه.

والشريعة وغير ذلك مما لا يمكن حمايته والدفاع عنه من خلال السلام الدائم وأصحابه الذين يرون في الحرب شراً مطلقاً، والحق يقال ان الاسلام شرع للحرب من أجل حرية الدعوة لا من أجل اكراه المسلمين على ان يدخلوا الاسلام، إذ انه يستحيل أن يكون الله قد شرع الحرب من أجل اكراه الآخرين وهو القائل: ﴿**لا إكراه في الدين قد تبيَّن الرشد من الغيّ**﴾ فإذا حيل بين المسلمين وبين الدعوة ووقعت الحرب فلا يكون المسلمون قد اختاروا الحرب بملىء ارادتهم، لأنها فرضت عليهم، فإذا امتنعوا عن خوضها طلباً للأمان والسلام فلا تكون نتيجة ذلك الخير لما يعنيه القبول بما يفرضه الآخرون من شرور (أي الأعداء)، فالحرب في الاسلام ليست مطلوبة لذاتها، بل تطلب، لما تؤدي اليه من خير، وبما ان السلام الذي يعطيه الله تعالى هو يحتوي على كل الخير، فانه يبقى مطلوباً لذاته حتى ولو كانت السبيل اليه سبيل حرب، فلا حرب في الاسلام من أجل الحرب، بل حرب من أجل السلام، ومن هنا تأتي قدسية السلام، فإذا حصل عليه الناس في الدنيا بالشروط المطلوبة فإنهم من خلاله يصلون الى دار السلام التي هي الجنة . ان السلام الذي يستبعد الحرب دائماً لا يمكن أن يكون متضمناً للخير، باعتبار ان له وسائل عدة وقد تكون الحرب وسيلة من هذه الوسائل، تطلب لأجله، ولهذا شرع الله القتال للمسلمين، فكل من الحرب والسلام يطلب لما يؤدي اليه من خير في الدنيا والأخرة. واذا التزم الناس بأمر الله تعالى ونهيه، فان سلامهم سيكون خيراً في جميع الأحوال سواء من خلال الحرب أو بدونها، فالله يحب السلام شرط أن يكون سلامه اما اذا كان سلام الناس ففيه كل الشر، كالسلام الذي يُعمل له الأن بين العرب واسرائيل ، فهو يطلب لما فيه من شرور ، مما يعني اقتراب العدمية تحت شعار إن الناس

قد جمعوا لكم فاخشوهم . . . فقولنا ان السلام الحقيقي يطلب لذاته لما فيه من السلامة في الدنيا والآخرة، انما نعني به سلام الله الذي ينتهي بنا الى دار السلامة. . . وقد بيّن الله سبحانه وتعالى ان القتال مكروه، لكنه قد يكون خيراً للناس، والسلام محبوب وقد يكون شراً للناس، قال تعالى: ﴿**كتب عليكم القتال وهو كرهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾[1] بهذه الآية شرع الله للمسلمين بأن يقاتلوا دفاعاً عن أنفسهم وعن دولتهم ضد من يعتدون عليهم من القوى المعادية.

قد تحبون السلام، وتكرهون الحرب، لكن ماذا تفعلون اذا كان الخير في القتال ولم يكن في السلام المسلح؟ فهل نختار سلام الناس على ما فيه من شرور، وندع الحرب التي تمثل سلام الله تعالى ضد المعتدين بكل ما فيها من خيرات؟ إن الانسان حينما يكون باحثاً عن الخير وطالباً له، لا يسعه الا أن يختار الوسائل المؤدية اليه، اما ان يطلب الخير ولا تطلب وسائله سواء أكانت وسائل حرب أم سلام، فلا يكون انساناً سوياً، لأن السوي هو الذي يستجيب للنداء الإلهي ويكون حيث أراد الله له أن يكون، وهو - أي الانسان - حينما يجد نفسه في حرب من أجل الخير لا ينبغي له أن يفكر الا بالخير بغض النظر عن الآلام في الطريق اليه، لأنه إذا امتنع عن سلوك سبيل الخير، فإنه لا يلبث أن يقع في طريق الشر، وهذا الأمر من الأهمية والوضوح بمكان . فالإنسان هو في ليل أو نهار، في حرب أو سلام ولا يمكنه الهروب مما استقرت الدنيا عليه فإذا حاول الهروب من شيء، فلا بد أن تقع عليه اشياء، وقد بينت الأحداث ان هروب العرب والمسلمين من

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢١٦ - ٢١٧.

الحرب واختيارهم للوسائل الدبلوماسية لم يؤد إلا الى مزيد من الحروب الداخلية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك لأنهم كرهوا الحرب ولم يحاربوا من أجل السلام الحقيقي فوقعوا في حرب سبق لهم أن هربوا منها، فكانت النتيجة الوقوع فيها وبدل من أن تقع الهزيمة على المستوى العسكري، فقد وقعت على جميع المستويات!! وكما يقول علي عليه السلام: «إذا هبت أمراً فقع فيه فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه»[1].

ان الله سبحانه وتعالى شرع الحرب الدفاعية لما تؤدي اليه هذه الحرب من خيرات ولما تدفع من شرور، فلو فرضنا ان الحرب لم تشرع، لكان معنى ذلك ان الحرب غير مطلوبة ولا يمكن الدخول فيها حتى ولو كانت دفاعية، وهذا ـ في جوهره ـ مخالف لما هو عليه الإنسان في طبيعته، فهو لم يجعل على خير مطلق، حتى تكون نتائج حركته السلام المطلق بل هو في صراع مع نفسه، ومع الشيطان الذي يتربص به شراً، وقد طلب منه ان يعمل من أجل الوصول الى الكمال الانساني الذي يليق به حيث ان الله تعالى قد زوده بما يمكنه من ذلك.

ان الله سبحانه وتعالى جهز الانسان وخلقه على هيئة داخلية وخارجية تميزه عن سائر الكائنات، ومن ثم شرع الحرب الدفاعية، وهذا يعني ان الانسان قادر على ان يخوض غمارها لصالح انسانيته وكرامته ورسالته بحيث لا تكون اعتداءً، وانما تدفع اليها الضرورة، يقول محمد فريد وجدي: «والحرب حين يصطرع الحق والباطل وتتكالب قوى الشر والفساد لترجع بالانسانية الى كوابيس الضلال ودياجير الجهل، تكون ضرورية للنوع البشري وما دام لم يوهب بعد من القوى العقلية ما يستطيع به تلافي أسباب

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم، ١٧٥.

الخصام بينه وبين جيرانه بالعدل»[1] فلا يقال بأن الحرب خيرة وشريرة بقول مطلق، كما انها ليست رذيلة أخلاقية أو فضيلة أخلاقية في ذاتها، وانما هي نشاط بشري يكتسب صفته الأخلاقية من دوافعه ومن أهدافه، وان كانت في ذاتها ظاهرة اليمة مفجعة بلا شك[2] . فمن يغويه الشيطان ويدفعه الى الاعتداء على الآخرين فلا بد من دفعه ومنعه من التفكير ثانية بالاعتداء وذلك لا يتم إلا من خلال حربه، ولهذا شرع الله الحرب الدفاعية على مستوى الجعل والانشاء لأجل أن يتمكن الانسان من حماية نفسه مما قد يتعرض له من قبيل الكفار والمشركين وغيرهم، فإذا اعتبرنا الحرب شريرة بقول مطلق، أو خيّرة بقول مطلق، فما يكون معنى تشريع الحرب في الاسلام؟ انها ضرورة قد تدفع اليها أهداف نبيلة للحيلولة دون أن يتمكن الكفار من العودة بالناس عن الاسلام قهقرياً، فالرسول ﷺ كما نعلم، رغم محاولاته الجادة لم يستطع ان يتلافى الخصومات مع جيرانه وأعدائه، ففي الوقت الذي يعقد صلح الحديبية ويبدي فيه تنازلات كثيرة من أجل السلام تنقض هي عهدها وتنكث مواثيقها وتعتدي على حلفائه، فماذا ترى سيكون موقف النبي ﷺ من حليفته خزاعة وهي يُغار عليها؟؟

ومثلما ان الاهداف السامية قد تدفع الى الحرب، فكذلك يمكن أن تدفع اليها الأخلاق الشريرة، ومن خلال الدوافع والاهداف يمكن الحكم على الحرب، اما ان يقال بأنها خيرة أو شريرة، بقول مطلق، فهذا مخالف لطبيعة الوجود الانساني، وتجدر الاشارة هنا الى أن وضعاً ما إذا كان يتطلب حرباً، فلا يسع الانسان اختيار السلام، والعكس صحيح إذ انه لا بد من

---

(١) محمد فريد وجدي، دائرة المعارف، ج٣، ص٣٩٠.

(٢) م. س. مجلة النور، بحث الجهاد ١٩٩٤.

حركة موافقة لطبيعة الأمور من منطلق ان الانسان بطبيعته هو أيضاً لا يمثل الخير المطلق ولا الشر المطلق ولديه القدرة على ان يغلب طابع الخير على الشر بما زوده به الله تعالى وأمكنه منه، فإذا أراد لنفسه الشر المطلق، كان له ذلك كما هو حال اليهود اليوم، وإذا أراد الخير أيضاً كان له ذلك وعلى هذا الأساس يمكن النظر الى الحرب على اعتبار انها نشاط انساني يتحرك به الانسان في الواقع على ضوء ما هو عليه في نفسه من خير أو شر، فالحرب ليست شيئاً نظرياً بل هي حقيقة يعيشها الانسان وبوسعه أن يختار لنفسه ما تقتضيه دعوة الحق، فإذا كان الحق يتطلب حرباً، فاختيار السلام حينئذٍ يعني الشر، وإذا كان الحق يتطلب سلاماً فاختيار الحرب يعني الفساد في الأرض، إذاً لا بد أن توضع الأمور في مواضعها بحيث يقدر الانسان على أن يكون سلماً لمن سالمه وحرباً لمن حاربه، اما لماذا اختار بعض الحكام والمسلمين العرب ان يكونوا سلماً لمن حاربهم، وحرباً لشعوبهم، فهذا ما نترك الاجابة عليه لأمير المؤمنين عليه السلام الذي قال: «فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يُزيلُه وينقله . . .»[1] .

صحيح أن السلام في الاسلام هو الأساس، لكن ذلك لا يعني أبداً إلغاء حالة الاستعداد للحرب فيما لو تعرض المجتمع الإنساني للعدوان، ففي السلام لا يتوقف الاستعداد للجهاد في سبيل الله، وقوله تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة. . .**﴾ لا يعني الاستعداد في حالة الحرب فقط، بل يجب ان يستمر هذا الاستعداد في حالة السلم، لأنه يمنع العدو من التفكير بمجرد العدوان لعلمه المسبق بأن أي عدوان ستكون نتيجته الهزيمة

(١) نهج البلاغة، كتاب ٥٣.

له[1] . ليس من معاني السلام ان يحدد لنا العدو شروطه ووقته وكيفيته . كما يحصل اليوم في العصر الحديث من قبول العرب والمسلمين لشروط السلام بعد أن قبلوا شروط الحرب من دون أن يكون لهم أدنى تأثير على العدو. وبما ان هناك سلاماً في التطبيق التاريخي، فكذلك هناك حرب في التطبيق التاريخي بحيث يمكن القول ان سلام المسلمين في التاريخ لم يكن استسلاماً وحربهم لم تكن طغياناً، بل كانوا في الحرب والسلم أحراراً وأخياراً، وما عرف العالم فاتحاً أرحم منهم كما يقول غوستاف لويون وغيره من المستشرقين الذين تحدثوا عن سماحة الاسلام وعن دورة في بناء الحضارة ونشر العلوم وتهذيب النفس من خلال مبادئه الأخلاقية. فلم تكن الحرب الاسلامية حروب انتقام أو تشفي أو عصبية، بل كانت حروب عدل وانصاف ودفاع عن النفس وجهاد في سبيل الله واعلاء كلمته، ولذا نجد ان كلمة الجهاد في الاسلام قد قرنت بعبارة في سبيل الله، لا في سبيل مصالح شخصية دنيوية أو بهدف نفوذ هنا أو هناك. وإلا لكان معنى الجهاد تقديس كل مسعى شخصي باتجاه تحقيق المكاسب الدنيوية مثلما يفعل اليوم بعض الحكام بإقدامهم على الحرب والسلام بأي شكل؛ وتحت أي شعار لأن الحرب أو السلام يضمن لهم الاستمرار في سدة الرئاسة، فهم يعلنون

(١) السلم في التصور الفقهي الشرعي لا يتوقف فيه الاستعداد للجهاد وانما يتأخر الجهاد فقط للضرورة وهذا التصور مبني على ان العالم ينقسم الى قسمين، دار السلام ودار الحرب، وهذه الأخيرة مقصودة دائماً بالقتال من جانب المسلمين حتى تدخل الاسلام او تكف عن الاعتداء... فالأصل في هذا التصور هو ان العلاقة بين الدولة الاسلامية والعالم المعتدي هي علاقة حرب دائمة ما لم توجد مصلحة أو ضرورة فإن السلم لا يقبل وهذا لا يعني قدسية الحرب وانما كما جاء في لسان العرب ان دار المشركين لا صلح بينهم وبين المسلمين ما داموا على شركهم... فالسلام يكون أساسياً مع هؤلاء فيما لو كفوا وإلا فإن الحرب معهم ستكون من وسائل السلام المقدس.

الحرب في سبيل مصالحهم واهدافهم الشخصية حتى ولو ادت الى إبادة شعوب بكاملها. وأبرز مثال على ذلك اليوم هو حرب اليمن التي أدت الى وقوع عشرات الالاف القتلى والجرحى في اليمن، ولو ان حكام اليمن ضحوا بنصف هذا العدد في الحرب مع العدو الاسرائيلي لكان من الممكن أن يحدث ذلك ردة فعل شعبية، لكن للأسف لا يحدث شيء من قبيل ذلك في الصراعات الداخلية لأنهم يجهلون معنى الحرب في سبيل الله... ولهذا لا يمكن أن تكون لحروب الداخل أية قداسة على الاطلاق...

اجل ان الاسلام لم يقدس الحرب، وانما جعلها وسيلة من وسائل الخير، فإذا لم تؤد الى ذلك فلا تكون مشروعة اطلاقاً، وهذا ما عمد الغرب الى تشويهه ومن ورائه الصهيونية العالمية حينما تحدثوا وكتبوا عن الحرب المقدسة في الاسلام واصفين إياها بالعدوان والعصبية والانتقام، ومن جملة ما يمكن الاستشهاد به عما يقوله الغربيون قول بلاشير في ترجمته الشهيرة للقرآن حيث انه وضع عنواناً غير موجود في القرآن فقد وضع العنوان التالي «فروض الحرب المقدسة» على رأس فقرة تدعو دون أدنى جدال الى حمل السلاح وإن لم يكن لها ذلك الطابع الذي ينسب اليها، كيف لا يقتنع القارىء الذي لا يقرأ القرآن إلا مترجماً بأن على المسلم فرض أداء الحرب المقدسة»[1] وهذا ما صححته وثيقة صادرة عن سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسيحيين وعنوانها توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين تقول الوثيقة حول كلمة الجهاد في القرآن: «ليس الجهاد مطلقاً ما يعرف بال Kherem, في التوراة، فالجهاد لا يسعى الى الإبادة بل يسعى لأن يمد الى مناطق جديدة حقوق الله والإنسان، ولقد كانت أعمال العنف في حروب

(١) را: موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، دار الأفكار، بيروت، ص١٣٨.

الجهاد في الماضي تخضع عموماً لقوانين الحرب، وفي عصر الحروب الصليبية لم يكن المسلمون دائماً هم الذين ارتكبوا أكبر المذابح»[1] .

فما وضعه الاسلام من قواعد للحرب أثبتت قواعد الحرب الحديثة ان هذه القوانين والقواعدة صالحة لكل زمان ومكان، وكنا قد ذكرنا في البحث المتقدم ان الأمم والشعوب لو راعت هذه القواعد والقوانين، كما بين محمد طي في مقارنته القانونية، لكان من الممكن ان يتحقق السلام العادل والمشرف الذي يضمن حقوق الجميع، الا ان الغرب ومن معه من خلال حروبه واستعماره قد رفع شعار الحرب المقدسة وطرح نفسه حامياً للجميع وبديلاً عن كل أديان السماء مما أدى الى مزيد من الحروب والفساد في العالم، ومما يزيد الطين بلة هو عدم مراعاة هذه القواعد من قبل المسلمين أنفسهم، ولن تكوّن نتيجة ذلك أكثر من التمهيد لحروب جديدة في ظل سلام مسلح يدفع بالأمم الى التحارب فيما بينها بحيث يتحول الصراع مع العدو الى صراع بين الناس يقضي على ما تبقى لهم من مصالح بعد ان حفظ وحمى الاستعمار مصالحه مباشرة وغير مباشرة. . .

جاء في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي في بحث الحرب في الإسلام ولماذا كانت وتكون الحرب الإسلامية فيما اشتملت عليه الأيات الثلاث من سورة الأنفال ٤٥ ـ ٤٧ .

يقول: «وقد اشتملت الأيات الثلاث على امور ستة اوجب الله تعالى على المؤمنين رعايتها في الحروب الإسلامية عند اللقاء وهي الثبات ، وذكر الله كثيراً ، وطاعة الله ورسوله ، وعدم التنازع ، وان لا يخرجوا بطراً ورئاء

---

(١) م. ع. ص١٣٩.

الناس ويصدون عن سبيل الله ، ومجموع الأمور سته دستور حربي جامع لا يفقد من مهام الدستورات الحربية شيئاً والتأمل الدقيق في تفاصيل الوقائع في تاريخ الحروب الإسلامية الواقعة في زمن النبي (ص) كبدر وأُحد والخندق وحنين وغير ذلك يوضح ان الأمر في الغلبة والهزيمة كان يدور مدار رعاية المسلمين مواد هذا الدستور الإلهي وعدم رعايتها والمراقبة لها والمساهلة فيها . . .»[١] .

وبما ان المسلمين اليوم قد اهملوا هذا الدستور ولم يلحظوه في شؤونهم الحربية والسلمية فقد ادى بهم هذا الأهمال إلى أن يقبلوا سلام العدو وحربه منذ زمن بعيد ، وهم اليوم يعانون من شرور هزائمهم نتيجة لذلك ، وللإنصاف نقول اننا اصبحنا كما في قول علي عليه السلام في زمن قد اتخذ أهله الغدر كيساً ونسبهم اهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة ، ما لهم قاتلهم الله». فالسياسة والغدر بالناس والتوافق مع الأعداء أدى في السابق إلى الهزيمة في حرب لم يكن العرب والمسلمون على استعداد لها ، وها هي اليوم ـ أي السياسة والغدر ـ تؤدِّ إلى الهزيمة فيما يسمى سلام الشرق الأوسط ، سلام يفتقر إلى الشروط الموضوعية وإلى الاستعداد أيضاً، ولن يكون مصيره إلا كمصير الحروب إلى أن يمن الله على عباده بمن جعلهم اهلاً لخوض الحرب والسلام . . .

نعود لنؤكد على أن «السلام المؤمن المهيمن» هو الذي يُعطي السلام والامن وما النصر إلا من عنده ، إلا أنه يجب على المسلمين أن يستعدوا لخوض غمار الحرب والسلام؛ الحرب كوسيلة لتحقيق الأمن والسلام ، والمؤرخون يحدثوننا في نصوصهم التاريخية عن أن كثيراً من الحروب لم

---

(١) را: تفسير الميزان: ج٩ ، ص٩٨ .

تؤدي إلى السلام المطلوب بسبب أن دوافعها لم تكن اخلاقية ، فالحرب لكي تكون مشروعة يجب أن تكون هادفة بحيث يتحقق من خلالها السلام العادل ، ولا تكون مجرد عدوان يهدف إلى الافساد في الأرض مع ما يرافقه من الالام عند الناس . . !؟

إن الذي يُعطي السلامة في الدنيا والأخرة ، ونعني الله سبحانه وتعالى ، شرع الحرب الدفاعية ولكنه لم يشجع عليها إلا أن تكون حرباً في سبيل الله وضد الكفار والمشركين . . . وهذا يعني أن الله تعالى قد اعطى قدسية للسلام الذي يجب أن يعمل له ويحفظ من خلال الالتزام بنهج السلام الذي أرشدنا إليه القرآن ، باعتبار أن سلام الله غير سلام البشر ، فمن يصطنع لنفسه سلاماً يوافق ما تحدثه به نفسه من غرور ومغانم ومصالح شخصية فهكذا سلام لا يعطيه السلامة ، بين ما الذي يعمل وفق اوامر الله ويحمل المشروع العام الذي فيه مصلحة الإسلام والمسلمين ، هو الذي يعطي السلام ولا يُعطي الدنية في الدين والدنيا ، فالقرآن مثلما انه يتضمن ويحتوي على جميع الأديان ، فهو أيضاً يحتوي على سلام البشرية قاطبة ، وليس سلام المسلمين وحسب بل سلام اليهودية والمسيحية وغيرهما إضافة إلى قوانين الحرب . . .

قال تعالى **﴿وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** ، ومن لا يعمل وفق اوامر الله ويحادد الله ورسوله ، فما عليه إلا أن ينتظر الحرب المعلنة من الله تعالى حيث قال تعالى: **﴿فاذنوا بحرب من الله ورسوله﴾**[1] .

وكما في قوله تعالى: **﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾**[2] فما كان

---

(١) سورة ، الآية: ٣٩ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١٤٠ .

بالأمس يتكرر اليوم لجهة اخراج الناس من ديارهم وغصب حقوقهم ، مما يجعل من الحرب ضرورة ملحة للدفاع عن النفس والحرية والكرامة والسيادة .

ظاهرة الحرب في المجتمع الإنساني

تمهيد :

لقد تعرض الباحثون لأصل ظاهرة الحرب، فمنهم مَن قال بأن أصلها هو إرادة الانتقام، ومنهم مَن قال بأن الحرب طبيعة في الانسان يلجأ اليها لإشباع شهواته ومدّ نفوذه وبسط سلطانه السياسي. لكن في جميع الأحوال يمكن القول ان الباحثين القدامى والمحدثين قد كتبوا المطولات حول هذه الظاهرة في المجتمع الانساني وأجمعوا على ضرورة العمل من أجل السلام حتى وإن كانت الحرب هي السبيل الوحيد الى ذلك، وما نقوله في هذا البحث قد لا يكون جديداً من حيث اعتبار الحرب نشاط إنساني يمارسه الانسان على ضوي ما في نفسه من خيرات وشرور، والجديد هو أننا ألقينا الأضواء على مقولة ابن خلدون الذي لم يلحظ الأبعاد الفلسفية لتشريع القتال في الاسلام، واقتصر في كلامه على ظاهرة الحرب من حيث هي أداة للتغلب والتشفي وللانتقام، في حين ان كل الدراسات قد خلصت الى نتائج

هامة منها ان الحكم على حرب ما اذا كانت مشروعة أم لا انما يعرف من خلال الأهداف والدوافع التي تحمل شعباً أو دولة على خوض هذه الحرب، وهناك من اعتبر الحرب ظاهرة شريرة باطلاق ودعا الى العمل من أجل التخلص منها نهائياً متغافلاً عن طبائع الناس وعما هم عليه من كينونة وجودية غير خالصة لا من جهة الخير ولا من جهة الشر، ومن هؤلاء الفيلسوف الألماني «كانط» الذي دعا الى السلام الدائم بين الشعوب على أساس نفي الحرب نهائياً واستغلال كافة الموارد لتعليم الناس بدل من أن تنفق الأموال على الحروب وصناعة الأسلحة[1] . وفي مقابل ذلك هناك من دعا الى الحرب وقال بخيرتها المطلقة كاليهود وأمثالهم إذ انهم لا يشعرون بوجودهم إلا من خلال الحرب ويعتبرون السلام شيئاً نكراً، وهذا ما يفسر لنا عدم انسجامهم مع أنفسهم وحرصهم الدائم على الحرب بأشكالها المتنوعة في كل المراحل التاريخية. أما الحرب في الاسلام، فمن أبعادها الفلسفية ان لا يفسد المجتمع وان يدفع الناس بعضهم البعض لإصلاح الأرض، إذ أنه يستحيل إيجاد مجتمع خالٍ من الأشرار والكفار، وهذا يقتضي أن يعمل أهل الخير لدفع هؤلاء ومنعهم من إفساد المجتمع. إن نظرية الدفع في القرآن تتمثل جوهريتها في انها تمنع من تغيير طبيعة الأشياء بحيث تبقيها على أصولها كما خلقها الله تعالى حيث قال تعالى: **﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها﴾** فإذا كان هناك صلاح فلا حاجة للحرب، وحين يعمل الأشرار على تغيير طبائع الأشياء وصرفها عن حقيقتها، فإن الحرب هي السبيل الوحيد الى ذلك فما لم تنفع الوسائل الاخرى، وهذا ما عبر عنه

---

(١) ول ديورانت، قصة الفلسفة دار المعارف في بيروت، ص٣٦٢.

الامام عليه السلام بقوله: «والله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع ان تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو إلى ضوئي»[1].

(١) نهج البلاغة.

ظاهرة الحرب واصلها

يقول محمد طي : «شكلت الحرب الهاجس الأهم للإنسانية منذ وجدت المجتمعات البشرية على وجه الأرض حتى اليوم لما تسببه من مآسي وويلات تلحق بالمقاتلين والأبرياء. . .»[1] .

وقيل أيضاً: «انه كلما تقدم البشر في حياتهم ، كلما تنوعت انقساماتهم وازدادت شبكة علاقاتهم ومصالحهم تعقيداً ، ومن ثم ازدادت اسباب الحروب فيما بينهم على مشاكل لم تفلح وسائل الحوار في حلها ، منها مشاكل تتعلق بالثروات والسلطة ومنها قضايا معنوية تتعلق بالعقيدة» .

هذا النص يعني فيما يعنيه انه كلما خفت التعقيدات واقترب الإنسان من السذاجة وكان جاهلاً بالزمن والسيطرة والنفوذ ، وكلما كان فقيراً في علاقاته الإجتماعية ، كلما خفت الحروب بين الناس ، لأن لهذه الحروب أسبابها الإقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فإذا لم يكن هناك سياسة واقتصاد واجتماع لم يكن هناك حرب ، وقد مرت على البشرية اطواراً لم

(١) محمد طي، الإمام علي وقانون الحرب، مجلة الغدير، عدد١٩، ٢٠، ١٩٩٢م.

تكن على شيء من كل هذا «بل كانت معدومة الشعور تعيش حياتها في يومها فقط إذ لا معنى عندها للماضي ولا للمستقبل فضلاً عن الحاضر ، ونحن إنما قلنا معدومة الشعور؛ بمعنى انها غير مدركة لزمن الحاضر التي تعيشه وإن كانت تعبره بسلام يفرضه انعدام المخاوف والأمل والتوقعات وحساب الاستراتجيات كما هو الحال في عصرنا الحاضر .

لكن الإنسان لما شعر بالزمان من خلال الأنبياء وبدأ يعيشه بكل حيوية ويشعر بما هو عليه ويحسب للمستقبل على أساس أن قيمته كإنسان تتجاوز الماضي والحاضر لتأخذ معناها في الزمان ، هذا الاحساس ولد فيه ما يشبه الثورة فاختلف الناس بعد أن كانوا أمة واحدة ، لكنهم لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم ، كما في قوله تعالى: **﴿كان الناس امة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أُوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾**(١) .

إذا كان الشعور بالأمن والتطلع إلى المستقبل قد دفعا بالناس إلى التنافس والخصام وإلى أنٍ تتراكم التعقيدات في السياسة والاجتماع والإقتصاد ، فإن ذلك لا ينبغي أن يتحول إلى قاعدة عامة يعتمد عليها لتبرير أي صراع ينشب بين فئات المجتمع التي خرجت من سذاجتها لتعلن الحروب على بعضها البعض ! فازدياد شبكة العلاقات فيما بينهم ليس من الضروري أن ينشأ عنها الحروب ، بل قد يترشح عنها ايضاً السلام باعتبار ان الله سبحانه وتعالى لم يرد لهذا الإنسان أن يبقى على سذاجته وجهله بل اراد

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ٢١٣ .

له أن يوسع علاقاته وان يخرج إلى النور وان يستشرف آفاق المستقبل ، كما ان الله تعالى لم يرد له أن يخرج من جهله وسذاجته إلى الحرب ، ولهذا نرى بأنه تعالى لم يقدس الحرب ولم يعتبرها اساساً ، وليس من الحكمة أبداً أن نربط بين التعقيدات في الواقع وبين الحروب بعد الإسلام ، لأن هذا الربط بينهما كان قائماً قبل الإسلام ، ولما جاء الإسلام بيَّن للناس ان الإختلاف والتعقيدات كلها يمكن أن تحل على ضوء ما بين القرآن ، وقد قال تعالى وإن اختلفتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله دفعاً لإي صدام بين البشر وتحقيقاً للغاية المرجوة، لأن الأنبياء ارسلوا لأجل أن يرافقوا حركة الإنسان نحو المستقبل ، فإذا لم يحكموا في ما يعرض للناس ، وفيما يشجر بينهم فمن الطبيعي ان تؤدي الإختلافات والتعقيدات السياسية والاجتماعية والإقتصادية إلى حروب إذ هي بمثابة العودة الى الجاهلية ، فهذه تقدس عند شعوب ـ أي الحروب ـ لا تحكم رسالات السماء فيما يعرض لها ، وكلما قويت العلاقات وكثرت التعقيدات ازدادت الحروب ، لأن الإنسان بطبعه ميال إلى القوة وإلى فرض العلاقات المناسبة له والتي تحفظ مصالحه ، ومن المفيد أن نذكر هنا ان العلاقات الدولية اليوم تقوم على أساس القوة ، وليس على أساس الاخلاق والسلام بين البشر نتيجة لعدم تحكيم أمر الله بين البشر ، وهنا نذكر مفارقة بسيطة جداً وجوهرية وهي أن عالم السذاجة لم يكن فيه مدافعة في أمور الحياة ولا اختلاف في المذاهب حيث أنه تعالى قرن بعثة الأنبياء بالتبشير والانذار بإنزال الكتاب المشتمل على الأحكام والشرائع الدافعة لاختلافهم. وقد ميّز العلامة الطباطبائي بين اختلافين، اختلاف في أمر الدين مستنداً إلى بغي الباغين دون فطرتهم واختلاف في أمر الدنيا وهو فطري وسبب لتشريع الدين، ثم هدى الله المؤمنين إلى الحق المختلف فيه

بإذنه . . . »[1] في حين ان العلم والظواهر الاجتماعية وزمن قيام العلاقات لا بد أن يكون ظهوره مرافقاً لظهور الأنبياء ، وهذا ما بينه القرآن بقوله تعالى: كان الناس امة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوافيه . . . ».

فالناس ليسوا قادرين على حل مشاكلهم وخلافاتهم بمعزل عن الكتاب والرسول ، كون العقل الإنساني عاجزاً عن استشراف المستقبل بمعزل عن النور الذي يهديه الى طرق النجاة ، فإذا اريد له أن يستقل في احكامه فلا بد أن تنشأ الحروب بين البشر ، ولهذا امر الناس بتحكيم الأمر الإلهي لإحاطته بماضي وحاضر ومستقبل الإنسان ، فالحكم بين الناس بمعزل عن كتاب الله سيؤدي إلى مزيد من الاختلافات بين البشر ، وإلى مزيد من الحروب ، وحتى تكون الدعوة إلى السلام ظاهرة ومؤثره واساسية كان لا بد من ان يبعث الأنبياء بهدف تنظيم العلاقات بين البشر ، وتطويرها ، وهي مهما بلغت لا يمكن أن تؤدي إلى الحروب فيما لو كان الأنبياء هم المنظمون لها والقائمون بها والمشرفون عليها ، ولو شاء الله لجعل الناس امة واحدة ، ولأبقاهم على سذاجتهم دون شعور بالزمن ، لكن ما هي قيمة الإنسان فيما لو حيل بينه وبين اعمال عقله وتطوير شبكة علاقاته؟

إن الله سبحانه وتعالى مثلما انه لم يرد له البقاء على سذاجته ، ومثلما انه لم يرد له أن يبقى من دون اعمال للعقل ، فكذلك لم يرد له أن يستقل بنفسه في تنظيم علاقاته وحل خلافاته وتعقيداته ، فقد اراد له أن يُعمل العقل فيما له القدرة عليه ومن خلال الكتاب السماوي الذي فيه تبيان لكل شيء ، وهو اراد له ذلك كي يستمر حياً وفاعلاً ومسالماً ، لأن الله تعالى يعلم في

(١) را: الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص١١٣.

علمه القديم ان الإنسان لو خلي ونفسه يعالج مشكلاته بمعزل عن ارسال الكتب والأنبياء لأدى ذلك به إلى مزيد من الجهل والسذاجة حتى ولو بلغ مرحلة متقدمة من العلم في حياته . لقد كان من الطبيعي أن تزداد الحروب كلما ازدادت التعقيدات لأنه لا يوجد ما يرفع الاختلاف بينهم وينظم علاقاتهم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العالم اليوم هو يعيش هذه الإختلافات والتعقيدات ولكنه لا يعيش الأمن والسلام ، وكل علاقاته قائمة على الحرب والقوة نتيجة لعدم تحكيم امر الله فيما يختلف فيه البشر ، ومن هنا نفهم أن ظاهرة الحرب تعود إلى أن الناس يريدون استشراف المستقبل ويشعرون بالزمن من خلال ما يرونه مناسباً لهم بمعزل عن امر الله تعالى ، وكلما ابتعد الإنسان عن الله سبحانه وتعالى كلما استبد بنفسه وواقعه لدرجة أنه قد يفعل الحرب طمعاً بالمزيد من الإستبداد ، وباسلوب اخر نقول ان عالم الإنسانية لا يمكن استشرافه ـ الحرية ـ الكرامة ـ العدالة ـ العلاقات السلمية كل ذلك لا يمكن الوصول إليه إلا من خلاف ما انزله الله تعالى ، ومن الأسرار القرآنية . ان الذين يؤمنون بالسلام ويعملون له يدركون تماماً بأن الغنى في العلاقات الإجتماعية والسياسية والاقتصادية وكل ما يرافقها من تعقيدات مثلما انه يزيد في اسباب الحرب كذلك يزيد في اسباب السلام ، ولهذا قال تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم﴾**(١) .

الله سبحانه وتعالى يقول للذين امنوا ادخلوا في السلم كافة بعد أن

---

(١) سورة البقرة ، الآية٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

جاءتكم البينات وبعد أن ازدادت شبكة العلاقات والمصالح تعقيداً ، اذ أنه لا معنى للدخول في السلم كافة في زمن الجهل والسذاجة وفقر العلاقات ، هذا ما بينه تعالى بعد هذه الآيات الأنفة بقوله: كان الناس امة واحدة يجهلون معنى الزمن ويفتقرون إلى العلاقات السياسية والإجتماعية والإقتصادية والعسكرية وغير ذلك مما كانوا عليه في سلام يفرضه انعدام المخاوف والآمال والتوقعات . . .

يقول العلامة الطباطبائي: «فإنا نشاهد النوع الانساني لا يزال يرقى في العلم والفكر ويتقدم في طريق المعرفة والثقافة عاماً بعد عام. . وبذلك يستحكم أركان اجتماعه يوماً بعد يوم. . وكلما رجعنا في ذلك القهقري وجدناه أقل عرفاناً برموز الحياة وأسرار الطبيعة وينتهي بنا هذا السلوك الى الانسان الأولي الذي لا يوجد عنده إلا النذر القليل من المعرفة بشؤون الحياة كأنهم ليس عندهم إلا البديهات. . كالتغذي بالنبات أو شيء من الصيد والإيواء الى الكهوف والدفاع بالحجارة والأخشاب فهذا حال الانسان في أقدم عهوده ومن العلوم أن قوماً حالهم هذا الحال لا يظهر فيهم الاختلاف ظهوراً يعتد به. . . فمحصل المعنى ان الناس أمة واحدة مدنية بالطبع لا غنى لهم عن الاجتماع وهو يوجب الاختلاف، فلذلك بعث الله الأنبياء وأنزل الكتاب. . .»[1] .

ولو لم يكن السلام ممكناً في ظل غنى العلاقات والتوقعات وحساب الإستراتجيا لما قال تعالى ادخلوا في السلم كافة ، باعتبار أنه يعلم بأن ظهور البينات وتواتر الرسل والأنبياء من شأنه أن يحقق السلام وان يجعل من العلاقات بين البشر علاقات طبيعية وسلمية ، فإذا لم يطع الرسول ، فلن

(١) م. الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص١٢٨.

يكون بالإمكان الدخول في السلام ، وهذا ما نشهده في عالمنا اليوم في ظل العلاقات القائمة على القوة واللااخلاق بسبب تحكيم العقل والأهواء والمصالح «فإن زللتم من بعدما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم» أي إن زللتم عن أمري بدخول السلم ، أي من بعد علمكم بأن الدخول في السلم واجب ، بمعنى ان عدم الدخول في السلم هو نتيجة لعدم تحكيم أمر الله تعالى واستبداله باحكام اخرى صنعتها العقول والأهواء والمصالح مما يؤدي إلى مزيد من الحرب بين البشر كلما تطورت شبكة العلاقات وازداد الخلاف في أمور الدنيا، لأن الإختلاف في المعاش وأمور الحياة «انما رفع أول ما رفع بالدين فلو كانت هناك قوانين غير دينية فهي مأخوذة بالتقليد من الدين»[1] .

إن الإنسان على ضوء ما بينه الله تعالى في كتابه العزيز يستطيع أن يجد حلاً لكل مشاكله وان ينظم علاقاته بشكل يسمح له بأن يعيش في اجواء السلام الدائم ، فإذا احتكم لغير كتاب الله فلن يجد حلاً لمشاكله فيؤدي به الأمر إلى الخروج من السلام والدخول في الحرب، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد ارسل رسله وواتر انبياءه فذلك كله لأجل تحقيق السلام بين البشر اضافة إلى هداية الإنسان إلى سبل الخير والكمال ، وقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة**﴾ دليل على أن الإنسان يستطيع مهما بلغ به التطور والغنى أن يلغي اسباب الحرب ، ويستفاد مما ذكرناه ان اصل ظاهرة الحرب هو عدم الاستجابة لأمر الله تعالى لأنه حيث يعصى الله تعالى تكون الحرب ، وحيث يطاع تكون السلامة في الدين والدنيا ، وما ذكره ابن خلدون قد لا يكون دقيقاً «من أن الحروب وانواع المقاتلة لم تزل واقعةً في

(١) م. ع. ص١٢٥.

الخليقة منذ برأها الله واصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها اهل عصبيّته فإذا تذامروا لذلك وتوافقت الطائفتان احداهما تطلب الإنتقام والأخرى تدافع كانت الحرب وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو منه امة ولا جيل وسبب هذا الإنتقام في الأكثر إما غيرة ومنافسة وإما عدوان وإما غضب لله ولدينه وإما غضب للملك وسعى في تمهيده . . .»[1] .

هذا هو أصل الحرب عند ابن خلدون ، وقد سبق لنا أن بينا في كتابنا الشيخ شمس الدين بين وهج الإسلام وجليد المذاهب في فصل الحرب والسلم[2] ان ابن خلدون اعتبر الحرب عملاً طبيعياً من زاوية انسانية وتجاهل الأبعاد الفلسفية للأيات القرآنية التي تتحدث عن الحرب الدفاعية التي شرعها الإسلام على مستوى الجعل والإنشاء كما أنه لا يشير من قريب أو بعيد إلى المعنى المقصود بقوله ان الحرب اصلها ارادة انتقام وكأنه يذهب إلى اعتبار الحرب شيئاً مطلوباً لذاته بغض النظر عن دوافعها واهدافها ، وكأن جميع الناس يستوون فيها دون تمييز بين المعتدي والمعتدى عليه ، فإذا كان اصلها ارادة انتقام البشر من بعضهم البعض فذلك يمكن أن يفهم منه انها مركوزة في جبلة كل انسان ولا يستطيع احد أن يخرج منها إلى السلام ، وهو في تعليله بأن أي امة لا تخلو منها اما غيرة ومنافسة واما عدوان ، وإما ىىب لله ودينه واما غضب للملك وسعي في تمهيده يجعل منها ظاهرة عامة ىتوي فيها الكافر والمؤمن، وقوله : اما غضب لله ولدينه ليس ظاهرة عامة هو حالة خاصة بالمؤمنين الذين امروا بالدخول في السلام كافة دون أن

---

[1]) ابن خلدون ، المقدمة ، دار الأعلمي ، ص٢٧٠ . وقا! مع السيد فضل الله منطق القوة في الإسلام في رده على ابن خلدون ، م . س . ص٢٠٥ .

[2]) را: فرح موسى ، الشيخ شمس الدين بين وهج الإسلام وجليد المذاهب ، دار الهادي ، فصل الحرب والسلم ١٩٩٣ .

يعبروا عن ارادة الإنتقام التي يحدثنا عنها ابن خلدون . وهم ـ أي المؤمنين ـ إذا ما تعرضوا للعدوان ودافعوا عن انفسهم لا يكونون معبرين عن هذه الإرادة ، لأن المؤمن لا يلجأ اليها إلا عند الضرورة وعلاقاته مع البشر لا تقوم على أساسها اطلاقاً وهذا ما سنبينه في هذا الفصل فنقول إضافة إلى ما ذكرناه في كتابنا الأنف الذكر ! إن الله تعالى في خطابه إلى الذين امنوا دعاهم إلى الدخول في السلم كافة ، فلو كانت الحرب ارادة انتقام ومركوزة في جبلتهم لما دعاهم الله إلى الدخول في السلم كافة اذ لا معنى لتشريع الحرب الدفاعية إذا كانت الحرب إرادة انتقام عند البشر هذا أولاً . . .

وثانياً: إن الله تعالى قال: يا أيها الذين آمنوا . . . ولم يقل يا أيها الناس لاستحالة أن يكون بمقدور كل الناس أن يدخلوا في السلم لما هو عليه البعض من فساد في نفسه ، ولو قال تعالى يا أيها الناس ، لكان معنى ذلك ان الناس جميعاً بمن فيهم الكفار والمنافقين والظالمين والفاسقين يمكنهم أن يدخلوا في السلم في الوقت الذي لا قدرة لهم على الدخول فيها لما هم عليه في انفسهم من فساد يمنعهم من أن يدخلوا في هذا السلم . ومثلما أن غير المؤمن لا يشمله ـ كما يقول الفقهاء ـ مبدأ الاستخلاف فكذلك غير المؤمن لا يشمله مبدأ السلام ، ولهذا السبب والله اعلم جاء الخطاب يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة . . . لأن المؤمن إنما يكون على حالة وفي وضع يسمح له بأن يكون سلماً لمن سالمه وحرباً لمن حاربه ، بينما الكافر والفاسق والمنافق والظالم لا يمكنه أن يكون كذلك بل هو في حالة حرب دائمة مع البشر وليس بامكانه أن يدخل في السلم لأنه في حالة حرب مع نفسه اولاً ومع الأخرين ، وقبل كل ذلك هو في حالة حرب مع الله تعالى ، ومن يكون كذلك لا يمكنه الدخول في السلم كما أنه لا يمكن للمؤمنين أن

يدخلوا في سلم مع الكافرين والمنافقين لأنهم في حالة حرب مع الله تعالى ومعهم ، ولو قال تعالى يا أيها الناس ادخلوا في السلم كافة لكان معنى ذلك انه على المؤمنين أن يدخلوا في سلم مع جميع الناس سواء اكانوا مؤمنين أو كافرين ، وقد بين الفقهاء أن لا صلح مع المشركين ما داموا على شركهم ، لأنهم في حالة حرب دائمة مع الله والذين امنوا ولا يعرفون للسلام طريقاً ولهذا قال الله تعالى مخاطباً النبي: «يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم . . .»

إن الذي يجعل الدخول في السلام ممكناً هو الإيمان الذي يوحد بين الناس المؤمنين بالله واليوم الآخر ، وحيث ينعدم الإيمان ينعدم السلام ، فهو يدور معه وجوداً وعدماً ، وبناء عليه يمكن القول ان الحرب إذا كانت دفاعية كان اصلها الإيمان ، وإن كانت عدوانية كان اصلها الكفر والنفاق والظلم ، وهي ليست إرادة في جميع الأحوال كما يقول ابن خلدون ، فقوله تعالى يا أيها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة يستفاد منه هذا المعنى ان اهل الايمان هم أهل السلام بينما لو قال يا ايها الناس لما كان معناه ذلك ، لأنه ليس كل الناس أهلاً للسلام باعتبار أن فيهم الكافر والمنافق ، وهؤلاء ليسوا اهلاً للسلام ، ولو شمل الخطاب هؤلاء لأنتفت الحاجة إلى الحرب الدفاعية التي شرعها الله سبحانه وتعالى . ولصح قول ابن خلدون بأن اصل الحرب إرادة الإنتقام بعض البشر من بعض ولكان بإمكان كل إنسان أن يترجم هذه الارادة تحت شعارات شتى . . !؟ ، فاقتصار الخطاب على الذين امنوا يتضمن استمرار الحرب ضد الكفار والمنافقين ، وهذا ما اشار إليه بقوله تعالى: **﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتم وهم فشدوا الوثاق فإما منًّا بعد واما فداءً حتى تضع الحرب**

اوزارها . . .﴾[1] .

إن دخول الذين آمنوا في السلم من معانيه أن يكونوا سلماً لمن سالمهم وحرباً لمن حاربهم وبما أن اليهود وكل الظالمين لا يشملهم هذا المبدأ فضلاً عن مبدأ الأستخلاف فمعنى ذلك ان المؤمنين من واجبهم أن يترجموا دخولهم في السلام ، وسلامهم فيما بينهم حرباً ضد الكفار والمنافقين واليهود وكل الظالمين من أهل الكتاب لقوله تعالى: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي احسن إلا الذين ظلموا منهم﴾** .

فالظالمين من اليهود والنصارى ليسوا مؤمنين حتى يكون المؤمنون سلماً لهم ، لأن السلام مع الظالمين هو عداء لله تعالى ، فلا سلام مع من يحارب الله ورسوله ، وإذا فعل المؤمنون ذلك فإنهم يخرجون من ضمير قوله تعالى يا أيها الذين امنوا . . . لأن ما يميز اهل الايمان عن اهل الكفر هو الايمان بالله واليوم الأخر الذين جعلوا على أساسه مستخلفين في الأرض ، فاليهود لما يدخل الإيمان بعد قلوبهم واشربوا العجل في قلوبهم وهذا من شأنه أن يمنع من التواصل بينهم وبين المؤمنين نظراً لما هم عليه من فساد وشرك بالله تعالى .

نحن لا ندري كيف تغير الخطاب الإلهي عند الحكام العرب والمسلمين الذين يعملون من اجل الدخول في سلام مع اسرائيل اليوم على الرغم من معرفتهم المسبقة بأن السلام معها في ظل عدوانها وتدنيسها للمقدسات ليس من الإيمان في شيء . إن سلاماً يخرج الناس من الإيمان إلى الكفر ، ومن التوحيد إلى الشرك ، ومن الإسلام إلى الجاهلية ، ويخرج

---

(١) سورة محمد ، الآية: ٤ .

من السلم كافة لا يمكن فهمه على ضوء رسالة السماء؛ وكل ما يمكن أن نقوله عنه انه حرب ضد الله والإنسان معاً لأنه يدخل الصهاينة في عالم الإنسانية ويعطيهم الأمان ويمكنهم من رقاب العباد ، ويجعلهم مشمولين في مبدأ الإستخلاف وفي مبدأ السلام خلاف ما امر به الله تعالى من ضرورة ابقاء هؤلاء خارج المجتمع الإنساني لما هم عليه من فساد وعدوانية . . . !؟

إن ما سماه ابن خلدون ارادة الحرب والإنتقام سماه الله تعالى بالدفع حيث قال تعالى: **﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾**(١) .

وقال تعالى: **﴿اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرنّ الله مَن ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾**(٢) .

يقول العلامة فضل الله: إن الله تعالى يفلسف القضية من ناحية عامة وهي المنع من فساد الأرض وانهيار الحياة فيها لأن افساح المجال للمعتدين والطغاة . . . يؤدي بالحياة إلى أن تخضع لعدوانهم . . . وفي الآية الثانية يفلسف الحرب من ناحية حرية العقيدة وحرية ممارستها باعتبار ارتباطها بواقع المسلمين الضعفاء في مكة الذين اضطهدهم المشركون لأنهم قالوا ربنا الله . . فكان الدفاع عن حرية العقيدة حقاً طبيعياً

(١) سورة البقرة ، الآية: ٢٥١ .

(٢) سورة الحج ، الآية : ٣٩ ـ ٤١ .

لهم . . »[1]

إذن نظرية الدفع في القرآن هي التي تبين الأبعاد الحقيقية للحرب ، وتظهر بأن السلام مع المعتدين والظالمين لا يمكن عقده لما يؤدي إليه ذلك من افساد في الأرض. وهذا الحق الطبيعي للمؤمنين في الدفاع عن حرية عقيدتهم ، وفي الحفاظ على وجودهم يستلزم دخولهم في السلم كافة وعدم الذلل فيه بعد أن جاءت البينات ، لأن الزلل من شأنه أن يفسح في المجال أمام الكافرين كي يقتلوا ويفسدوا في الأرض؛ فإذا دخل المؤمنون في السلم كافة حالوا دون أن يحقق الكافرون ما يطمحون إليه من افساد في الأرض فيأتي الدفع لهم من قبل المؤمنين ليمنعهم من ذلك وبهدف تحقيق السلم ، فما يقوم به اهل الايمان من حرب ليس ارادة انتقام وانما هو دفاع عن النفس والحرية كونهم في الأصل لا يملكون هذه الإرادة بدليل أن الأصل عندهم هو الدخول في السلم والعمل له ، فإذا كانت الحرب الدفاعية هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك فلا بد من اللجوء إليها لا من أجل الحرب وانما من أجل السلام ، وذلك ندركه من الحقيقة التالية وهي أن الايمان يأمر اهله بأن يدفعوا الشر من حيث جاء ، وكما في قول علي عليه السلام ! ردوا الحجر من حيث جاء فإن الشر لا يدفعه إلا الشر؛ لا بمعنى الشر ، بل بمعنى الدفع له والحيلولة دون انتشاره وسيادته . .

إن الدفع للشر ليس شراً بل هو خير ، ودفعه هو ما نسميه بالحرب الدفاعية المشروعة، فهي في الأصل ومن حيث الجوهر خيرٌ لا يمكن الاستغناء عنها وإلا لساد الشر والطغيان بسبب وجود اهل الشر الذين لا يرغبون في إقامة السلام ولا في الدخول فيه ، وبما ان حركة اهل الايمان

(١) را: السيد فضل الله . منطق القوة في الإسلام م . س . ص٢٠٣ .

تهدف إلى تحقيق السلم ، فإن اللجوء إلى الحرب في سبيل ذلك لا يعني بأي شكل من الأشكال الانتقام من حيث كون المؤمن يرغب في السلم ويكره الحرب، فإذا كانت ارادته وفي طبعه ولا قدرة له على التخلص منها فكيف جاءت الدعوة بالدخول في السلم كافة ؟؟

فالخطاب الإلهي للذين امنوا لا يستثني طبيعة الإنسان ، وإن كان في نفسه يوجد ما يحمله على الشر ، بل يعتبرها والله تعالى اعلم بما خلق ، وبهذا يمتاز الخطاب الإلهي عن غيره. انه خطاب سلام وهو اله السلام وحتى يبقى للسلام هذا المعنى كان لا بد من تشريع الحرب الدفاعية حتى لا يتحول هذا السلام عن معناه بحيث يصبح ذلاً وهواناً واستسلاماً لا يقبله المؤمنون من موقع ايمانهم سواء اكانوا ضعفاء أو اقوياء ، ومن جملة ما يمكن بيانه هنا ان اليهود والنصارى حرفوا الكلم عن موضعه واعتبروا الله تعالى اله حرب خلاف ما جاء في كتبه المقدسة ، وبدل من أن يدعى بالسلام دعي بالحرب ، لأن السلام من اسمائه **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعُوه بها﴾**(1) .

نعود لنؤكد على أن تطور العلاقات بين البشر وتعقد المصالح يزيد في اسباب الحرب عندما لا يحكّم البشر رسالات السماء ، وعند تحريف النظرية الإلهية التي تبقى بحاجة إلى مؤمنين حقيقين يشرفون ويقومون بتطبيقها على نحو يسمح للجميع بأن يدخلوا في السلم سواء اكان الناس فقراء في علاقاتهم ومصالحهم أو اغنياء ، وما قيل من أن الحرب هي نشاط بشري موجود في صميم الحضارة ، وناتج عنها ، وتستمد قيمها الأخلاقية من طبيعة الأهداف التي تذود عنها والدوافع التي تنطلق منها هو كلام يستقيم

---

(1) سورة الأعراف ، الآية: ١٨٠ .

معناه امام نظرية الدفع القرآنية التي تهدف إلى منع المفسدين من الإفساد في الأرض ، ومثلما أن الحرب هي نشاط انساني فكذلك السلام ايضاً هو نشاط انساني «بما أن الحرب يمكن أن تنتج عن حضارة ، فكذلك السلام يمكن أن ينتج عن حضارة أيضاً باعتبار انه لا يمكن تبرير الحروب بتعقد المصالح والتطور الحضاري، كما أنه لا يمكن تبرير السلام من خلال بساطة الانسان وسذاجته. فالحضارة هي نتيجة للسلام وليس نتيجة للحرب ، إلا أن تكون حرب الله تعالى، لأن الحضارة لا تعني فقط التطور المادي بل هي الى جانب ذلك أخلاق ومعنويات؛ فما معنى أن يكون الانسان متحضراً مادياً وهو فاسد في نفسه، فلا بد من الإيمان حتى يستقيم معنى الحياة وقوله: ادخلوا في السلم كافة انما هو لأجل بناء الحضارة والحفاظ عليها من خلال الإيمان، فإذا لم يحكّم كتاب الله ، ولم يعمل على ترجمة النظرية الإسلامية فإنه لا يمكن الحفاظ على التطور والمصالح والمكتسبات المادية والمعنوية للإنسان ، وبمجرد أن تحكم الأهواء والمصالح والشهوات والعقل الإنساني المحدود؛ يصبح البديل للسلام هو الفساد في الأرض، لأنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يعطي السلامة في الدين والدنيا ، وهو الذي يعطي الأمن والأمان فيهما من منطلق انه المهيمن وجودياً وعلمياً كما في قوله تعالى في وصف نفسه «السلام المؤمن المهيمن» فإذا لم تدخل في السلم فلن تحصل على السلامة والأمن ، والدخول في السلم انما يعني العمل بكتاب الله وسنة نبيه حتى يكون النشاط الإنساني نشاطاً سلمياً علمياً اخلاقياً ساعياً إلى الخير وهادفاً إلى تحقيق السلامة والكمال في الدنيا والآخرة، وبهذا يمتاز المؤمنون عن المجرمين باعتباران اهل الايمان يجاهدون من اجل ان تبقى الحرية والكرامة والسلام والامان، من اجل أن يحولوا بين المجرمين وبين

افسادهم في الأرض . والحق يقال: ان اهل الايمان في حروبهم وفي خضم آلالامهم هم يمارسون حقاً طبيعياً ، ويقومون بنشاط انساني طابعه السلام وليس الحرب ، نشاط انساني يهدف إلى الحفاظ على انسانية الإنسان وحريته وكرامته ، بينما الذين يعملون بوحي من شياطينهم هم يدمرون الإنسان ، ويقضون على حريته وكرامته بحجة انهم يمارسون نشاطاً انسانياً وتحت شعار حرية وكرامة الإنسان . !!!

الدفاع عن النفس حق فطري :

ان الله سبحانه وتعالى يعطي السلامة في الدنيا والآخرة بأن نعمل بكتابه، وان نسير على هداه لأنه سبق له وان اعطى اليهود كل شيء وأنزل لهم من السماء كل ما طلبوه لأجل ان يحقق لهم السلامة في الدين والدنيا، إلا انهم رفضوا هذه النعم الإلهية وكفروا بها ولم يؤد بهم كل ذلك الى ان يدخلوا في السلام والايمان واعتبروا انفسهم شعباً مختاراً له الحرية في أن يمارس الحرب والعدوان على البشرية لأنه ـ كما يزعم ـ أمر من الرب بأن يستمر الناس في خدمته يستعبدهم سواء في الحرب أو السلام، فاليهود اليوم خرجوا على الكتب السماوية وقدسوا الحرب واقتصروا في نشاطهم الانساني على الاعداد لها في جميع وجوهها السياسية والاقتصادية والعسكرية، فالله تعالى يعلم بأن اليهود لم ولن يكونوا على شيء في الدين والدنيا ولكنه أراد أن يلقي الحجة عليهم، وهو في خطابه الى الذين آمنوا بأن يدخلوا في السلم كافة يبين لهم بأن قتال هؤلاء والحرب معهم هي من مقدمات السلام بين المؤمنين وغيرهم . . . يقول من السلام أخرجوا اليهم الى حربهم من أجل الإيمان والسلام وحقوق الإنسان، وهذا ما بينته وثيقة الفاتيكان الصادرة عن سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسيحيين بعنوان «توجيهات لإقامة حوار

بين المسيحيين والمسلمين، تقول هذه الوثيقة ان جهاد المسلمين في سبيل الله لا يسعى الى الابادة بل يسعى لأن يمد الى مناطق جديدة حقوق الله والإنسان».

وهذا البيان وحده كاف للتدليل على ما يرومه الاسلام من حربه الدفاعية، فهو يريد السلام والأمان للبشرية قاطبة، واذا ما خاض المسلمون الحرب فإنم من أجل ذلك يخوضونها وليس من أجل النفوذ والسيطرة والقهر والحرمان . إن تشويه الكتب السماوية ادى الى تقديس الحرب، والى تشويه كثير من الحقائق التي لا بد من معرفتها في الطريق الى السلام. وهذا التحريف ادى الى جعل الشعوب اليهودية المسيحية تقف في مقابل الشعوب الاسلامية التي تقدس السلام وتحارب من أجله، يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة، واعلموا بأن الصلح خير، وان الحرب كره لكم، شرط ان يستجيب عدوكم للسلام، وان يتحول عن كفره الى الايمان، فإذا لم يستجب للسلام، ولم يكف عن الأذى فان حربكم لاستئصاله تعتبر من مقدمات السلام الحقيقي، وهي في جميع الأحوال لا تخرج عن نطاق الحرب الدفاعية ما دام العدو يعد العدة للهجوم على ديار المسلمين. . . ومن هنا نلحظ بأن السلام اليوم مع اسرائيل إذا ما تمَّ على أساس ان تبقى في فلسطين فإنه يمنع المسلمين من أن يكونوا أحراراً وأسياداً على أرضهم وسيحول بينهم وبين حريتهم، فأين هي إرادة الانتقام ـ كما يقول ابن خلدون ـ إذا كانت حتى الحرب الدفاعية غير معد لها من قبل المسلمين والمؤمنين؟ يقول العلامة جنتي: «ان الدفاع حق فطري لا يتمتع به الانسان وحسب بل هو لأي موجود حي يتمتع بضرورات الحياة ويتصرف بالموجودات الاخرى ويصارع كل العقبات التي تقف في طريقه وتهدد

حياته. . . »[1].

وأمام هذا الحق الفطري نحن نسأل لماذا لا يدافع العرب والمسلمون عن أنفسهم وعن أرضهم وسيادتهم عليها. . ؟؟

ان الحيوانات تدافع عن نفسها فيما لو اعتدى عليها من قبل حيوانات اخرى ومن قبل أي كائن آخر، لماذا العدو يملك ارادة الانتقام في الدفاع والهجوم ولا يملك العرب والمسلمون هذه الارادة؟

لا شك ان الكفر والمعاصي يقوي ارادة الشر والانتقام، مثلما يقوي الايمان ارادة الخير ودفع الشر، لكن من أين تأتي ارادة الخير ودفع الشر إذا كان الإيمان معدوماً؟ إن الدفاع عن الوجود والكرامة يحتاج الى ان يشرب الناس الإيمان في قلوبهم مثلما شرب اليهود العجل في قلوبهم، وما دام هذا الخلل موجود فان العرب والمسلمين لن يتمكنوا من دفع الشر عنهم، بل قد يتحولون الى أشرار في ظل ما يدعون اليه ولديهم الرغبة في أن يستجيبوا له بسبب غياب ارادة الايمان. الله سبحانه وتعالى شرع الحرب الدفاعية لأجل ان تدفع الشرور عن الانسان، فإذا اسقط الانسان هذا الحق الفطري، فماذا يبقى له من الوجود؟ ان انساناً لم تبق له حتى ارادة العدم حري به ان يستجيب لدعوات الاشرار وان لا يكون في سلام مع نفسه لعداوته لها. ؟

نحن نفهم ان كل شيء يمكن ان يسقط الا الحق الفطري، الا ان يدافع الإنسان عن نفسه، لكن اذا أسقط هذا الحق فلم يعد الانسان إنساناً، ومما يدل على هذه الحقيقة ان الظالمين الذين منعنا الله من مجادلتهم بالتي هي أحسن هم يجهلون تماماً الحق الفطري، ويعتبرون الاعتداء على الآخرين

---

(١) را: مجلة المنطلق، عدد ٢٤، ١٩٨٤، ص١٤ وما بعدها.

حقاً من حقوقهم؛ حقاً طبيعياً لهم بسبب ما اشربوا في قلوبهم، فاذا هم وصلوا الى مرحلة الدفاع عن النفس شعروا بالنهاية، ولهذا نجد بأن اسرائيل تخاف القتال على حدودها وتحاول جاهدة ان تبقى المعركة على أرض الآخرين، في حين اننا نجد بأن أهل الإيمان هم أقوى في مرحلة الدفاع منهم في مرحلة الهجوم، لأنهم من أكثر الناس شعوراً بهذا الحق الفطري، بالله عليكم بماذا يشعر اليهودي المهاجر من روسيا الى فلسطين؟ هل يمكن ان يكون عنده شعور بحق الدفاع عن النفس؟؟ هو يؤتي به ليترجم إرادة الانتقام بحق الآخرين وليس من أجل أن يدافع عن نفسه، وعموماً نقول ان اليهود الذين اغتصبوا فلسطين أغلبهم لا يشعر بأن فلسطين بلده، ومما يدل على ذلك انهم حينما يتعرضون لعدوان ما يشعرون بأنهم يقيمون فيها رغماً عنهم ويتذكرون قبور آبائهم وأجدادهم في بولونيا وهولندا وروسيا وغيرها من البلدان التي تركوها الى فلسطين! ولو انهم خليوا وانفسهم لتركوها وعادوا الى حيث كانوا، وهذه من جملة الحقائق التي اكتشفها الدكتور حسام الضيقة بقوله: «ليس اليهود أول من استوطن فلسطين وليسوا شعبها وليس وطنهم، فقد جعلت هذه البلاد قديماً بشعوب عديدة تنضوي تحت اسم الكنعانية ورد ذكرها في التوراة وقد حاربها يوشع عند اجتياحه أرض فلسطين ولم يستطع اخضاعها كلياً، فقد ظلت الحروب مشتعلة بينها وبين هذا الشعب المحتل كدليل على عدم تقبلها له ورفضها لوجوده. . . واليهود شعب طارىء على جزء صغير من بلاد كنعان، بل لم يستطع الوصول الى البحر، فمسرح احداثه ينحسر في الشعاب والأودية والجبال»[1] .

فأغلب اليهود يراودهم هذا الشعور، وعرَّفتهم الانتفاضة أنهم ليسوا

(١) را: الضيقة، حسام، اليهود في العصور القديمة، مجلة الغدير، عدد ٢٣ ـ ٢٤.

أصحاب هذه الأرض وليس لهم أي حق فيها، وهذا ما جعلهم فاقدين لحق الدفاع عن النفس الذي يملكه كل صاحب أرض، وقد قلنا انه بمجرد أن يصبح العرب والمسلمون على حدود فلسطين فإن اليهود جميعاً سيراودهم شعور الهجرة من فلسطين حتى ولو كانوا يملكون السلاح المدمر، لأن هذا الأخير لا يمكن ان يكون بديلاً للحق الفطري عند أي شعب من الشعوب، يقول هاني الراهب: «ان الحقيقة الأولى في حياة الصهيوني هي أن عليه أن يقتل ويحتقر العواطف، ويعتمد على القوة والغزو ليجني الأمان»[1] . . . ومن جملة الأمثلة الدامغة على ذلك ان شعب الجنوب اللبناني تمكن من طرد العدو بالاعتماد على هذا الحق الفطري في الدفاع عن النفس وتحرير الأرض، وقد أشعروا المحتل بهذه القوة الذاتية عندهم، ونحن بإمكاننا أن نلحظ الحالة النفسية للعدو على الشكل التالي: انه يترجم إرادة الانتقام في عدوانه، فإذا ما فوجىء بأي شعب يدافع عن نفسه، فإنه لا يتوانى عن التراجع، ونقول بصراحه: ان عدم انسحاب العدو من الجنوب الى الحدود سببه انه لا يقدر على حماية حدوده ولمعرفة اليهود بأنفسهم من أنهم ليسوا أصحاب حق في فلسطين، ولا قدرة لهم على الدفاع عنها، وسيأتي اليوم الذي يرون أنفسهم فيه خارج هذه الأرض، لأن الروسي ما زال ضميره في روسيا، وكل يهودي هو يعيش الغربة اليوم في فلسطين، ولولا حبل الناس لما تجرأ يهودي واحد على الهجرة الى فلسطين . إن على كل يهودي ان يسأل نفسه عن سبب الخوف الذي ينتابه وهو في أوج قوته ، ومن أين له إرادة البقاء وهو يشعر بالضعف رغم قوته المادية؟؟

---

(١) هاني الراهب، الشخصية الصهيونية في الرواية الانكليزية، بيروت، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات.

ولهذا قلنا بأن اسرائيل تشعر بالقوة والوجود حينما تكون خارج حدودها التي لم تحدد بعد[1]، ونعني بالحدود حدود فلسطين، فإذا حررت الأرض العربية ووصل العرب الى حدود فلسطين يبدأ الشعور بالضعف والعدم عند اليهود، والسبب في ذلك انهم غرباء على هذا العالم. . . وان هذه الأرض ترفض هذا الشعب. . . وهنا يتجلى لنا فرق واضح بين الذين آمنوا والذين كفروا وهو ان الذين كفروا لا يشعرون بوجودهم إلا بالاعتداء على الآخرين بينما أهل الإيمان فهم يشعرون بوجودهم أكثر فيما لو اعتدى عليهم، ومما يدل على هذه الحقيقة ويظهرها بجلاء هو ان اليهودي لا يشعر بالحق الفطري بمقدار ما يشعر بإرادة الانتقام من نفسه ومن غيره، بينما الأمر عند المؤمنين خلاف ذلك تماماً وذلك باعتبار ان عدم الاعتداء على المؤمنين من قبل الكفار واليهود والذين أشركوا يجعلهم أكثر قدرة على الدخول في السلم، ولهذا خاطبهم الله بقوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**﴾ وهم كلما حققوا السلام كلما شعروا بالوجود والحرية والكرامة وبهذا الحق الفطري، في مقابل ذلك نجد ان اليهود لا يسمحون لأنفسهم بأن يشعروا بهذا الحق، لأن إرادة الانتقام عندهم أقوى منه، وهم كلما دخلوا في

---

(١) يقول الدكتور شفيق المصري: «المهم ان تكون حدود الدولة واضحة ونهائية وواردة في دستورها حتى يتم الاعتراف بها في اطار هذه الحدود الواضحة والنهائية. . . هذا من حيث المبدأ، أما في الواقع فقد قضت السياسة الدولية أحياناً باستثناءات صارخة لهذا المبدأ، ولعل اسرائيل هي أكثر الاستثناءات نفوراً في هذا المجال، فمن المعروف ان الدستور الاسرائيلي لا يتضمن تحديداً واضحاً (ولا حتى غير واضح) لحدودها الجغرافية، ومع ذلك فقد تم الاعتراف الدولي بها كما تم قبولها في عضوية الأمم المتحدة ولا تزال حتى اليوم تفاوض على «الحدود الآمنة» والمعترف بها في محاولة واضحة للاعتداء أو لضم أقسام متعددة من أقاليم الدول الاخرى التي تم الاعتراف الدولي بها. . . را: مجلة المنطلق عدد٩٨، ١٩٩٣. تعريف الدولة وفقاً للقانون الدولي العام.

السلم فيما بينهم أو مع غيرهم كلما قويت إرادة الانتقام من بعضهم البعض إذا لم يكن بالإمكان التشفي من الأخرين ، ولهذا السبب وغيره، هم أرادوا أين يكونوا في حرب دائمة مع الناس تفادياً لهذا الشعور ولظهور هذه الإرادة فيما بينهم وقد عبّر الله تعالى عن هذه الحقيقة بقوله: **﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرّم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُرَدُّون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾**[١] .

ليس المطلوب من العرب والمسلمين ان يحاربوا العالم واسرائيل دفعة واحدة، بل المطلوب منهم في البداية أن يترجموا هذا الحق الفطري في الدفاع عن النفس وفي تحرير أرضهم ودفع اسرائيل الى حيث كانت قبل أن تحتل أي شبر من الأراضي العربية، وهذا العمل وحده كفيل بأن يظهر إرادة الانتقام من بعضهم البعض، لأن شعورهم بقدرة الآخرين يخلق الضعف في نفوسهم، في حين ان الضعف في العرب والمسلمين يخلق القوة عند اليهود ويدفع بهم الى الاعتداء، والى الشعور بوجودهم، ومن الحقائق الأكيدة في وجودنا، انه كلما قوي الايمان، كلما قوي الحق الفطري في الدفاع عن النفس، وكلما ضعف الايمان ضعف هذا الحق في الدفاع، وبما ان اليهود لم يدخلوا في الايمان وأُشربوا العجل في قلوبهم، فإنهم عاجزون عن الثبات أمام أية حرب حقيقية يمكن ان تنشب بينهم وبين أهل الإيمان مهما كانت قوتهم العسكرية، فالبحث عن إرادة الانتقام يمكن البحث عنها عند اليهود وليس عند كل البشر وهذا ما نسجله على مقولة ابن خلدون الذي لم تبين

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

عبارته المعنى المقصود منها. فالغضب لله ولدينه لا يسمى إرادة انتقام، والدفاع عن النفس لا يسمى كذلك وانما هو حق من حقوق أهل الإيمان، ومن هنا نعرف بأن الخطاب الإلهي للدخول في السلم يلحظ هذه المعاني، ويبين ان السلام مع أهل الانتقام والكفر يخرج أصحابه من الايمان ويدخلهم في عداد الذين كفروا، لأنه لا سلام مع من يحادد الله ورسوله، ومن لا يشمله مبدأ الاستخلاف لا يشمله مبدأ السلام، وعلى اللاهثين وراء السلام أن يعوا هذه الحقيقة، وان يعرفوا بأن اليهود ليسوا على شيء من الإيمان حتى يكون السلام معهم ممكناً، فإذا كان لا بد من السلام فليكن مع أولئك الذين يستجيبون لدعوة السلام ويريدون ان يدخلوا فيه من منطلق إيمانهم. . .

قال تعالى: **﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾**(١) .

فقد عمم الخطاب لجميع الناس لأن الحكم الذي يقرعه سمعهم ويبينه لهم مما يبتلى به الكل، أما خطابه في الآية الآنفة **﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾** فهو ليس عاماً وانما هو خاص بالمؤمنين، من منطلق ان كل الناس يأكلون مما في الأرض حلالاً طيباً ولا يتميز الناس عن بعضهم فيما يأكلون ويشربون، بينما هم يتميزون في الكفر والإيمان والإسلام، وبما انه ليس كل الناس مؤمنين، ومنهم الكافر والمؤمن فإن الخطاب جاء مميزاً للمؤمنين عن غيرهم لأجل أن لا يتساهلوا مع الكفار الذين يريدون سلوك طريق لم يبينه الله ورسوله، يقول السيد العلامة

---

(١) سورة البقرة، الآية١٦٩.

الطباطبائي: «فالسلم المدعو اليه هو التسليم لله سبحانه بعد الإيمان به، (فإذا لم يكن إيمان لم يكن سلام)، فيجب على المؤمنين أن يسلموا الأمر إليه ولا يذعنوا لأنفسهم صلاحاً باستبداد من الرأي، ولا يضعوا لأنفسهم من عند أنفسهم طريقاً يسلكونه من دون أن يبينه الله ورسوله، فما هلك قوم إلا باتباع الهوى والقول بغير علم، ولا حلت الهلكة بدار قوم إلا بالخروج عن السلم..»[1].

وبما أن اليهود لم يؤمنوا وتصرفوا بآيات الله تعالى وجحدوا بها وحرفوا الكلم عن موضعه، فان دخولهم في السلام غير ممكن لما هم عليه من كفر، والمؤمنون لا يمكنهم الدخول معهم في السلام ما داموا هم في حالة حرب مع الله تعالى ويختارون لأنفسهم سبلاً ما أنزل الله بها من سلطان، وكما قلنا: ان الدخول في السلم يجب أن يسبقه دخول في الايمان وعمل بكتاب الله وسنة نبيه، وبما ان اليهود غرباء عن الايمان ولا عهد لهم بالاسلام، فلا مجال لإقامة سلام معهم، وإن كان بالإمكان مسالمة أهل الكتاب الذين عملوا بكتاب الله ولم يحرفوا الكلم عن مواضعه، فهؤلاء آمنوا بالله ورسله، وبالتالي فإن خطاب يا أيها الذين آمنوا... يشملهم ويجعلهم مع المسلمين في مواجهة الذين ظلموا الى أي طائفة أو دين انتموا... فالظالمون ليس لهم دين والدخول معهم في سلام غير ممكن لمكان اطلاق اللعنة عليهم من قبل الله تعالى حيث قال تعالى: ﴿... **وما للظالمين من أنصار**﴾[2].

---

(١) تفسير الميزان، ج٢، ص١٠٢، وراجع أيضاً البرهان في تفسير القرآن حيث جاء في معنى هذه الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا...**﴾ ان الدخول في السلم هم آل محمد ﷺ باعتبارهم أبواب السلم... را: ج١، ص٢٠٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٠.

وقال تعالى: ﴿والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾[2] .

(١) سورة الشورى، الآية: ٨.
(٢) سورة غافر، الآية: ٥٢.

السلام في التطبيق التاريخي

صلح الحديبية

ان الاسلام ـ كما بينا ـ يدعو الى السلام ويأمر بالدخول فيه، حتى ولو كان العدو في دعوته غير صادق وأظهر الرغبة فيه ـ اي بالسلام ـ لغاية في نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿**وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين**﴾[1] .

لكن ليس معنى هذا ان يسمح المسلمون بتمرير الخدعة عليهم، وان يستسلموا تحت شعار السلام لعدوهم الذي يتربص بهم شراً، بل معناه ان يكون المسلمون حذرين لما يجري، وان لا يرفضوا الدعوة الى السلام فيما لو كان هناك احتمال بأن الذي يدعو اليه ليس صادقاً، إلا ان هناك احتمالاً أيضاً بأن يكون صادقاً، فإذا أيقن المسلمون بأن العدو يدعو الى الصلح ويقارب ليتغفل، فيمكنهم أمام هذا اليقين أن يرفضوا أية دعوة الى السلام المسلح، . . يقول الامام علي عليه السلام: «وجدت المسالمة ما لم يكن وهناً في

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٢.

الاسلام أنجع من القتال»[1] .

من هذه الحقيقة ندخل الى التاريخ الاسلامي لنرى ماذا كان المسلمون الأوائل الخلَّص قد عقدوا الصلح مع أعدائهم بطريقة أو بشروط تخسرهم وجودهم أو تدفع بهم الى خسارة موقعهم ودورهم كما يجري الآن في القرن العشرين بين العرب واسرائيل، فهناك صلح الحديبية مثلاً، ومن ثم الصلح بين المسلمين واليهود في المدينة، وثالثاً صلح الامام الحسن عليه السلام مع معاوية، إضافة الى نماذج سلمية اخرى يمكن الاشارة اليها للتدليل على معنى السلام، ولمعرفة الشروط التي لا بد من توفرها فيما لو أراد المسلمون أن يحققوا لأنفسهم سلاماً ما، نحن مع لحاظنا لكل مرحلة تاريخية، وللظروف المحيطة بكل مرحلة من مراحل التاريخ ، لا يسعنا إلا التأكيد على ان اختلاف الظروف ـ مهما كانت هذه الظروف ـ لم يدفع بالمسلمين يوماً الى تبني سلام لا يضمن لهم حقوقهم أو يهدد إنسانيتهم، ويحول بينهم وبين ان يكونوا أحراراً ومكرمين كما أرادهم الله تعالى، حيث انه تعالى قد شدَّد في كتابه على الكرامة الإنسانية، وعلى ضرورة ان يكون الانسان حافظاً لنفسه ومدافعاً عنها، قال تعالى: ﴿ولقد كرَّمنا بني آدم. . .﴾ وهذا يعني فيما يعنيه ان أي عمل يؤدي الى إهانة الانسان والى مسخه بحيث يصبح أعلاه أسفله وأسفله أعلاه، لا يكون له أي قيمة بل هو عمل مدان من قبل أهل الأرض والسماء . باعتبار ان كرامة الانسان ليست مسألة دينية محضة، وإنما هي مبدأ عام أوصت به كل أديان السماء ودعت اليه بهدف الحفاظ على المعنى الانساني بغض النظر عن انتمائه الديني بمعنى أن مبدأ الكرامة الإنسانية لا يختص بالمبدأ الديني. . . الله تعالى كرَّم بني آدم، فإذا لم يضمن

(١) غرر الحكم.

السلام هذه الكرامة، فلا يكون سلاماً حقيقياً، وبالتالي لا يمكن القبول به أو الدخول فيه نظراً لما يؤدي اليه ذلك من إهانة ومن تعريض الإنسانية الى الخطر في ظل هكذا سلام، وهذا ما سنبينه في هذا المبحث. . .

من الأهمية بمكان ان نأخذ صلح الحديبية الذي عقده الرسول ﷺ مع قريش كأنموذج سلمي منع من حصول تصادم ما وحقق أفضل النتائج الممكنة التي كان يسعى الى تحقيقها الرسول ﷺ. هذا الصلح. . وان كانت له تبريراته الإلهية. لم يكن صلحاً عشوائياً أو معجزة لا يمكن الاعتبار بها، بل هو سلام واقعي كانت له ظروفه وشروطه ومدته ونتائجه، ولو لم يعرف الرسول ان هذا السلام سيؤدي الى نتائج هامة والى دخول الناس في الاسلام أفواجاً لما أقدم عليه ولا دخل فيه، على الرغم من أن بعض الصحابة قد اعترض على هذا الصلح وبعضهم شك في رسول الله ﷺ ورأى الضرر كل الضرر في عقده، جاء في السيرة: «ان قريش بعثت سهيل بن عمرو، أخا بن عامر بن لؤي الى الرسول ﷺ وقال له: ائت محمداً فصالحه ولا يكن في صلحه إلا ان يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدَّث العرب عنا انه دخلها علينا عنوة ابداً، فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، فلما انتهى سهيل الى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام وتراجعا، ثم جرى الصلح بينهما، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر أليس برسول الله، قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى: قال: أليسوا بالمشركين؟ قال بلى، قال: فعلامَ نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، الزم غرزه فإني أشهد انه رسول الله قال عمر: وأنا أشهد انه رسول الله ﷺ، ثم اتي رسول الله ﷺ فكرر عليه عمر ذلك. . . فقال

الرسول ﷺ: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيعني. . . ثم دعا رسول الله ﷺ الإمام علي عليه السلام ثم قال اكتب: «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو» فقال سهيل: لو شهدت انك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال رسول الله ﷺ اكتب: «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على انه مَن أتى محمداً من قريش بغير اذن وليه رده عليه ومن جاء قريشاً ممن مع محمداً لم يرده عليه، وان بيننا عيبة مكفوفة[1]، وانه لا اسلال ولا اغلال[2] وانه مَن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه» فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وانه إذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمتْ بها ثلاثاً معك سلاح الراكب، السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد، قد انفلت الى رسول الله ﷺ وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ فلما رأوا ما أمر من الصلح والرجوع، وما تحمَّل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك آمر عظيم حتى كادوا يهلكون، فلما رأى سهيل أبا جندل قام اليه فضرب وجهه وأخذ

(١) أصل العيبة وعاء من جلد يكون فيه المتاع، مكفوفة: اشرجت على ما فيها وأقفلت، ضرب ذلك مثلاً للقلوب التي طويت على ما تعاقدوا عليه، را: سيرة ابن هشام. ص٢٢٧.

(٢) الاسلال: السرقة الخفية، والاغلال: الخيانة. را: م. ع. ص. ن.

بتلبيبه[١] ثم قال: يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال: صدقت فجعل ينتره[٢] بتلبيبه ويجره ليردَّه الى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أأُردُّ الى المشركين يفتنوني في ديني فزاد ذلك الناس الى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً: إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وأنا لا أغدر بهم... فلما فرغ من الكتاب اشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين... وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحل، وكان يصلي في الحرم فلما فرغ من الصلح قام الى هديه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه، فلما رأى الناس ان رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون، ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً، حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً**﴾[٣] ثم قال تعالى: ﴿**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين، محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا**﴾، أي لرؤيا رسول الله ﷺ التي رأى انه سيدخل مكة آمناً لا يخاف. قال: ﴿**محلقين رؤوسكم ومقصرين معه لا تخافون فعلم من ذلك ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً**﴾[٤] صلح الحديبية.

---

(١) را: سيرة ابن هشام، م. ع. ص٢٢٩.
(٢) نترة: جذبه جذباً شديداً. م. ع. ص. ن.
(٣) سورة الفتح، الآيتان: ١ ـ ٢.
(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

يقول الزهري: فما فتح في الاسلام فتح قبله كان اعظم منه، انما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحدٌ بالاسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الاسلام قبل ذلك أو أكثر»[1].

قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري ان رسول الله ﷺ خرج الى الحديبية في ألف وأربع مائة، في قول جابر بن عبدالله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف»[2]، هذا الصلح، وإن كان الله سبحانه وتعالى قد رعاه وضمن نتائجه وجعله فتحاً قريباً، هو في حد ذاته تجربة تاريخية وانموذج واقعي للسلام يمكن الاعتبار به فيما لو أردنا أن نعقد سلاماً مع الكفار والمشركين، وقيمة هذا الصلح تكمن في أنه لم يعقده الرسول ﷺ من موقع انه ضعيف وقريش قوية، ولا من موقع الخوف على شخصه، وانما عقده بهدف هزيمة العدو معنوياً وسياسياً، وقد تحقق هذا الهدف بما أتيح من تفاوض بين المسلمين وغيرهم، خلاف ما كانت ستؤدي اليه الحرب فيما لو وقعت، وليس من الحكمة القول ان هذا الصلح كان بمثابة المعجزة ولا يصلح ان يكون انموذجاً للسلام في العصر الحديث! فهو صلح كانت له ظروفه ومرحلته لكنه دون أدنى شك انطلق من مصلحة المسلمين الذين لم يكونوا قادرين على الوصول الى اهدافهم عن طريق الحرب، والحق يقال ان الله تعالى سدد رسوله فيما أقدم على عقده مع

(١) نقلاً عن سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، دار البحوث العلمية الكويت، ص٢٢٩.
(٢) م. ع. ص. ن.

قريش، وهذا التسديد يحصل لأي انسان امن وعمل صالحاً وحكم بما انزل الله تعالى، وما يمكن ملاحظته أيضاً ان صلح الحديبية قد تضمن عدة حقائق. . .

أولاً: ان البعض ممن كانوا مع الرسول ﷺ قد اعترض على هذا الصلح ولم يرَ فيه مصلحة للاسلام والمسلمين، وتساؤل عمر يعبر عن مدى شكه في هذا الصلح، مثله مثل أغلب الذين كانوا مع الرسول (ص) واذا كان هذا الشك يدل على شيء فإنه يدل على ان أي انسان ليس بإمكانه أن يكون قادراً على القيام بمهمة تحقيق السلام، ونحن بيَّنَّا فيما سبق ان الله تعالى قد توجه بالخطاب في شأن السلم الى الرسول ﷺ لأنه من أعلم الناس بمصالح الاسلام والمسلمين، وأقدرهم على حماية العقيدة والشريعة، فإذا عقد صلحاً ما مع العدو، فهذا الصلح ينبغي أن يكون متضمناً لكافة الحقوق، ولمجموع القضايا الانسانية وإلا كان استسلاماً وانقياداً. . .

ثانياً: ان الرسول تنازل عن كتابة بعض الكلمات المقدسة، وهو يعلم بأن صلحه مع قريش لا بد أن تكون نتيجته القداسة كونه كان على معرفة تامة بأن قريش ستهزم، وهذا ما تتحدث عنه سورة الفتح، قد يقال بأن الرسول كان يوحى إليه، وصدقه الله الرؤيا، وبعد غيابه ترك الأمر للناس كي يعقدوا السلام الذي يحقق لهم ما يصبون اليه على حسب ظروفهم وأحوالهم. . !؟

قلنا: لا شك ان الرسول كان يوحى إليه ومسدداً من قبل الله تعالى، لكن ذلك لا يعني أبداً تجاهل الظروف الموجودة والواقع الموضوعي، بل كان هناك سياسة حقيقية تتعامل مع الواقع ومع الظروف، وتتحرك على ضوء معطياته، لأنه ﷺ كان يعلّم الناس ويرشدهم الى ما ينبغي أن يفعلوه في المستقبل باعتبار ان الايام واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿**وتلك الأيام نداولها**

بين الناس﴾[1] فالباطل يبقى باطلاً والحق يبقى حقاً، وما أقدم عليه الرسول من صلح مع قريش هدف الى تعليم الناس هذه الحقيقة انه يجب عليهم أن لا يدخلوا في سلام غير مضمون النتائج ويؤدي الى أهداف غير سليمة. وهو حينما يكتب لهم بأن سلم المؤمنين واحدة، ولا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم»[2] يكون قد أرشدهم الى ما ينبغي أن يقدموا عليه ويفعلوه بعد غيابه، لا ان يتفرد بعض الناس في الحرب أو في السلم، لقد جاء في شرح هذا البند من بنود الصحيفة أو دستور المدينة: ان عقد السلم مع العدو في حالة الحرب، ليس من شؤون الأفراد، وانما لا بد ان يكون من شؤون الأمة والجماعة، فلا بد ان ينشأ ذلك السلم نتيجة للتشاور على سواء وعدل بينهم»[3].

فالرسول ﷺ قادر على أن يضع الناس حيث يشاء الله، وان يدخلهم في سلام ضامن لحريتهم وكرامتهم ومركزهم، بينما غيره مما ليس له نصيب من العصمة ليس بإمكانه ان يفعل ذلك، فقط الأمة هي وحدها القادرة - في أثناء غياب المعصوم - على توقيع الصلح واجرائه، باعتبار ان الأمة تبقى مؤهلة لحماية نفسها وموقعها ودورها... فيما لو لم يكن هناك قائد امين يرعى شؤونها ويدبر أمورها...

أجل لم يكن صلح الحديبية أمراً غيبياً، لا يمكن الاستفادة منه، بل هو صلح فرضته ظروف معينة، وكانت النتيجة ان انتصر الاسلام والمسلمون، ومن هنا قد يصح القول: ان أي سلام لا يمكن إخضاعه لمنطق القوة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.
(٢) را: سيرة ابن هشام: الخطب والعهود في المدينة، مؤسسة الرسالة، الكويت، ط١٠، ص١٢٢.
(٣) م. ع. ص١٢٣.

والضعف، فإذا لم يكن ضامناً لحرية الانسان ولكرامته فلا يمكن الدخول فيه سواء أكنا أقوياء أم ضعفاء، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**﴾(١) ، فهو لم يقل إن كنتم أقوياء أو ضعفاء، أو مسلمين، وانما قال: إن كنتم مؤمنين، ومثلما بيَّنا سابقاً ان حقيقة السلام كحقيقة الإيمان لا يمكن اخضاعه للقوة أو للضعف الماديين، لكن الحاصل اليوم هو ان الناس إذا كانوا ضعفاء يقبلون الاستسلام خلاف ما تفرضه حقيقة الإيمان، وإذا كانوا أقوياء يمارسون الطغيان خلاف ما تفرضه حقيقة الإيمان أيضاً، فالصلح ـ أي السلام ـ لا ينطلق من القوة والضعف، وانما ينطلق من أن المؤمن لا يهن ولا يحزن سواء أكان قوياً أو ضعيفاً، قال تعالى ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**﴾(٢) وهو تعالى حينما يأمر بالاستعداد، كما في قوله تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾ فذلك لأجل أن تبقى لهم العزة، وعدم وجود القوة المادية لا يستلزم أبداً الذل والإهانة، فهذا الامام الحسين عليه السلام رغم ضعف قوته المادية بقيت له العزة والكرامة، كما في قوله عليه السلام «هيهات منَّا الذلة». والحق يقال: ان الدافع الى صلح الحديبية (مثلما انه لم يكن أمراً غيبياً فقط)، لم يكن الضعف المادي، وانما كان الدافع اليه هو الايمان بمعنى ان الحرب لن تؤدي الى الدخول في الاسلام أفواجاً كما حصل بعد عقد الصلح، وإلا لو كان الدافع الى هذا الصلح انعدام القوة المادية، لكان ينبغي على الامام الحسين عليه السلام ان يعقد مثل هذا الصلح مع يزيد بن معاوية لأنه كان ضعيفاً من حيث القوة المادية والبشرية أيضاً . إن الدافع الى السلام في اية مرحلة، ومهما كانت

---

(١) سورة آل عمران، الآية١٣٩ .

(٢) سورة المنافقون، الآية٨.

الظروف لا يجب أن يكون القوة أو الضعف، وانما الإيمان وحده هو الذي يقرر معنى السلام ويحدد شروطه، الإيمان بمعنى ان قوة الروح والإرادة لا يمكن ان تكسر فيما لو تعرضت للعدوان، وبما ان الإيمان هو الذي يحدد طبيعة الحركة نحو العلو، فكذلك هو الذي يحدد طبيعة الحركة نحو السلام، بحيث لا يكون استسلاماً كما هو الحال عند العرب ولا طغياناً عما هو الحال عند الغرب واسرائيل، فالأنظمة العربية الساعية إلى تطبيع العلاقات مع اسرائيل تبنت الخطاب المقدس على الرغم من أنه ليس لها، وادخلت نفسها، وتريد أن تدخل الأمة معها في سلام هو في حقيقته استسلام، وهي فعلت ذلك من موقع ضعفها وليس من موقع ايمانها، لأن الإيمان ينهى عن ذلك، وهم ليسوا الأعلى لأنهم ليسوا بمؤمنين وهم في خوف وحزن لأنهم كذلك . والحل انما يكون بالسماح للأمة بأن تحدد طبيعة المرحلة والحركة معاً ولها كامل الحق في أن تختار طريق الحرب أو طريق السلام، وصلح الحديبية يرشدنا الى هذه الحقيقة، ويبعث فينا الاطمئنان بأن الأنظمة ليست مؤهلة لعقد الصلح مع العدو، وبأنها ستدفع ثمن فعلتها ذلاً وهواناً، إسلالاً واغلالاً . . . ان قوة الإيمان كانت سبباً في صلح الحديبية، وسبباً لثورة كربلاء، وبما ان الأنظمة القائمة اليوم قد تصدت لما هو ليس من شأنها، فقد جاءت النتيجة ليس تنازلاً عن الكلمات المقدسة وحسب، بل عن الوجود المقدس، وعن الكرامة والحرية بإقدامها على الدخول في سلام قوامه الأمن الاسرائيلي فقط . . !؟

من النماذج السلمية البارزة في التاريخ الاسلامي، ان سكان ثقيف لم يرضخوا للإسلام وكانوا معروفين بين العرب بالتمرد والعصيان، يقول الشيخ جعفر السبحاني: ان ثقيف لم يرضخوا للإسلام بأي ثمن، والرسول

الأكرم ﷺ لم يستطع ان ينفد الى المنطقة بعد محاصرتها، ولكن في النهاية رضخوا وقبلوا أن يصالحوا الرسول ﷺ ويقبلوا الاسلام بشروط، وحضروا أمام النبي ﷺ وذكروا بأن أهل الطائف مستعدون لتقبل الاسلام بشروط يشترطونها وهي:

١ ـ الإبقاء على بيت الاصنام في الطائف لثلاث سنوات، ولا يُمنع النساء من العبادة فيه.

٢ ـ يعفى سكان الطائف من الصلاة.

٣ ـ أن يكون الربا حلالاً لهم.

٤ ـ ان يكون الفحشاء رسمياً لديهم.

لا شك ان الرسول لم يقبل مثل هذا الصلح، وذكر لهم حول كل شرط من الشروط أمراً وهي مذكورة في تاريخ الاسلام يمكن أن تراجع في مواضعها»(١).

غاية القول: ان الحوار من أجل ترتيب الصلح يطلبه الاسلام ويشجع عليه مع أي كان إلا انه لا يمكن ان يعقد أي صلح إذا كان مخالفاً للإسلام، فسكان ثقيف لم تقبل شروطهم لأنها مخالفة للإسلام، وبما ان شروطهم لم تقبل فإن الحصار استمر حتى قبلوا ما يريده الرسول ﷺ انطلاقاً من قاعدة: «ان الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرَّم حلالاً أو حلَّل حراماً»(٢) هذا الحديث رغم انه عن الصلح بين المسلمين، ولكن حكمه لا يختص بالصلح بينهم، إذ ان حقيقة الجهاد بوجهيه هو لحفظ الاسلام وإذا

---

(١) جعفر سبحاني، عقائدنا القرآنية، دار الروضة، ط١، ١٩٩٣، ص٢٦١.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٣، كتاب الصلح باب ٣ حديث١، ص١٦٤.

كان حكم الاسلام يسحق عن طريق الصلح فإنه سيكون نقضاً للهدف».

وكما نلاحظ جميعاً ان الصلح التي تريده ثقيف هو صلح يحرِّم الحلال ويحلل الحرام، ومهما كان المسلمون ضعفاء في القوة المادية في ذلك الوقت، فإنهم لم يقبلوا بهذه الشروط، وعالمنا اليوم العربي والاسلامي تفرض عليه من قبل اسرائيل وأعوانها نفس الشروط، إن لم تكن أقسى منها، فإذا كنا نصلي يومياً على محمد وآل محمد آلاف المرات فهل بوسعنا أن نقبل بهذه الشروط؟ واذا قبلنا بها هل يكون لصلاتنا أي معنى؟ هل نكون مسلمين مؤمنين؟!

إن على العرب والمسلمين ان يستفيدوا من التجارب التاريخية اليوم في سلمهم وفي حربهم لأنهم فيما يقدمون عليه اليوم من قبول شروط السلام الإسرائيلي، يمكنون العدو من سحق حكم الاسلام عن طريق هذا الصلح لأنه يحلل الحرام ويحرِّم الحلال. وما الله بغافل عما تعملون.

يقول الإمام علي عليه السلام: « ... وأن ما احدث الناس لا يحل لكم شيئاً مما حرم عليكم. ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرّم الله ... ومَن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة واتاه التقصير من امامه حتى يعرف ما انكر وينكر ما عرف، وانما الناس رجلان متبع شرعة ومبتدعُ بدعة»[1].

الكتاب بين المسلمين واليهود في المدينة:

من النماذج السلمية في التاريخ أيضاً ما كتبه الرسول(ص) بين المهاجرين والأنصار، كتاباً وادع فيه اليهود وعاهدهم واقرهم على دينهم

(١) نهج البلاغة، الخطبة، ١٧٦.

واموالهم وشرط لهم واشترط عليهم .

بسم الله الرحمٰن هذا كتاب من محمد النّبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، انهم امة واحدة من دون الناس . . . إلى أن قال: «وإن يهود بني عوف امة من المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم ، وانفسهم إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه واهل بيته . . .»[1] .

وقد روى الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه ١٣٨١ عن علي بن ابراهيم بن هاشم»[2] .

قال: « . . . وجاءته اليهود (قريضة ، والنضير ، وقينقاع» فقالوا: يا محمد إلى ما تدعو؟

فقالوا له: قد سمعنا ما تقول ، وقد جئناك لنطلب منك الهدنة ، على أن لا نكون لك ولا عليك ، ولا نعين عليك احداً ، ولا نتعرض لأحد من اصحابك ، ولا تتعرض لنا ولا لأحد من اصحابنا ، حتى ننظر إلى ما يصير امرك وامر قومك» .

فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك وكتب بينهم كتاباً ألا يعينوا على رسول الله ﷺ ولا على احد من اصحابه ، بلسان ولا يد ، ولا بسلاح ، ولا بكراع ، في السر والعلانية ولا بليل ، ولا نهار ، الله بذلك عليهم شهيد ، فإن فعلوا فرسول الله ﷺ في حل من سفك دمائهم وسبي

(١) را: سيرة ابن هشام . م . ع . ص ١٢٥ .
(٢) كمال الدين وتمام النعمة ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١ ١٩٩١ ص١١٤ . وقا: مع المجلسي في بحار الأنوار ج١٩ ، ص١١١ .

ذراريهم ونسائهم ، واخذ اموالهم ، وكتب لكل قبيلة منهم كتاباً على حدة»[1] .

يقول الشيخ الصدوق: «ويبدو إنْ هذا الاتصال بين الجماعة اليهودية في المدينة وبين النبي ﷺ كان أول اتصال بين المسلمين واليهود على مستوى العقد السياسي في المجتمع الإسلامي الجديد ، الأسابيع أو الأشهر الأولى من هجرة النبي ﷺ وقبل معركة (بدر) ، وقد مهد هذا الإتصال للمرحلة التالية التي وقعت فيها الصحيفة ، وادخلت اليهود في المجتمع الإسلامي وادمجتهم في تركيبه ، ووضعت عليهم مسؤوليات سياسية واجتماعية ودفاعية . . هذا الحوار السلمي بين المسلمين واليهود ادى إلى تشكيل المجتمع السياسي الواحد ، وهم يشكلون امة بالمعنى السياسي ، باعتبار أن الأمة بالمعنى العقيدي قادرة على التشكل في مجتمع سياسي متنوع منها ومن امة اخرى قائمة على اساس عقيدي ، أو عرقي أو غيرهما ويكون المجتمع السياسي بكل تنوعاته خاضعاً لنظام حكم واحد ، ولنظام قانوني واحد يحكم الجميع ، إذ لا تلازم بين مفاهيم وحدة الأمة (بالمعنى العقيدي) ووحدة المجتمع السياسي ، ووحدة الدولة . . . ولكن في اطار وحدة الأمة يمكن أن يتعدد المجتمع السياسي ، ويمكن أن تتعدد الدولة حسب تعدد المجتمع السياسي داخل الأمة الواحدة بالمعنى العقيدي . . .»[2] .

وقوله: «لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم» يظهر عنصر التنوع في المجتمع ، فيكون امة واحدة بالمعنى السياسي ، متنوعة الانتماء الديني ،

---

(١) م . س . ص٢٨٦ . م ، ع . ص . ن .
(٢) م . س . ص . ن.

لأنها تتشكل من امتين بالمعنى العقيدي .

لقد اجابهم الرسول ﷺ إلى دعوتهم واتفق معهم على أن يكونوا في حماية الدولة وتابعين لها: «كما في قوله ﷺ: إن مَن تبعنا من يهود ، فاعتبر اليهود تابعين للمسلمين في هذا التعاقد» ، وهم (تابعون) باعتبارين: الأول أن الأساس التشريعي ـ القانوني للمجتمع السياسي الجديد هو الإسلام ، الثاني: إن مبادرة تأسيس المجتمع قام بها المسلمون فهم يمثلون الطرف الأول . فالتبعية هنا بمعنى (الطرف الثاني)»[(١)] . .

ليس من المعقول ابداً أن يكون المسلمون تابعين لهم ، وهم الذين قدموا إليه يطلبون منه الهدنة وعدم التعرض لهم ، وبما أن الإسلام هو دين حوار ومحبة وسلام فقد استجاب لهم الرسول (ص) من دون أن يطلب منهم الأنصهار في الجماعة الإسلامية ، عملاً بقوله تعالى: لا اكراه في الدين» وكونهم وافقوا على الهدنة ، وعلى الدفاع عن الدولة الإسلامية ، فكان من الواجب عليهم أن يستمروا في الحوار وفي الدفاع والوفاء ، لا أن ينكثوا العهود والمواثيق ويتأمروا على الإسلام والمسلمين ، فالرسول ﷺ اعطاهم الأمان واعتبرهم مواطنين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم باعتبارهم امة واحدة من دون الناس ، فالإسلام والمسلمون لم يكرهوا اليهود على الدخول في الإسلام ، من منطلق ان الإسلام يقبل التنوع ، وهذا ما تحدث عنه جورج قرم في كتابه تعدد الأديان حيث قال: «وبخلاف الديانتين التوحيديتين اليهودية والمسيحية ، وخلافاً لرأي شائع ذائع يجزم القرآن بواضح العبارة بأن التعددية الدينية (التنوع) هي من مشيئة الله كما في قوله تعالى؟ **﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم امة**

---

(١) م . ع . ص . ن .

واحدة ولكن ليبلوكم في ما اتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[1] وقال تعالى: وتعاونوا على البر والتقوى فلو لم يكن هناك تنوع لما قال تعاونوا ، فقوله هذا دليل على التنوع ولكن قرم يخطىء كثيراً حينما يقول بأن الإسلام سوف يقبل بالتعددية الدينية تارة بطيبة خاطر ، وطوراً على مضض ، فقوله على مضض لا قيمة له ما دام القرآن قد اعترف بالتنوع الديني وإذا كان بعض الناس يعملون لإلغاء هذا التنوع بحيث يصبح الناس امة واحدة وعلى شريعة واحدة ، فهذا لا يعني أن الله تعالى هو الذي يدعو إلى ذلك لأن التنوع لا ينافي التوحيد واصول الايمان ، فالله سبحانه وتعالى لم يتعبد عباده إلا لدين واحد وهو الإسلام له إلا أنه سلك بهم لنيل ذلك مسالك مختلفة وسن لهم سنناً متنوعة على حسب اختلاف استعداداتهم وتنوعها وهي شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ ، يقول العلامة الطباطبائي في معنى الآية **﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً . . .﴾** ، جعلاً تشريعاً ـ والله اعلم ـ ولو شاء الله لأخذكم امة واحدة وشرع لكم شريعة واحدة ، ولكن جعل لكم شرائع مختلفة ليمتعنكم فيما اتاكم من النعم المختلفة ، واختلاف النعم كان يستدعي اختلاف الامتحان الذي هو عنوان التكاليف والأحكام المجعولة فلا محالة القى الإختلاف بين الشرائع[2] ، وهذه الأمم المختلفة هي أمم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وعليهم ، كما يدل عليه ما يمتن الله به على هذه الأمة بقوله **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى﴾**[3] ، لا شكَّ أن المسيحيين واليهود وكل

(١) سورة المائدة ، آية : ٤٨ .
(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص٣٦١.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١٣ .

اصحاب الديانات السابقة على الإسلام ، كلهم قد اخبروا من خلال كتبهم بأن الرسول محمد(ص) سيأتي ، وامروا بأن يكونوا من انصاره ، فإذا امتنعوا عن ذلك ولم يعترفوا به رغم ما بينته لهم رسالات السماء ، فلا يحملوا على ذلك بالقوة ، ويعود قرم ليسدد قوله: «بأنه في جميع الأحوال جميعاً لن ينوب الإسلام من المسيحية المنتصرة في اوروبا سوى الطرد والنفي مع انه سمح لها بالبقاء في الأمصار التي كانت تحت سلطانه ، وفي الشرق الأوسط العربي ما تزال توجد إلى اليوم اقليات مسيحية واسعة . . .»[1] .

ومن الحقائق التي يجب ان تذكر هنا قبل الشروع في تبيان معنى السلام . هي ان اليهودية الحقة بشرت بالنبي محمد ﷺ[2]، لكن اليهود الذين اعتبروا انفسهم شعباً مختاراً حرفوها وحالوا دون تواصلها مع رسالة الاسلام واعتبروها ديانة خاتمة وحصرية وخاصة بهم ، وكما يقول قرم: «والواقع ان الطائفة اليهودية ما كانت تستطيع ان تنقل عهد الله إلى الأمم جميعاً وان تتم على هذا النحو دعوتها الكونية فعلاً إلا إذا تحررت أولاً من جميع سمات الجماعة البدائية الحصرية التي كانت لا تزال تتشبث بها ، وإلا إذا تم هذا التحرر ثانياً ضمن الإطر الإجتماعية ـ السياسية للجماعة الموسعة والمتطورة ، غير ان اليهودية برفضها هذا الامتياز تركت الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام توسع المسيحية ثم انتصارها على الصعيد الديني ، علاوة على انها ظلت على الصعيد السياسي عاجزة عن التطور والتقدم إلى

(١) جورج قرم ، تعدد الأديان وانظمة الحكم ، دار النهار ، ط٢ ١٩٩٢ . ص١٩ .

(٢) را: خبر يوسف اليهودي بالنبي ﷺ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة ، م . س . ص١٨٩ .

الأمام[1] .

ان النزعات الحصرية التي تميزت بها الديانتان السابقتان على الاسلام منعت الجماعات اليهودية والمسيحية من ان يتلاقوا على كثيرٍ من الأشياء، فتاريخهما لم يعرف السلام قبل الإسلام وبعده؛ وذلك بسبب عدم اعتراف اليهودية بالمسيحية أولاً، وبسبب العداء للسيد المسيح عليه السلام الذي تآمر عليه اليهود وصلبوه كما تزعم الأناجيل، هذا الصراع في التاريخ بينهما أخذ أوجهاً عدة، وجوهره هو ان اليهود لم يعترفوا بأحد إطلاقاً خلاف المسيحية التي بررت نفسها من خلال العهدين القديم والجديد، وقد استمر هذا الصراع بعد الاسلام ليأخذ منحى آخر وهو عدم اعترافهما معاً بالقرآن، وفي جميع الأحوال لا يسع الباحث الموضوعي إلا أن يعترف بأن المسيحية يمكن أن تسمع للآخرين، بينما اليهودية فلا، وهذا ما يمكن ملاحظته من تاريخ النصارى الذين صدعوا للنبي ﷺ دون أي لأي، لكن العنوان العام هو ان الديانتان لم تعترفا بالإسلام بأنه اخر الأديان وبأنه الحافظ والمصدق لما بين يديه من الكتاب ومكملاً للتوراة والإنجيل ، فالمسيحيون ينقلون عن المسيح قوله: من ليس معنا ، فهو علينا» وبأنه قال لهم اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا ، جميع ما اوصيتكم به»[2] . . .

إذن اليهود قبلوا بما شرطه عليهم الرسول ﷺ وقبل ما شرطوه أيضاً من ان لا يتعرض لهم اصحاب النبي ، لكنهم نكثوا الوعود والعهود مما ادى إلى أن يكون الرسول في حل من سفك دمائهم وسبي ذراريهم كما في

---

(١) را: قرم، جورج، م. س. ص٧٠.
(٢) انجيل متى ـ صحاح ٢٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ .

الكتاب الذي كتبه بينهم الرسول ﷺ. «لقد كان من الممكن لهذه التجربة أن تستمر وتنمو لولا ان اليهود أفسدوها وقضوا عليها بتآمرهم مع المشركين والمنافقين في مكة وكانت النتيجة طردهم من المدينة والقضاء على كل مساعيهم للإفساد في المجتمع الاسلامي.

إن الاسلام ، كما يقول الفقهاء ، هو دين حوار وسلام ولا يوجد فيه ما يقدس الحرب إلا إذا كانت في سبيل الله ، والدليل على ذلك هو تسامحه مع جميع الديانات واعترافه بها جميعاً خلاف الرسالات الموجودة اليوم والتي مسحت بالقداسة ودعت إلى عدم الإعتراف بالاسلام إضافة الى ما أشاعوه عنه من أنه دين الحرب والعدوان والفروض المقدسة!؟

وإذا كان انكماش اليهودية وحصريتها قد ادى إلى توسع المسيحية وانتصارها ، وإذا كانت المسيحية قد حصرت نفسها واعتبرت الانجيل اخر الكتب التي يجب أن تعلم ، كما في انجيل مرقس ومتى: اذهبوا إلى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها» فإن الإسلام كدين كامل على الصعيد النظري لم يتوسع على حساب احد ، لأنه ارسل لكل الناس ، واعترف بما سبقه من الأديان ، فضلاً عن انه دين لا يعرف الحصرية ، وليس من صميم دعوته ابداً انكار الديانات الأخرى أو الغائها ، باعتبار انه مكمل لها ومهيمن عليها . فاليهود لم يعرفوا الإسلام جيداً وهم انكروا على نبيهم ، وهو معهم وبين ظهرانيهم ، فكيف لا ينكرون على النبي محمد ﷺ والحق يقال إن نبيهم لم يتمكن من مسالمتهم رغم كل ما حققه اقامه لهم من معجزات ، فكيف يتمكن الرسول محمد ﷺ من الاطمئنان إليهم ومسالمتهم . انهم قوم باءوا بغضب الله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون إضافة إلى قتلهم الأنبياء بغير حق . . . !؟

فإذا كان الأنبياء قد عجزوا عن هداية هؤلاء إلىٰ طريق السلام ، فكيف يقدر زعماء العرب اليوم ان يعطوهم الأمن والسلام ، بعد أن سُلبوا كل ذلك من قبل الله تعالى . . . !؟

النبي ﷺ قال لهم لكم دينكم وللمسلمين دينهم ، وانكم احرار في عبادتكم ولم يكرهوا على شيء اطلاقاً ، فإذا كان السلم بينهم وبين المسلمين على أساس أن لهم الحق في أن يمارسوا عباداتهم كما يشاؤون وان يتحملوا مسؤولياتهم السياسية والاجتماعية والدفاعية اتجاه الدولة الاسلامية، ورغم كل ذلك هم نكثوا وأفسدوا؛ فكيف لو كان هذا السلام قائماً على أساس أن يصهر هؤلاء بحيث يكونوا والمسلمين امة واحدة بالمعنى العقيدي؟

لا شك ان النتيجة ستكون واحدة سواء تركوا على ما هم عليه أو اجبروا على ان يتخلوا عن دينهم ، مما يعني أن هؤلاء لا دين لهم وإن كان لهم ثمة دين ، فهو الظلم والنكث والتآمر والعدوان والسيطرة إضافة إلى الإفساد في الأرض ، وها نحن اليوم قد وصلنا إلى التجربة ذاتها ، فهم جاءوا من اقاصي الدنيا كي يقتلونا في ارضنا وكي يسلبوا خيراتنا ونحن نقدم لهم كامل العون والمساعدة ظناً منا بأن هؤلاء يمكن أن يقبلوا بشروط السلام الحقيقي . رغم أن هذا السلام لا سبيل إليه إلا بعودة هؤلاء إلى حيث كانوا ، وبما انهم مصرون على البقاء في فلسطين ، فإن السلام معهم لن يكون ممكناً وإن كان بعض العرب والمسلمين يظنون خيراً في التعامل معهم والاعتراف بهم . !؟

لقد بينت النصوص المقدسة وكذلك التاريخية ما كان عليه اليهود مع

نبيهم ﷺ ، ومن ثم مع النبي محمد ﷺ ، كانوا في جميع حالاتهم لا يتوانون عن رمي الفتن بين الناس ، وعن الإفساد في الأرض ، والحق يقال ان مَن لا يعرف السلام مع الله فكيف يعرفه مع البشر ؟ فاليهود ليسوا على شيء اليوم حتى يتم الاتفاق معهم ، وهم لا يزالون في حالة حرب مع المسيحين والمسلمين ومقاربتهم تحت شعار السلام ما هي إلا محاولة خبيثة لإفساد الحياة على الناس جميعاً . . قال تعالى: **﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم. . . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ، ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾**[1] .

إن شعباً دأب على فعل المنكر وخان العهود والمواثيق وحرف الكلم عن مواضعه ، لا يمكن مسالمته ، لا لأن الناس يريدون ذلك ، بل لأن الله يريد ذلك ، حتى يكون الدين كله لله فالإنسان الموحد لله تعالى سواء اكان من اهل الكتاب ، أو مسلماً . لا يسالم انساناً مشركاً ، أو وثنياً فاعلاً للمنكر باعتبار ان الله امر بلعن هؤلاء وقتلهم حيثما وجدوا .

ولهذا فإن الرسول ﷺ في المدينة لم يكن يريد الدونية لليهود ولكل من دخلوا معه في معاهدة سلام ، بل اراد لهم الكرامة والحرية والحياة ، فما يقال من أن الإسلام اراد لأهل الكتاب أن يكونوا في وضع دوني بصفتهم ذميين يؤدون الجزية ، هو في الحقيقة قول يخلو من النزاهة والدقة العلمية وبالتالي غير موضوعي ، لأنه ينم عن عدم معرفة بالكتب المقدسة التي امرت باحترام الإنسان وتكريمه شرط أنْ يكون موحداً لله ومؤمناً بما نزل على الرسل والأنبياء .

---

(١) سورة المائدة ، الآيات: ٧٨ ـ ٨٠ .

إن الديانات كلها امرت بالعمل والجهاد حتى يكون الدين كله لله ، فإذا تحقق ذلك ، فلا يبقى أي فرق بين المؤمنين سواء اكانوا من اهل الكتاب أو من المسلمين ، باعتبار أن هناك من اهل الكتاب من يعمل لذلك ايضاً، إذ أن الدعوة إلى الله لا تقتصر على المسلمين فقط وهذا ما تفهمه من عدم قبول المؤمنين من اهل الكتاب للوثنيين؛ فالاسلام مثله مثل اليهودية الحقة والمسيحية الحقة لا يطيق الوثنية ويوجب مناضلتها إلى أن تستأصل شأفتها[1] .

ليست المسألة مسألة دونية أو فوقية وانما هي مسألة توحيد وايمان وسلام بين البشر، وبما أن اهل الكتاب قد دعوا من قبل انبيائهم لاتباع الرسول ﷺ ، فذلك لأنه يمثل امتداداً للأنبياء الذين سبقوه بالدعوة إلى الله ، فلما خرج اليهود وارادوا أن يكون الدين لهم يعملون به بحسب اهوائهم ويحرفونه بما تهوى انفسهم ، كان لا بد من قتالهم من قبل جميع المؤمنين بالله تعالى ، والدونية انما تكون بتركهم يعيثون في الأرض فساداً ويهددون سلام وامن المجتمع المؤمن؛ هكذا نفهم معنى الجزية بأن يدافع اهل الكتاب عن دين الله وان يشاركوا في اصلاح الارض ومحاربة الفساد ، وهذا ما ارتضاه اهل نجران لأنفسهم بعد مباحثات مع رسول الله ﷺ وهذا ما ارتضاه اليهود لأنفسهم حين عاهدهم رسول الله ﷺ وقبلوا بأن تلقى عليهم مسؤوليات سياسة واجتماعية ، ودفاعية . . .

وهذا ما ارتضاه اكيدر حاكم دومة الجندل[2] .

---

(١) را: كتاب عبد الكريم زيدان: احكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، بغداد ١٩٦٣ .

(٢) دومة الجندل: منطقة تقع في شمال المدينة المنورة ، وتقع جغرافياً بين ارض الحجاز

وهذا ما ارتضاه الزردشتيون في البحرين حين ارسل الرسول ﷺ علاء بن الحضرمي إلى هناك كحاكم اسلامي فأخذ منهم الجزية وبقوا على دينهم . . .

إن كل نماذج الصلح، في التاريخ الإسلامي وما كتب حولها ، التي عقدها الرسول ﷺ مع هؤلاء لم يكن الهدف منها أن يكون الناس في وضع دوني بل هي نماذج سلام حقيقي نصر من خلالها دين الله تعالى ، نماذج نصت على أن يقوم الجميع بمسؤولياتهم وبالدفاع عن الدين والدولة التي تؤمن الحماية للجميع على حد سواء .

بعد كل هذا فما معنى ان ينكث اليهود العهد مع رسول الله ﷺ وان يفسدوا تلك التجربة التاريخية ، غير أن يكونوا في وضع دوني ، وعلى فقر نفسي وذل روحي يدفع بهم إلى ذلك !؟

إن المشكلة كانت ولا تزال في أن هؤلاء لا يريدون أن يكون الدين كله لله وكل مَنْ لا يريد ذلك لا يمكن السلام معه ، وإذا ما وقعت الحرب فإنها لا تكون إلا في سبيل الله ، وهذه هي الحقيقة التي تضمنتها الكتب المقدسة ، لذا فإنه من المستحيل أن يسالم هؤلاء اليوم لأنهم لعنوا على لسان الأنبياء ومن يسالمهم ، فلا بد انه يدخل في ضمير هذا اللعن . . !؟

فما يجري اليوم لا يمكن تسميته بالسلام لأنه يدخل هؤلاء الذين لعنوا إلى المجتمع الإنساني بحيث يكونوا جزءً منه ، ويدفع بالناس إلى أن

والشام ويسكنها المسيحيون ، وقد اخضع رسول الله ﷺ أهل هذه المنطقة بارسال خالد بن الوليد اليهم فدفعوا الجزية للبقاء على دينهم رسمياً . را: جامع الأصول ، ج٣ كتاب الجهاد ، حديث ١١٥٣ ، ص٢٦٤ .

يتعاملوا معهم على أساس أن لهم كرامة ، إلى قبولهم في فلسطين ، وكل هذا ليس من الدين في شيء ، ويراد منه سحق الدين تحت شعار السلام في المنطقة . . !؟

٣ ـ صلح الإمام الحسن مع معاوية :

لا شك أن صلح الإمام الحسن بن علي عليهما السلام هو أيضاً نموذج من النماذج السلمية التي حدثنا عنها التاريخ الإسلامي ، ويمكن أن نتحدث عنه باقتضاب بهدف توضيح بعض المسائل الهامة التي لا بد من توضيحها فيما لو اردنا معرفة معنى السلام الحقيقي سواء اكان هذا السلام معقوداً مع الأعداء في الخارج ، أو مع المنافقين في الداخل ، فالسلام يمكن أن يتنوع لكن تبقى اهدافه واحدة وهي الإصلاح في الناس وقد يكون هذا السلام اكثر ضرورة في الداخل لأن الافساد الذي قد ينشأ عن الصراع الداخلي ، يفوق الإفساد الذي قد ينشأ من الصراع مع العدو في الخارج . باعتبار أن العدو في الخارج يستغل الصراع الداخلي في حربه ليزيد من تحكماته ومن ضغوطه على الناس كي يتنازلوا عن حقوقهم ، فإذا كان السلام الداخلي محققاً وموجوداً ، فإن ذلك من شأنه أن يزيد قوة المجتمع في مواجهته للعدو ويحول بينه وبين ان يستمر في عدوانه . وفي جميع الأحوال يبقى العدو عاجزاً عن النيل من المجتمع الموّحد حتى ولو كان هذا المجتمع ضعيفاً في قوته المادية ، ويمكن أن نمثل على ذلك بما نشهده في العصر الحديث فيما يعود إلى الصراع العربي الإسرائيلي ، فنقول: لو أن العرب موحدون في مواجهة اسرائيل لما تمكنت هذه الأخيرة من احتلال ارضهم مهما بلغت قوتها المادية ، ولكن الذي حصل هو أن اسرائيل استغلت التجزئة الداخلية وانعدام السلم الأهلي وقامت بعدوانها على العرب والمسلمين ، مما يعني

انه لا بد من تحقيق السلم الأهلي أولاً وقبل كل شيء لأهميته ولما يعكسه هذا السلم من قوة في المواجهة مع العدو .

إذن السلم الأهلي يجب أن يعطى الأولوية ، لأنه لا يمكن لأمة متحاربة فيما بينها أن تحقق أي انتصار في الخارج ، بل لا يمكنها أن تدافع عن نفسها دفاعاً يحفظ لها حريتها وكرامتها وسيادتها ، وهذا ما ستتعرف عليه من خلال صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية الذي طلب السلام من الإمام عليه السلام على أساس أن يكون هو صاحب الملك ، وكان الإمام الحسن عليه السلام قادراً على رفض هذا الشرط الذي شرطه معاوية ، ومستعداً لخوض الحرب معه حتى النهاية لو علم بأن الناس يمكن ان يستجيبوا له فيما لو دعاهم إلى الحرب ، وبما أن الناس لم يكونوا مستعدين للحرب واثرت فيهم دعايات معاوية ودعوته إلى الصلح ، فلم ير الإمام بداً من الاستجابة لهذا الصلح بالشروط التي تحفظ للأمة كرامتها وهيبتها ووحدتها . . .

وهنا لا بد من ذكر الملاحظات التالية : هل ان هدف معاوية في طلب الصلح كان مغايراً لهدف الإمام الخسن عليه السلام منه ؟ فالأول ـ أي معاوية سعى إلى تكريس سلطانه من خلال هذا الصلح ، بينما الإمام الحسن عليه السلام سعى لحفظ وحدة الأمة وكرامتها من خلاله ، وكان ذلك بالنسبة للإمام الحسن عليه السلام اهون الشرين ، فبين ان يختار الحرب مع عدد قليل من الناس الذي بقيوا معه ، ويضحي بهم من دون الوصول إلى نتائج مهمة ، وبين أن يقبل بالصلح الذي يُعطي معاوية الملك في مقابل ما يُعطي الأمة من تأمل وصبر على المكاره حتى تصل بنفسها الى اكتشاف امر معاوية في دعوته إلى هذا الصلح ، فبين الحرب والصلح كان لا بد أن يختار الصلح وهو اهون الشرين لأن معاوية «كان في توفره على تنفيذ هذه الخطة ، أعنف منه في

عمله لتنظيم المعسكرات وتدبير شؤون الحرب ، ورأى أن يبادىء الحسن بطلب الصلح ، فإن اجيب إليه فذاك ، وإلا فلينتزعه انتزاعاً . «إن الإمام الحسن(ع) ما اجاب إلى السلام إلا مكرهاً مرغماً وانه علم انه لو لم يصالح لسلموه إلى معاوية ولكانت المفسدة اعظم فاختار أقل الضررين واهون المفسدتين وعمل بما عهد إليه أبوه عن جده ﷺ وإن صلحه هذا لا يجعل لمعاوية عذراً ولا يدفع عنه وزراً بل يزيده ذماً واثماً ، فلذلك اجاب الإمام عليه السلام إلى الصلح مكرهاً واشترط لنفسه شروطاً كثيرة كان الوفاء بها مصالح شاملة»[1] . كما أنه لم يلبِّ طلب معاوية للصلح ، إلا ليركسه في شروط لا يسع رجلاً كمعاوية إلا أن يجهر في غده القريب بنقضها شرطاً شرطاً ثم لا يسع الناس ـ إذا هو فعل ذلك إلا أن يجاهدوه السخط والإنكار ، فإذا بالصلح نواة السخط الممتد مع الأجيال ، وإذا بهذا السخط نواة الثورات التي تعاونت على تصفية السيطرة الاغتصابية في التاريخ»[2] .

إذن الإسلام ليس ضد الصلح باعتباره دين السلام والأمان . «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها . . . » وبما أنه ليس ضد الصلح فليس أي صلح إلا أن يكون صادقاً وضامناً لحرية وكرامة الناس كل الناس ، ان يكون صلاحاً باعتبار انه غالباً ما يطلق على الإفساد في العباد والبلاد اسم الصلح أو السلام كما يحصل اليوم بين العرب واسرائيل ؟ فهناك من يعتقد بأن السلام مع اسرائيل له اهدافه ونتائجه ويحقيق الأمن والازدهار ويلغي حالة الحرب إلى الأبد ! وهو في الحقيقة ـ ليس إلا افساداً في الأرض واهلاكاً للحرث والنسل. . . إن الإسلام مع الصلح ، لكن كيف وأين ومع من؟ كلها أسئلة لا

(١) المجالس السنية ، دار التعارف ، ط٢ ، ١٩٩٢ ، ج٢ ، ص٢٦١ .
(٢) صلح الحسن ، مؤسسة النعمان ، ١٩٩١ ، ص٢٥٠ .

بد من الإجابة عليها قبل الشروع في أي صلح وكما قلنا سابقاً ان قوة العدو المادية لا يجب أن تحمل المؤمنين على قبول السلم معه إلا إذا كان من شأن هذا السلام أن يركس العدو في شروط تمكن الناس من حفظ وجودهم وكرامتهم وسيادتهم على أرضهم ، اما أن يقبل السلام تحت ضغط القوة فذلك مما يجعل من السلام استسلاماً وذلاً وهواناً ، واهل التاريخ يعرفون تماماً أنه على الرغم مما تضمنه الصلح مع معاوية من شروط لصالح الأمة ، فقد ثبت لهم أيضاً بأن ثورة الحسين في كربلاء كانت جزءاً من هذا الصلح ، فالسلام لكي يكون سلاماً حقيقياً لا بد أن يلحظ مصلحة الأمة وأن يحقق لها ما تسعى إليه ، والقوة والغلبة ـ كما قيل ـ لا تجعل غير الجائز جائزاً ، ولا الحرام حلالاً ولا الحلال حراماً ، فالحرام يبقى حراماً سواء كانت الأمة ضعيفة أم قوية ، وهكذا يجب أن نفهم السلام مع اسرائيل بأنه حرام لا تحلله قوة اسرائيل ولا ضعف العرب والمسلمين. . . إن السلام مع اسرائيل قد يعطي فرصة للناس كي يقبلوا بها كدولة في فلسطين ، وهذه معصية محرمة شرعاً».

ما نهدف إلى بيانه هنا . ومن خلال هذا النصّ هو أن صلح الحسن عليه السلام سبقته حروباً ضارية مع الإمام علي عليه السلام بدأت في سنة ٣٥ هجرية ولم تنته في سنة الأربعين ، ولما تثاقل الناس وجد الإمام نفسه مضطراً بل مرغماً على قبول الصلح مع معاوية لأن جيشه كتبت عليه الهزيمة قبل أن يلاقي العدو بسبب التيارات المتعددة التي كانت تتجاذبه . . .

وهنا لا بد من طرح السؤال التالي! هل العرب كانوا في حالة حرب مع اسرائيل طيلة السنين الماضية ، وقد انهكتهم الحروب كي يتثاقلوا ويدخلوا في سلام مع اسرائيل من دون شروط ولا اهداف؟

يقول الخبراء إن أي صلح لا بد أن تسبقه حرب حقيقية قد يضطر معها المغلوب إلى تلبية شروط الغالب وإلى التنازل عن بعض شروطه وإذا حصل سلم من دون حرب ، فذلك انما يكون حينما يتأكد كل طرف من أن قوة الآخر تمنعه من تحقيق ادنى انتصار. . . هذه القوة المتقابلة تحمل جميع الأطراف على أن يعقدوا صلحاً بينهم يكون بمثابة الهدنة وهذا ما لا ينطبق على العرب لأنهم اصحاب حق ، كما انهم لم يعدوا العدة للحرب ، ولم يتوحدوا من اجل حماية وجودهم واسترداد حقوقهم، فالسلام الذي يعمل له الأن ليس بسبب قوة العدو ، أو الهزيمة في الحرب لأنهم لم يكونوا ـ أي العرب ـ في حرب حقيقية ، ولا سببه قوة الإيمان عند العرب والمسلمين ، بل هو ينطلق ويسعى إليه من ضعف داخلي سببه العرب لأنفسهم مما ادى بهم إلى أن يقبلوا سلاماً من دون شروط ولا اهداف!

إن قريش ـ كما بينا ـ كانت تخشى النبي محمد ﷺ ، ومعاوية كان يخشى الإمام الحسن ، على الرغم من أن قريش كانت قوية ، واليهود في المدينة أيضاً كانوا اقوياء، ومعاوية في الشام بالمال والرجال أيضاً كان قوياً ورغم هذه القوة كانت الخشية من المؤمنين؛ لأن الإيمان كان فاعلاً ومؤثراً ودافعاً بالأعداء إلى قبول السلام مع المؤمنين بشروطهم وليس بشروط الأعداء .

فالسؤال هو لماذا وصل العرب والمسلمون إلى هذا الضعف الذي حملهم على أن يقبلوا السلام بشروط اعدائهم ؟

ولماذا وصلت اسرائيل إلى مرحلة تيقنت فيها أن العرب لا يحسب لهم أي حساب . فضلاً عن معرفتها المسبقة بأن العرب والمسلمين لن

يتمكنوا من اعلان الحرب عليها إضافة إلى معرفتها بأنهم لم ولن يتوحدوا في الحرب ضدها؟

إسرائيل كانت ولا تزال في حالة حرب مع العرب والمسلمين ، بينما هم لم يكونوا في حالة حرب معها حقيقية ، لأن كل دولة تعمل بمفردها وتسعى إلى أن تكون متفردة بقرارها حتى وصل الأمر بهم إلى أن يستيقظوا على دوي الطائرات وهي تقصف المطارات الحربية في البلاد العربية يقول باتريك سيل في كتابه الأسد: «على عكس هذا التلهف الإسرائيلي إلى الحرب ، لم تكن الحكومات العربية تريد حرباً ولا كانت مستعدة لها. كان ثلث الجيش المصري في اليمن سنة ١٩٦٧ ـ في حين أن القوة المرسلة إلى سيناء حسبما اكتشف الإسرائيليون لا تملك عملياً أي دراية بالهجوم أو المناورة بل حتى الدفاع كانت معرفتها به جد قليلة . . . ولم يكن لدى مصر وسوريا والاردن المختلفة سياسياً ـ أي خطط عمليات مشتركة سواء للدفاع أو الهجوم . . »[١] .

هذا بالنسبة إلى مصر ، اما الاردن ، فهو كما قال العدو عنه لم يكن اصلاً في عداد المحاربين لاسرائيل ، يقول موشى ديان: «على الحدود مع الاردن لدينا مستوطنات مدنية ، ولكن ليس لدينا عدو ، وعلى الحدود مع مصر لدينا عدو ، ولكن ليس لدينا مستوطنات ، اما على الحدود مع سوريا ، فلدينا الإثنان معاً ، فإذا دخل السوريون إلى مستوطناتنا فستكون كارثة»[٢] .

---

(١) باتريك سيل، الأسد ، الصراع على الشرق الأوسط ، ترجمة المؤسسة العامة للدراسات والنشر ص٢٢٤ .

(٢) را: باتريك سيل ، م ، س ص٣٣٧ ، نقلاً عن حياة موشى ديان . . .

اجل إن النظام في الأردن لم ير الخطر يوماً باسرائيل ، بل رآه بالثورة الإسلامية في ايران ! ولهذا السبب فتح ميناء العقبة وافرغ مخازنه من السلاح لأجل صدام حسين ! ومما يدل على صحة ما قاله ديان ، هو أن الاردن لم يفرغ مخازنه ، ولم يفتح موانئه لدخول التموينات حينما كانت الحرب مستعرة في الجولان ، وها أنت تراه اليوم سباق في مفاوضات السلام بعد ياسر عرفات ! وما يعجب منه أيضاً أن الاردن لم يحرك ساكناً مع العراق حين كان الشاه المخلوع على الحدود الشرقية ، في حين أنه كان في جميع حركاته وسكناته معه بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران ، كيف يكون عدواً لإسرائيل ولم يترك عدواً لها إلا وحاربه مباشرة أو غير مباشرة!؟

اما العراق ، فقد وصلت السلحفاة إلى الجبهة قبل أن تصل دباباته إليها ، وقد رأيناه (لحاكم العراق(حين أراد الحرب كيف أن دباباته بين ليلة وضحاها قد وصلت إلى اعماق إيران ومن بعدها إلى اعماق الكويت!!؟ وهو في جميع الأحوال لم يدخل الحرب مع سوريا إلا بعد أن اشترط شروطاً منها : أن تطلب روسيا من إيران الشاه تخفيف ضغطها على الحدود الشرقية . فإذا كان وجود الشاه المساند لإسرائيل قد اعاق دخوله بقوة إلى جانب سوريا في الحرب ضد العدو الإسرائيلي ، فما باله حين تصبح ايران صديقة له وعدوة لإسرائيل يهاجمها!! هذا هو معنى أن تصل السلحفاة إلى الجبهة السورية قبل الدبابة العراقية . . . !!!

وما تبقى من العرب فحدث ولا حرج ، فهم وعدوا بتقديم المساعدات العسكرية والطائرات لكنها لم تصل ، لأن الطيارين والخبراء العسكريين هم في كل الأوقات خارج السجون إلا حين بدأت الحرب ضد اسرائيل فأدخلوا السجون بتهمة تدبير محاولة انقلاب ضد الحكم ، كما

يفول باتريك سيل عن حاكم المغرب الذي وعد بتقديم سرب من الطائرات للحرب ضد اسرائيل لكنه لم يصل لأن طياريه كانوا في السجون لمحاولة انقلاب ضد عاهلهم[1] ! وهذا هو معنى أن يدخل شمعون بيريز المسجد بحذائه في المغرب!!!

يبقى أن نقول بأن سوريا كانت ولا تزال وحيدة في صراعها مع العدو الإسرائيلي (في العالم العربي) وإن هذا لمما يشرف سورياالتي التزمت بقضايا الأمة واخلصت لها ، ونحن نقرأ كل يوم ما يقوله لسان حال سوريا بأن اسرائيل لن تحصل من خلال سلامها على ما عجزت عن الحصول عليه في حربها . إن سوريا الأسد تقول بأن العدو ما زال عدواً ، والصراع لم يزل وجودياً ، والخيار السلمي لن يكون كما تهوى اسرائيل وإذا كان لا بد منه فليكن كما تهوى القضية المقدسة وكرامة الإنسان وحريته وسيادته على ارضه . . وبعد كل هذا نطرح السؤال التالي: لماذا لم يتحرك العرب في زمن الحرب كما يتحركون اليوم تحت شعار عملية ما يسمى بالسلام؟ ما هي الأسباب التي دفعتهم إلى أن يتركوا سوريا وحيدة في الحرب والسلم معاً؟ والحق يقال : إن العرب لم يحاربوا يوماً ، وكذا لن يتمكنوا من السلام العادل ما داموا يساوون الرقم صفر في صراع الشرق الاوسط ، ومصر تلك البلد العظيمة كانت وستبقى عدوة لإسرائيل ، ولن نقول بحقها فالج لا تعالج . . .

اجل ان التاريخ الإسلامي حافل بالتجارب لكن العرب لم يستفيدوا منها على الرغم من أن العقل سواء اكان سياسياً أو عسكرياً هو حفظ التجارب ، فالرسول ﷺ كان في حالة حرب حقيقية ثم كان صلح

---

(١) م . ع . ص٣٤٧ .

الحديبية بعدها . وكان في حرب مع الكفار والمنافقين والمشركين وبعض اليهود وكان الصلح معهم في المدينة ، ومن ثم تجددت الحرب معهم بعد أن نكثوا العهود والمواثيق ، والإمام الحسن عليه السلام كان في حالة حرب مع معاوية ثم جاء الصلح بعدها استكمالاً لها ، وهناك نماذج سلمية كثيرة كلها تشير إلى ضرورة أن تكون الحرب الحقيقية سابقة لأي صلح مع العدو ، إلا العرب فهم يريدون سلاماً من دون حرب ، ومن دون وحدة ، ومن دون تشاور فيما بينهم ، يقول باتريك سيل: «وهكذا فبينما خطط الأسد لاستعادة الأرض كان السادات لا يأمل في اكثر من ازالة العقبات أمام عملية دبلوماسية؛ كانت حرب الاسد حرب تحرير بينما كانت حرب السادات في جوهرها حرب تحريك . . . ثم يتساءل الكاتب! لماذا لم يتضح هذا الخلاف الحساس على اهداف الحرب في الاجتماعات الكثيرة التي عقدت قبل الحرب؟ إن تفسير ذلك هو أن السادات قد كذب على الأسد وتعمد خداعه حول نواياه واستدرجه إلى الاعتقاد بأن الهجوم الذي ستشنه مصر سيكون اوسع نطاقاً مما كان ينويه فعلاً ولم يكن الخداع مجرد سوء تفاهم كلامي شفوي ، بل لقد تلقى السوريون بالفعل خطط حرب مزورة . . .»[1] .

هذا شكل من اشكال الحرب العربية مع اسرائيل ، واليوم يبرز شكل من اشكال السلام الذي لا يختلف من حيث الجوهر عن شكل الحرب؛ بمعنى أن حرب العرب ادت إلى هزائم بالجملة وسلامهم ستكون نتيجته هزائم بالجملة أيضاً، لأن من ينتصر في الحرب لا يمكن أن يقبل بالهزيمة في السلام كاسرائيل التي دخلت في السلام مع العرب لأجل الوصول إلى اهداف

---

(١) م . ع . ص ٢١٦ .

عجزت عن الوصول إليها في زمن الحروب التي شنتها على العرب . . !؟

إن صلحاً يُفسد ما تبقى من هذا العالم العربي والإسلامي ، وليس فيه من الاصلاح شيء للعرب والمسلمين لا يمكن الدخول فيه ، كونه يضمن لاسرائيل وجودها ويوفر لها الأمن والسلام الذي من شأنه أن ينعكس فساداً وحروباً داخلية في بلاد العرب والمسلمين . . .

فإذا كان سلام الرسول ﷺ قد ادى إلى دخول الناس في الإسلام افواجاً وإذا كانت حربه مع اليهود والمنافقين والمشركين قد ادت إلى حماية الدولة الإسلامية ، وإذا كان صلح الحسن قد ادى إلى ثورة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ، وإلى زعزعة النظام الأموي ، فإن صلح العرب والمسلمين لن يؤدي إلا إلى ـ في ظل هيمنة اليهود على المنطقة ـ تغيير معالم هذا العالم ، وإلى تعريض الوجود الإسلامي للخطر ، وقد يؤدي أيضاً إلى أن يخرج المسلمون من الاسلام افواجاً بتبنيهم (بسبب الدعاية الإسرائيلية والهيمنه الإقتصادية والثقافية) اطروحات لا تمت إلى الإسلام بصلة ، بل قد يحملوا على الإفساد في الدين تحت شعار الاصلاح فيه كما يحصل اليوم في اكثر من بلد عربي .اسلامي تحت ستار العلم والتطور وغير ذلك!؟ فصلح النبي محمد ﷺ لم يكن خاتمة مريحة لمتاعبه وطلباً للدعه والسكون ، وكذلك صلح الحسن عليه السلام لم يكن من اجل ذلك ، وانما كان صلحاً يتجدد من خلاله الكفاح والجهاد على صعد اخرى تؤدي إلى ما كان يمكن أن تؤدي إليه الحرب فيما لو استعد لها الناس ودخلوا فيها .

يقول احد الباحثين : «ومن الحق أن نعترف للحسن بن علي عليه السلام على ضوء ما أثر عنه من تدابير ودساتير هي خير ما تتوصل إليه اللباقة الدبلوماسية لمثل ظروفه من زمانه وزمان اهله ـ بالقابليات السياسية الرائعة

التي لو قدر لها أن تلي الحكم في ظروف غير هذا الظرف ، وفي شعب أو بلاد رتيبة بحوافزها ودوافعها لجاءت بصاحبها على رأي القائمة من السياسين المحنكين وحكام المسلمين اللامعين ، ولن يكون الحرمان يوماً من الأيام ، ولا الفشل في ميدان من الميادين بدوافعه القائمة على طبيعة الزمان دليلاً على ضعف أو منفذاً إلى نقد ما دامت الشواهد على بعد النظر وقوة التدبير وسمو الرأي كثيرة متضافرة تكبر على الريب وتنبو على النقاش . . . »[1] .

غاية القول: انه على العرب والمسلمين أن يبحثوا عن سلام يضمن الهزيمة المعنوية والمادية لإسرائيل ، إذا كان لا بد من السلام لظروف واوضاع معينة: فليكن هذا السلام بشروطهم لا بشروط العدو أو على الأقل أن يكون سلاماً يحفظ الحقوق والكرامات والسيادة على الأرض . اما أن يكون هذا السلام راحة من المتاعب واستسلاماً للظروف ، فذلك معناه أن العرب قد اختاروا الهزيمة واثروها على النهوض باعباء امة لم يتمكن العدو يوماً من النيل منها إلا حينما ادعى الحكام حمايتها وتحمل مسؤولياتها . ولا بد من القول أيضاً أن الظروف والضعف المادي ليست السبب في السلام المسلح أو في الهزيمة ، وانما الضعف في الايمان والتصدي لمقام الخلافة الذين هم في الحقيقة ليسوا اهلاً له . وكما قال رسول الله ﷺ ا «ما ولت امة امرها رجلاً وفيهم من هو اعلم منه ، إلا لم يزل امرهم يذهب سفالاً ، حتى يرجعوا إلى ما تركوا ، فقد ترك بنو اسرائيل هارون وهم يعلمون انه خليفة موسى فيهم ، واتبعوا السامري ، وتركت هذه الأمة امام زمانها وبايعت غيره وقد سمعوا رسول الله يقول له: أنت مني بمنزلة هارون من

---

(١) الشيخ راضي آل ياسين ، صلح الحسن ، م . س . ص ٢٦٤ .

موسى إلا النبوة ، وقد رأوا رسول الله نصب الإمام علي عليه السلام يوم غدير خم ، وامرهم أن يبلغ الشاهد الغائب ، وهرب رسول الله من قومه وهو يدعوهم إلى الله حتى دخل الغار ، ولو انه وجد اعواناً لما هرب ، يقول الإمام الحسن عليه السلام : فجعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه ، وجعل الله النبي في سعة حين دخل الغار ولم يجد اعواناً ، وكذلك ابي وانا في سعة من الله ، حين خذلتنا هذه الأمة ، وانما هي السنن والامثال يتبع بعضها بعضاً»[1] إن تصدي بعض حكام العرب والمسلمين اليوم لمهمة السلام من شأنه أن يفتح باب الشرور على الأمة ، لأنهم يقررون عنها في السلام والحرب من دون اعتبار لرأيها وفي ذلك مخالفة صريحة لكتاب الله تعالى الذي بين ان اجراء السلم أو الحرب هو من اختصاص الأمة وليس من اختصاص الأفراد . هذا في حال غياب النبي أو الإمام المعصوم عليه السلام أما في حال حضوره فهو المؤهل لإتخاذ القرارات المناسبة وهذا ما لحظناه في سياق الابحاث المتقدمة من أن الخطاب في شأن السلم موجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم باعتباره القائد العارف بالظروف والأحوال ولديه القدرة على رسم السياسات الملائمة لحفظ الأمة ، وبما أن الأنظمة العربية اليوم هي التي تعقد السلام مع اسرائيل وتحاول الزام الأمة بما تتفق عليه وتقره معها ، فذلك من شأنه أن ينعكس شراً وفساداً على الأمة ، وما يشيعُه الحكام بموافقة بعض الفقهاء الموالين لهم من انهم اولياء الأمر ويحق لهم قيادة الأمة والتقرير عنها لا يمكن قبوله او تبريره لأن أولي الأمر الحقيقين الذين اوجب الله طاعتهم هم احرص الناس على مصلحة الإسلام والمسلمين[2] ،

---

(١) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٠ ، ص١١٤ .

(٢) لقد سئل الإمام الحسن عن حيثيات صلحه مع معاوية : «ما يدرون ما فعلت والله للذي فعلت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس . . . ايها الناس إن الله هداكم بأولنا

وقد تبين لنا أن هؤلاء لم يعقدوا صلحاً إلا وكان فيه الخير للأمة خلاف ما تقوم به بعض الأنظمة اليوم في عقد صلح ليس فيه من الخير شيء ، لأنه صلح مع شر مطلق والتفاعل معه يفسد كل شيء ويدخل الشرور على ما تبقى في هذا العالم من خير وصلاح .

إن السؤال الجوهري كان وسيبقى مطروحاً ما هي استراتجية هذا السلام مع اسرائيل ، وما هي اهدافه ، وماذا ستكون نتائجه مع شعب لا يعرف للسلام طريقاً ولا إلى الخير سبيلاً؟

ومن هم الذين يصالحون؟ وما هي قيمة هذا السلام مع العدو ؟ وهل الأنظمة تؤمن على نفسها وليس على الأمة ـ من هذا السلام؟ لقد صرحت اسرائيل مؤخراً من ان هذا السلام يتم في اجواء غير ديمقراطية ويخشى عليه من تقلب الأحوال لأن الناس لا علم لهم به ، وهذا ما يدفع باسرائيل إلى أن تكون حذرة لمرحلة ما بعد الأنظمة . . . !!؟

وحقن دماءكم بآخرنا ، وقد سالمت معاوية ، وانا ادري لعله فتنة ومتاع الى حين ١ ـ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٩٢ . نقلاً عن صلح الحسن للشيخ رضا آل ياسين ، م . س . ص٢٦٦ .

ماذا يقول بعض الحكام العرب عن سلامهم مع اسرائيل؟واعني بهم اولئك الذين تجاوزوا السياسة إلى الإقتصاد والثقافة . !؟

الفصل الرابع

مفهوم الحرب والسلام عند اليهود

اليهود في التاريخ بين الأمس واليوم

لقد رد القرآن ادعاء اليهود بأن تاريخهم قد بدأ مع عهد ابراهيم الخليل عليه السلام حيث قال تعالى: **﴿يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل إلا من بعده افلا تعقلون ، ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ، ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾**(١) ويذكر المؤرخون أن تاريخ اليهود يبدأ عملياً ، عند خروج موسى من مصر وعندما انزل عليه التوراة اول كتاب سماوي بشر به نبي ، فرد هذا التاريخ إلى عهد ابراهيم الخليل دعوى قديمة ترددت بين اليهود طويلاً لكن القرآن رد عليهم ودحض زعمهم ، وبين انهم يحاجون فيما ليس لهم به علم . . .

وتقول السير التاريخية أيضاً أن المصريين اكرموا وفادة يوسف واهله وظلت سلالات بني اسرائيل بمصر ، حيناً من الدهر تنعم بكرم المصريين

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات ٦٥ ـ ٦٧ .

ورعايتهم وتقديرهم لجهودهم وكفاياتهم حتى وصل كثير منهم إلى اعلى الدرجات والمناصب، ثم تغير موقف المصريون منهم فيما بعد إلى نقض ما كان عليه[1] . يقول ديورانت عن يوسفوس وهو مؤرخ يهودي عاش في القرن الأول الميلادي قوله: «إن سبب خروج بني اسرائيل من مصر ، هو رغبة المصريين في أن يتقوا شر وباء فشا بين اليهود المستعبدين المملقين؛ وقال ان موسى نفسه كان كاهناً مصرياً خرج للتبشير بين اليهود المجذومين وانه علمهم قواعد النظافة على نسق القواعد المتبعة عند كهنة المصريين ويتحدث سفر الخروج عن خشية ملك مصر من نمو بني اسرائيل وتكاثرهم فعمد إلى اضطهادهم واستخدامهم في البناء والأعمال الشاقة»[2] .

نحن من ملاحظة الدكتور حسام الضيقة التي تقول بأن اليهود قد وصلوا إلى اعلى الدرجات والمناصب نستنتج بأن اليهود كانوا يستغلون ما يصلون إليه من نفوذ للسيطرة على العباد والبلاد سياسياً واقتصادياً مثلما يفعلون اليوم تماماً ، وسنبين لاحقاً ، كيف أن اليهود يستغلون مناصبهم للإيقاع بالناس والافساد فيهم ، وقد يكون سبب خروجهم ما حل بهم من امراض إلا أننا لا نستطيع ان نجزم بأن هذا هو السبب الوحيد لذلك باعتبار أن ما فعله اليهود منذ ان نزل الوحي على الرسول ﷺ وإلى يومنا هذا يحملنا على الجزم بأن سعيهم للهيمنة السياسية والاقتصادية قديماً هو الذي دفع بملك مصر إلى التخلص منهم ، لأن المصريين كانوا يقدرون جهودهم وقد تنعموا بكرمهم؛ فما عدا مما بدا حتى يتغير الموقف منهم بين ليلة وضحاها؟ وهل ان الأمراض التي فشت بهم هي التي حملت الملك على

(١) بن الشريف ، محمود ، اليهود في القرآن ، دار مكتبة الهلال بيروت ط٢ ١٩٨٦ .

(٢) را: ديورانت، ج٢، ص٣٢٦، وقا: مع حسام الضيقة في مجلة الغدير، اليهود في العصور القديمة، عدد ٢٣ ـ ٢٤، ١٩٩٣.

استعبادهم واستخدامهم في اعمال البناء الضخمة بعد أن كانوا في اعلى المناصب والدرجات؟

إن الله سبحانه وتعالى لم يترك قوماً من الأقوام هملاً ، واليهود فضلوا على العالمين بما ارسل اليهم من رسل ولكنهم كفروا بانعم الله تعالى واعتدوا على الأنبياء وقتلوهم بغير حق ، ففي اجواء الصراع مع المصريين ارسل الله تعالى اليهم موسى وهارون ليدعوهم إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان ، وكانت النتيجة أن ثار فرعون عليه (١٣٠٠ ـ ١٢٣٣) ق . م .

وقد من الله تعالى على موسى ومن معه من بني اسرائيل والمصريين بغرق فرعون في البحر ، وقد بين الله هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿**ولقد اوحينا إلى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى**﴾[(١)] ولكن بعد نجاتهم عادوا إلى الجحود ولم يسمعوا لنبيهم حين امرهم ودعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد ، بل عادوا حيثما تركهم مع اخيه هارون عليه السلام إلى عبادة السامري وكادوا يقتلوا هارون لولا أن الله تعالى جعله في سعة منه ، وهم في توراتهم اليوم يتحدثون عن عقاب الله لموسى وهارون فلا يكنون لهم أي احترام ، ولا يعترفون لهم بالجميل رغم كل ما قدموه لهم ، والقرآن يرسم صورة قوم موسى على الشكل التالي ، فهو يصفهم بما يليق بهم من انهم اصحاب ايمان ضعيف وكأنهم لا يتعاملون مع نبي بل مع انسان عادي يلومونه ويوبخونه على الرغم من المعجزات العديدة التي حققها الله على يديه وبناء على رجاء منه ، فقد طلبوا منه ان يجعل لهم الهاً كالأقوام الوثنين ، فقال لهم موسى عليه السلام : ﴿**أغير الله ابغيكم الهاً وهو فضلكم على**

---

(١) سورة طه ، الآية: ٧٧ .

العالمين﴾[1] .

وهم من ناحية ثانية يشكون نبيهم هذا الحر اللاهب الذي يلفحهم في سينا فدعا موسى ربه فجاءهم بغمام يظللهم وظللنا عليكم الغمام ، ومن ناحية ثالثة يشكون الظمأ ، فإذا بموسى بإذن ربه : يضرب بعصاه البحر فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، وهم من ناحية رابعة يعدلون عن المن والسلوى ويطلبون من نبيهم أن ينوع طعامهم !! لن نصبر على طعام واحد» ، بل وصلت بهم الوقاحة وقلة الحياء إلى عبادة عجل صنعوه بعد ذهاب موسى إلى ميقات ربه ، وإلى الطلب من موسى أن يريهم الله . ولكن الله كان يغفر لهم بناء على رجاء كليمه موسى و كانت نتيجة ذلك كله أن ضربت عليهم الذلة والمسكنة وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . . . كما هو مضمون الآية ٦١ من سورة البقرة ، والآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

إن قوماً استجاب الله لهم وفضلهم على العالمين بما قدمه لهم ولم يحمدوا الله ويشكروه على ما انعم عليهم لجدير بهم لا أن يخرجوا من مصر فقط أو أن يستعبدوا فيها ، بل من فلسطين أيضاً كما سترى . باعتبار انهم قوم لما يدخل الإيمان قلوبهم ، ولا خلاق لهم لا في الدنيا ولا في الآخرة[2] .

(١) سورة الأعراف ، الآية: ١٤٠ .

(٢) را: مقالة . حسام الضيقة ، مجلة الغدير . م . س .

اليهود في زمن الغزو الاشوري

يحدثنا التاريخ ان اليهود سبيوا إلى اشور واحل محلهم سكاناً من اقاليم اخرى[1] والغزو الأشوري لفلسطين لم يكن بلا مقدمات ، فقد كانت سوريا الارامية حليفة لمملكة اسرائيل افرايم «تساعدها في حربها مع يهوذا فلما شعرت هذه المملكة بالخطر استعانت بملك اشور «تغلات بلاشز» الذي غزا عاصمة الأراميين دمشق عام ٧٣٢ ق . م فاخضع بلاد سوريا وصور وارضي اسرائيل ما عدا السامرة عاصمتها وتم سبي اليهود إلى

(١) في التوراة المتداولة هناك نصوص تدعو إلى الغرابة فعلاً منها أنه حين يستقدم ملك اشور إلى السامرة بابلين بدل اليهود المنفيين يقع القادمون الجدد فريسة السباع لأنهم لا يعبدون يهوه وعندئذ يتوجهون بالخطاب إلى ملك اشور!! ان الأمم الذين سبيتهم واسكنتهم في مدن السامرة لا يعرفون قضاء إله الأرض ، فأرسل عليهم السباع فهي تقتلهم لأنهم لا يعرفون قضاء إله الأرض» فبعث الملك اليهم عندئذ بواحد من الكهنة اليهود المسبيين من السامرة كيما يعلمهم قضاء اله الأرض ، وعندئد على ما يضيف النص التوراتي ، «اتى واحد من الكهنة الذين سبوهم من السامرة وسكن في بيت ايل وعلمهم كيف يتقون الدب . .» را: سفر الملوك الثاني الأصحاح ١٧، ٢٤ ـ ٤١. ويشير حسام الضيقة إلى انه في عهد سرجون الثاني ٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق. م. وعام ٧٢٢ تم استسلام السامرة والقضاء على مملكة اسرائيل نهائياً . . را: مجلة الغدير.

اشور[1] ، وهذا السبي كانت له اسبابه منها ان اليهود كانوا يتحالفون مع قوم ضد قوم اخر لأهداف خاصة بهم على الرغم من انهم لم يكونوا على شيء من القوة خلاف ما اعتاد عليه المؤرخون اليهود ومن سقط في احابيلهم أن يجعلوا من اسرائيل ويهودا وعصيانهما سبباً وجيهاً لهذه الحملات ، مع ان هاتين المملكتين ، كما يقول الضيقه ، كانتا ضعيفتين ولا يحسب حسابهما بالنسبة لقادة عظام امثال ثفلات بلاشز ونبوخذ نصر وغيرهم من الاشوريين والكلدانيين ، ومما يدل على ذلك ان هم هؤلاء القادة كان ينحصر في مقارعة الجيوش المصرية ومنعها من التمدد شمالاً»[2] غاية القول ان اليهود سواء اكانوا ضعفاء أم اقوياء هم في حالة اعتداء دائمة ، ولا قيمة للآخر عندهم ، ومن يريد التعرف عليهم وعلى اعمالهم قبل الإسلام فليقرأ عن اعمالهم بعد الإسلام في أية منطقة كانوا ومع أي شعب عاشوا ، فكلها اعمال اثم وفساد . . .

---

(١) تجدر الاشارة هنا الى اننا نقدم أفكار في هذا الكتاب عن حياة اليهود مع الشعوب الاخرى، ولسنا بصدد بحث تاريخي عنهم، لأن هناك الكثير من الأبحاث التاريخية عن اليهود في العصور القديمة وفي عصر ما بعد الإسلام، وقد أجمعت هذه الأبحاث على ان اليهود هم كما وصفهم القرآن ولم يغير الدين أو الزمن من طبائعهم وسجاياهم شيئاً، فلنراجع الأبحاث التاريخية في مواضعها ونهدي بالمناسبة الى بحث للدكتور حسام الضيقة فهو يختصر فيه تاريخ اليهود في العصور القديمة، ونكرر القول ان هذا الكتاب يهدف الى بيان حالة اليهود وأوضاعهم وأفعالهم، إضافة الى عدائهم للشعوب مما يجعل من السلام معهم أمراً مستحيلاً ما لم يصلحوا أنفسهم على نحو يمكنهم من مشاركة الناس، واحترام الآخرين وعدم الاعتداء عليهم تحت شعار تنفيذ وصايا الرب. . !؟

(٢) را: د. الضيقة، م.ع.

اليهود والحكم الكلداني

بعد دولة اشور التي لم تدم طويلاً سيطر الكلدانيون على سوريا والعراق وجهزوا الحملات العسكرية لاخضاع دولة يهودا التي استجمعت قواها بمعونة المصريين ، فقام نبوخذ نصر (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ، ق . م بحملتين : الأولى عام ٥٩٧ حيث اخضع اورشليم وسبى اهلها . . . اما الذين حملهم معه من اليهود فقد اسكنهم في منطقة نهر الخابور في شمال سوريا فيما عرف خطأً في التاريخ باسم السبي الأولي[١] .

أما الحملة الثانية ، فقد قام بها نبوخذ نصر عام ٥٨٩ على اثر تحالف يهوذا مع مصر فكانت النتيجة ان انتصر على مصر وحاصر اورشليم التي ما لبثت ان استسلمت بعد أن ضربت ودمرت تدميراً كاملاً فاحرق البيوت وبيت الرب وسلب الخزائن ونقلت إلى بابل وقد خمن عدد الاسرى الذين سيقوا إلى بابل ليلحقوا باليهود في السبي الأول بحوالي ٥٠,٠٠٠ شخص؛ فانتهى بذلك الدور السياسي لمملكة يهودا التي عمرت بين سنة ٩٣١ : ٥٨٦ ق . م

---

(١) را: حسام الضيقة ، م . س .

ليستوطنها بعد ذلك قوم من العرب من سكان حدود الصحراء الشرقية في جنوب فلسطين . . . [1] .

ومما يمتاز به اليهود سواء اكانوا في حالة استقرار أو في حالة سبي وطرد دائم انهم لا يتوانون عن القيام باعمال تمكنهم من تثبيت اقدامهم حيث تستقر بهم الأحوال، والنصوص التاريخية كلها تشير إلى أن اليهود قبل الإسلام وبعده ينصرفون إلى التجارة وإلى كنز المال والذهب حتى تكون لهم اليد الطولى في أي بلد يصلون إليه، وهذا ما عرف عنهم في اوروبا انهم اقاموا مؤسسات مالية قوية مكنتهم من أن يمارسوا الحكم من خارج السلطة، وهم اصحاب فن في هذا المجال؛ ومما يدل على قوتهم هذه انهم خططوا للوصول إلى فلسطين قبل مائة عام وكانت النتيجة أن حققوا حلمهم في الوصول إلى فلسطين بسبب قوتهم المالية والإقتصادية في البلدان الأوروبية. . . ولم تكن لتؤثر عليهم الحملات العسكرية والأمنية للحدّ من نفوذهم، وقد ذكر المؤرخون ان اليهود حينما سبيوا إلى بابل على يد نبوخذ نصر لم يلجأوا إلى الزراعة، بل بدأوا بالتجارة إلى جانب سعيهم الحثيث من اجل الدخول في الدوائر الحكومية والجيش، وما تبقى خارج هذه الدوائر، انصرف إلى التجارة، يقول الدكتور اديب صعب : «لم يكن اليهود كلهم مزارعين في بابل، لكن بعضهم دخل في الدوائر الحكومية أو عمل في الجيش، فيماانصرف اخرون إلى التجارة كما فعل سواهم من اليهود في مصر وسوريا، وتمت شهرتهم التجارية خلال القرون، وما هو إلا وقت قصير حتى برز حس معادٍ لليهود في بابل: «فقال هامان للملك احشوريروش انه موجود شعب مشتت ومتفرق بين الشعوب في كل بلاد مملكتك وسننهم

(١) را: حسام الضيقة ، م . س .

مغايرة لجميع الشعوب وهم لا يعملون بسنن الملك فلا يليق بالملك تركهم، فإذا حسن عند الملك فليكتب أن يبادوا، ووقف يهود السبي أمام امتحان عسير. . . »[1].

ما من شعب من الشعوب إلا واستيقظ على دوي هؤلاء حيثما حلوا وهم على صفاتهم واعمالهم ولم يتغيروا في شيء اطلاقاً ، وما حصل لهم في اوروبا كان مكتسباً من التاريخ ، لأن أهل اوروبا عرفوهم جيداً وتعاملوا معهم على أساس انهم اهل حرب . وكل ما فعله هتلر لا يساوي شيئاً أمام ما فعله العالم باليهود طيلة القرون الماضية ، وهم كما وصفوا انفسهم انهم لا يعرفون للسلام طريقاً وان اعمالهم واقوالهم، أعمال واقوال اثم ! فالسؤال هو: من أين دخل بعض الحكام العرب إلى مفاوضات السلام معهم على الرغم من ان التاريخ يحكم ببطلان أي عقد سلام معهم كونهم على دينهم من الظلم والفساد ؟ فإذا لم يؤثر القرآن بالذين يفاوضون عسكرياً واقتصادياً اليهود اليوم فليؤثر التاريخ ، وغداً ستبدي الأيام ما انت أيها الحاكم جاهله وستعرف ان سلام هؤلاء هو غزو سلمي يهدف إلى تقليل الخسائر والحصول على مكتسبات جديدة . إن اليهود . كعادتهم لا يصادقون احداً من الناس ، وما يهمهم هو أن يكونوا حكام هذه المنطقة مباشرة أو غير مباشرة ، وعلى الحكام أن يعلموا بأن اليهود لم يسالموا احداً ولم يتعايشوا مع احد في أيام ضعفهم وطردهم وسبيهم ، وكانوا دائماً يرفضون العمل بسنن الملك الذي يعيشون في ظل مملكته ، فكيف يسالمون وهم اقوياء واصحاب نفوذ واموال في العالم ؟ بل كيف يعطون . لقد صدق الله تعالى بقوله وهو اصدق القائلين: **﴿ام لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس**

---

(١) را: د. أديب صعب، الأديان الحية، دار النهار، ص١٣٠.

نقيراً﴾[1] .

٣ ـ اليهود في زمن الفرس :

لم يكن البابليون الوثنيون متشددين كثيراً مع اليهود، فقد حصل اليهود في ظلهم على حريات كثيرة ومناصب مدنية ، وعندما اسقط قورش (توفي سنة ٥٢٨ ق . م) مملكة ميديا سنة ٥٣٩ عمد اليهود إلى استرضائه حتى اجاز لهم العودة إلى يهودا وبناء الهيكل. ولكن قليلين منهم انتهزوا فرصة العودة لأن اكثريتهم قد اعجبوا بالبلاد الجديدة ، وكان هم العائدين توحيد صفوفهم في فلسطين من جديد وسط الأخطار المحيطة بهم ، وقد نجحوا في بناء الهيكل من جديد عام ٥١٥ ق . م . هذا ما ذكره المؤرخون عن اليهود في العصور القديمة قبل الإسلام وكانوا حيثما حلوا يصلون إلى مناصب مدنية هامة يستغلونها لصالحهم رغم أنهم لا يختلطون بأحد من الناس ولهم ما يميزهم عن غيرهم باعتبارهم كما يزعمون شعب الله المختار ، ونحن ذكرنا هذا السياق التاريخي لنبرهن أن اليهود لم تستقر بهم الاوضاع لما كانوا يقومون به من اعمال وحشية تحمل الناس على النفور منهم ، وعلى استبعادهم وسبيهم إلى خارج البلاد، ولم يهدأ لهم حال في مكان لما كانوا عليه من فساد في داخلهم ينعكس حيثما حلوا على الواقع ليفسده ايضاً ! وهذا السبي لليهود لم يكن بلا هدف ، بل كان يهدف إلى اضعافهم وتفتيتهم ، وكان من جملة اثار هذا السبي ان فرت جماعات من اليهود باتجاه الجنوب حدب الحجاز ، ويثرب ووادي القرى ، ولما جاء الإسلام حاول النبي ﷺ التعاون معهم في المدينة كما بينا سابقاً ، لكنهم اصروا

---

(١) سورة النساء، الآية : ٥٣ .

على العدوان والتآمر على المسلمين وعلى دولة الإسلام ، فما كان على الرسول إلا أن فعل بهم الشيء نفسه حيث أنه طردهم من المدينة ، وحاربهم في (خيبر) وحال بينهم وبين ان يكون لهم ادنى فاعلية في المجتمع الإسلامي .

هنا لا بد أن نعجب من قوم لم يتفقوا مع احد ولم يجتمعوا مع احد ، لاهم اتفقوا مع انبيائهم ، ولا مع الشعوب الذين عاشوا معهم ، وكانوا كلما جاء نبي يكفرون به ويجحدون رسالته بدأ من موسى عليه السلام وانتهاء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي اقرهم على دينهم وجعلهم امة مع المسلمين واحدة من دون الناس كما جاء في الصحيفة . . . لقد سبيوا في العهد الأشوري ، وفي العهد الكلداني ، وفي عهود كثيرة يصعب حصرها ، فهل من المعقول ان يقال بأن هؤلاء قد اعتدي عليهم من قبل جميع الناس وهم لا يستحقون ذلك؟

لا شك انهم وبسبب ما هم عليه من فساد في نفوسهم كانوا لا يتورعون عن القيام بأعمال تهدد المجتمع الذي يعيشون فيه هذا فضلاً عن طموحهم بأن تكون لهم السيطرة على العباد والبلاد سياسياً واقتصادياً ، كما سيظهر منهم فيما بعد نزول الإسلام . إن التاريخ والبلاء والتجارب يجب أن يكونوا عبرة للناس جميعاً ، فاليهود لا يمكن التعامل معهم بمعزل عن التاريخ وعن دورهم فيه ، وعن تعاملهم مع سائر الأقوام ، بل ذلك يبقى مهماً ومفيداً لمن يريد الاستمرار أو المشاركة في صنع التاريخ . . .

اليهود في العصور الحديثة

يقول الإمام الخميني(قده) في كتابه الحكومة الإسلامية: «ابتليت

الحركة الإسلامية من اول امرها باليهود ، حينما بدأوا نشاطهم المضاد بالتشويه لسمعة الإسلام ، والوقيعة فيه والافتراء عليه ، واستمر ذلك إلى يومنا هذا . . . »[1] .

فاليهود لم يعملوا بوصايا النبي موسى عليه السلام كما انهم لم يعترفوا بعيسى عليه السلام وقالوا عنه انه ابن زنا ، وطاردوه ليقتلوه ، وهذا دينهم وديدنهم مع كل انبياء الله ، ومن الطبيعي جداً أن ينكثوا العهود والمواثيق مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة ، ومن الطببعي أيضاً أن يستمروا على ما هم عليه لأنهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة اينما ثقفوا وهم يفعلون ما يفعلون ، وينكرون ما ينكرون ويحسبون انهم ابناء الرب ويحسنون صنعاً ! وانهم اولياء لله من دون الناس وقد رد الله عليهم زعمهم هذا في العديد من الآيات القرآنية . . . من هنا ننتقل إلى دور اليهود في العالم لنرى ما إذا كانت المجتمعات الإنسانية قد قبلت بهم وتعاملت معهم ، وهنا نسأل هل تغير وضع اليهود بعد الإسلام عما كان عليه وضعهم قبل الإسلام ، أم ان هؤلاء سيرتهم واحدة وفعلهم واحد؟ لا شك ان وضعهم كان ولا يزال على ما هو عليه ، فهم كانوا معرضين للسبي قبل الإسلام وفي جميع العصور القديمة وما زالوا معرضين للسبي بعد الإسلام وحتى يومنا هذا لا من قبل المسلمين وحسب ، بل من قبل الناس جميعاً ، وهذا ما يحدثنا عنه صاحب كتاب احجار على رقعة الشطرنج ، فهو يقول: «عام ١٢٥٣ عمدت الحكومة الفرنسية إلى حل جذري لمشكلة اليهود فطردتهم جميعاً لمخالفتهم القوانين ، فاتجه قسم كبير من المطرودين إلى انكلترا التي الجأتهم وحتى عام ١٢٥٥ كان اليهود قد تمكنوا من السيطرة على عدد من كبار رجال السلك

---

(١) الإمام الخميني الحكومة الاسلامية ، دار الطليعة ١٩٧٩ ، ص٧ .

الكنسي الإنكليزي وعلى كثير من النبلاء والسادة الإقطاعيين . . . ولما مات الملك هنرى عام ١٢٧٢ وخلفه على عرش انكلترا الملك ادوار الأول اصدر امراً حرم بموجبه على اليهود ممارسة الربا ثم استصدر من البرلمان عام ١٢٧٥ قوانين خاصة جعل لهم بموجبها اوضاعاً خاصة وسميت هذه القوانين «الأنظمة الخاصة باليهود» وكان الهدف من هذه القوانين تقليص السيطرة التي يمارسها المرابون اليهود على كافة مدينيهم ، ليس فقط من المسيحين بل حتى من الفقراء اليهود انفسهم ، ولعل الأنظمة اليهودية هذه القوانين الأولى في التاريخ البرلماني الانكليزي الذي لعب مجلس العموم دوراً فعالاً في وضعها واقرارها ، ولا يمكن وصم هذه القوانين بأنها معادية للسامية لأنها حمت فيمن حمت اليهود المتقيدين بالقوانين . . . بعد ان خطا الملك ادوار الخطوة الأولى سارع ملوك ورؤساء اوروبا إلى الإقتداء به ، ففي عام ١٣٠٦ طردت فرنسا اليهود ، وتبعتها سكوفيا عام ١٣٤٨ وهنغاريا عام ١٣٦٠ ، وبلجيكا عام ١٣٧٠ . وسلوفاكيا عام ١٣٨٠ والنمسا عام ١٤٢٠ ، والأراضي المنخفضة عام ١٤٤٤ واخيراً اسبانيا عام ١٤٩٢ ، ويتخذ طرد اليهود من اسبانيا اهمية خاصة إذ أنه يلقي الضوء على محاكم التفتيش الإسبانية إذ يعتقد عديد من الناس في اوروبا أن محاكم التفتيش انما انشئت من قبل الكنيسة الكاثوليكية لأضطهاد البروتستانتيين المنشقين عن الكنيسة ولكن الواقع هو أن هدف البابا انيوسنت الثالث من انشاء هذه المحاكم كان فضح بعض الهراطقة ،والكفار الذين كانوا يتسترون بالتظاهر بالمسيحية بهدف تخريبها من الداخل ، تقول الموسوعة البريطانية على الصفحة السابعة في المجلد (١٣) طبعة ١٩٤٧ «كان القرن الرابع عشر عصر اليهود الذهبي في اسبانيا ، ولكن جرى عام ١٣٩١ أن خطبه من قسيس

اسباني يدعى فرناندو مارتينز في قرية ليفل الإسبانية قادت إلى مذبحة عامة لليهود كانت الأولى من نوعها . وكان الأهالي يحقدون على اليهود لاستعمال الملك اياهم في جباية الضرائب ، ويضيف المؤلف وليام غاي كار في كتابه: ان اليهود طردوا من ليتوانيا عام ١٤٩٥ ، ومن البرتغال عام ١٤٩٨ ،ومن ايطاليا عام ١٥٤٠ ، ومن بافاريا عام ١٥٥١، تقول الموسوعة البريطانية: «ووجدت جماهير اليهود نفسها تنصب ثانية في طريق الشرق وعلى الاخص في الامبراطوريتين اليولونية والتركية . اما الجاليات الضئيلة التي فضلت معاناة البقاء في الغرب فقد كانت خاضعة لكافة القيود التي كانت مفروضة عليها في المرحلة السابقة . وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم اليهود الذين انتقلوا إلى اوروبا الشرقية فرض عليهم بدورهم العيش في مناطق الإقامة التي سمح لهم بها والواقعة بصورة عامة على الحدود الغربية لروسيا من سواحل البحر البلطيقي في الشمال حتى سواحل البحر الأحمر في الجنوب ، ثم يختم المؤلف كلامه باننا نستطيع الحكم على نجاح مخطط تسلل اليهود إلى البلاد التي طردوا منها بدراستنا للوقائع التالية فقد عاد اليهود إلى انكلترا عام ١٦٠٠م . اما إلى هنغاريا فكانت عودتهم سنة ١٥٠٠ ولكنهم طردوا منها ثانية عام ١٥٨٢ ، وعادوا إلى سلوفاكيا سنة ١٥٦٢ ليطردوا منها عام ١٧٤٤ وعادوا إلى ليتوانيا عام ١٧٠٠ وبصرف النظر عن عدد المرات التي طردوا منها فانهم في كل مرة كانوا يتركون وراءهم الشبكات الخفية التي كانت تدبر وتخطط النشاطات الثورية والاضطرابات للقوى الخفية . . .»[1] .

---

(١) وليام غاي كار ، احجار على رقعة الشطرنج ، دار النفائس ، ط١ ، ١٩٧٠ ، ص١٥٧ .

ولا شك انه لو لم تكن لهم هذه الشبكات الخفية لما تمكنوا من الوصول إلى فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وهم خططوا لذلك في مؤتمر بازل في سويسرا عام ١٨٩٧ وكانت نتائج هذا المؤتمر سنة ١٩٤٨ ، مما يعني انهم يملكون شبكات في اوروبا تساعدهم في السر والعلن لتحقيق مأربهم ، وليس صحيحاً ما يقال من أن وسائل الاعلام وغيرها تعطي اليهود اكثر مما هم عليه ، لأن التاريخ قد بين مساوىء هؤلاء هذا إضافة إلى ما ذكره القرآن عنهم من انهم لم يؤمنوا بشيء اطلاقاً ، واكبر دليل على ذلك هو ما حصل لهم في المدينة حينما طردهم الرسول بعد أن نكثوا العهود والمواثيق ، فهم لم يتطايقوا لا مع الوثنين ولا مع المسيحين ، ولا مع المسلمين ، كونهم يميزون انفسهم عن سائر البشر ويعتبرون انفسهم شعباً مختاراً ويحق لهم أن يتملكوا كل شيء!؟ ومقولاتهم هذه كانوا يطبقونها حيثما حلوا في العالم وكانت نتيجة ذلك الطرد لهم ، بل واحياناً القتل والسبي وغير ذلك مما يليق بهم كشعب فاسد في نفسه لم تنفعه دعوات الأنبياء ، وإذا كانت الحركة الإسلامية قد ابتليت بهم من اول امرها ، كما يقول الإمام الخميني (قده) فليس معنى هذا أن الحركات الأخرى لم تكن مبتلية بهم ، فالمسيحية هي أيضاً تقول ذلك ، وهناك من اليهود من يقول ذلك أيضاً . . . !؟

ازاء ما تقدم ، وبعد معرفتنا بأن اليهود لم يسالموا احداً من الناس ، ولم يتعاونوا مع احد على البر والتقوى ، وبأن احداً لم يظلمهم بل كانوا دائماً السباقين إلى ظلم انفسهم ، بعد معرفتنا بكل ذلك نحن نسأل دعاة السلام اليوم في العالم العربي والإسلامي ، هل قرأوا التاريخ جيداً؟

ـ من أي باب دخلوا إلى هذا السلام؟ هل دخلوا إليه من باب التاريخ؟ أم دخلوا إليه من باب القرآن؟

فإذا كانوا قد دخلوا إليه من باب التاريخ ، فهذا الأخير يبين بما لا يدع مجالاً للشك بأن اليهود لم يعرفوا للسلام طريقاً ، وان أي شعب من الشعوب لم يتمكن من التعايش معهم بسبب ما يدعونه لإنفسهم من امتيازات عن سائر البشر !!؟

وإن كانوا قد دخلوا إليه من باب القرآن ، فالقرآن بين أيضاً ان اليهود لم يؤمنوا وقتلوا الأنبياء بغير حق رغم كل المعجزات التي تحققت على يد النبي موسى عليه السلام وفعلوا المنكر وكانت نتيجة كل ذلك ان طلبوا من نبيهم أن يجعل لهم الهاً كالأقوام الوثنيين وغير ذلك مما ذكره القرآن!!؟

يبقى أن نقول ان الدخول إلى السلام المزعوم ليس له ما يبرره ، وإذا كان بعض الحكام قد خالف منطق التاريخ ، ومنطق القرآن ، ومنطق الأحداث الجارية ، فليس معنى ذلك أن هؤلاء بامكانهم أن يغيروا مجرى التاريخ ويقلبوا كل المعادلات أو أن يصلوا إلى مرحلة يبرر لهم القرآن فيها اعمالهم ومخالفتهم هذه؛ وما من شك ان التاريخ والقرآن سيعاقبان هؤلاء على فعلتهم بما عاقب به اليهود انفسهم . . . وما من شك ايضاً أن ما هم فيه وعليه ليس إلا بلاءاً لهم وعقوبة ، باعتبار أن العقوبة كما بين الفقهاء ليست اخروية فقط بل هي دنيوية أيضاً . إن مَن يتجاهل القرآن لا بد أن يدفع الثمن غالياً ، وقد يكون هذا الثمن الطرد والسبي بحيث ينقلب الأمر فبدل من أن يطرد اليهود الصهاينة من فلسطين ، يطرد العرب المسلمون من ارضهم ، وإذا هم بقيوا فيها ، فلن تكون لهم حرية ولا كرامة ولا سيادة ، بل يكونوا خداماً لليهود يستعبدونهم ويسخرونهم في اعمال البناء الضخمة هذا إذا لم تتفشى فيهم الأمراض . . !؟ نحن نتساءل لماذا يتجاهل العرب مقولة شمعون بيريز بأن المطلوب من العرب أن يقدموا المال والتراب واليد العاملة

والنفط والمياه ، ومن اسرائيل أن تقدم العقل الإسرائيلي الكفيل باخراج العرب والمسلمين من انفسهم تمهيداً لاخراجهم من ارضهم؟ اليست هذه المقولة تعني ان اليهود يريدون أن يعلموننا كيف نتقي الرب كما في بعض نصوص التوراة . إن القول بأن تجاهل النصوص المقدسة إضافة إلى النصوص التاريخية من شأنه أن يقلب الأمور ويجعل من العرب والمسلمين غرباء في ارضهم وخدماً لإسرائيل ليس فيه شيء من الغرابة لأن اليهود انفسهم ، وللدقة نقول بعضهم قد اعترف بأن ما حل باليهود في العصور القديمة ، وما حل بهم في العصور الحديثة إنما كان نتيجة لأعمالهم ومعصيتهم وفجورهم وهذا ما قاله احد كهنتهم «أرمياه» لنبوخذ نصر «لا تظن انك بقوتك وحدها استطعت أن تتغلب على شعب الرب المختار؛ انها ذنوبهم الفاجرة التي ساقتهم إلى هذا العذاب»[1] .

وهذه الحقيقة لا تصدق على اليهود فقط ، بل تصدق على كل شعب خان واذنب وتخلى عن مبادىء السماء وقيمها ، فإذا ما استمر العرب والمسلمون في معصيتهم وفي دعوتهم إلى السلام مع اسرائيل ، فإن النتيجة لن تكون اكثر مما حل باليهود في الأزمان الغابرة ، وإذا كانت معصية اليهود وذنوبهم وخيانتهم قد تمثلت بقتل الأنبياء وادعائهم بأنهم ابناء الرب وشعبه المختار وتحريف الكلم عن مواضعه ، فإن ما يمثل ذنوب العرب والمسلمين وخيانتهم ومعصيتهم لله تعالى هو أن يعترفوا باسرائيل وان يطبعوا العلاقات معها بحيث تصبح صديقة لهم على الرغم مما تنطوي عليه من فساد في نفسها وفي مبادئها ، وهذا ما بين القرآن استحالته حيث قال تعالى **﴿ولتجدن اشد**

---

(١) خان ، ظفر الإسلام ، تاريخ فلسطين القديم ١٢٢٠ ق .م . ١٣٥٩ ، دار النفائس ، بيروت ط٥ ، ١٩٨٦ ، ص١٥ .

الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا﴾[1] ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ . إن صداقة تؤدي ، بل إن سلاماً يؤدي إلى أن تضرب الذلة والمسكنة على المسلمين . . ان تطبيعاً يؤدي بنا إلى أن تصبح يهوداً ويمكنّ اسرائيل من هذا العالم العربي الإسلامي ، لا يمكن أن يترشح عنه إلا العذاب في الدنيا والأخرة . . .

اجل اليهودي الكاهن نطق بالحكمة بقوله إن الذنوب هي التي تسوق إلى العذاب ، لكن السؤال هو كيف يخرج الناس من ذنوبهم ويتغلبون على اهوائهم . . ؟

يقول الإمام علي عليه السلام «وما كان قومُ قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم إلا بذنوب اجترحوها لأن الله «ليس بظلام للعبيد» ولو ان الناس حين تنزل بهم النقم . . . فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم . . لرد عليهم كل شارد ، واصلح لهم كل فاسد . . . »[2] ،إذن أي ذنب هذا اعظم من الاعتراف باسرائيل وتطبيع العلاقات معها . . . !؟

لقد بدا لنا أن السلام في التطبيق التاريخي لم يكن ممكناً مع اليهود لا من قبل الوثنيين ولا من قبل المسيحين ، ولا من قبل المسلمين . كل العالم ينفر من هؤلاء ويعتبرهم جسماً غريباً وشراً مطلقاً يدخل الشرور على الإنسانية ، وقد ادى إلى قتلها احياناً كثيرة ونحن في تبياننا لبعض النماذج السلمية في التاريخ الإسلامي لم نرد إلا توضيح هذه المسألة: ان السلام لكي يكون حقيقياً ، لا بد أن تكون له اهداف واضحة ومحددة وظروف مؤاتية مع أي قوم من الأقوام ، وقد ارشدتنا هذه النماذج إلى أن السلام مع

(١) سورة المائدة ، الآية: ٨٥ .
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٨ .

اليهود لم يكن ممكنا رغم كل ما قدمه الرسول ﷺ لليهود في المدينة من حقوق حيث انه جعلهم مع المسلمين امة واحدة من دون الناس بالمعنى السياسي وكل ذلك لم يؤد بهؤلاء إلى الدخول في سلام حقيقي معهم مما ادى إلى طردهم من المدينة . هذه المقدمات في السلام كان لا بد منها للدخول في ما يسمى بالسلام اليوم بين العرب واسرائيل ، فهؤلاء ـ بعضهم طبعاً ـ لم يرشدنا إلى سلام في التاريخ يشبه سلامه ، وحجته في ذلك هي فقط ان اسرائيل اصبحت دولة ذات كيان ولا يمكن القضاء عليها لما تحضى به من تأييد عالمي رغم أنه يعلم بان العالم كله ينفر من اليهود وإن كان الظاهر انه يقبل بهم ويتعامل معهم ، هناك شبكات في العالم خفية تظهر اليهود وكأنهم اصدقاء للعالم اجمع ، ولا نعتقد بدورنا أن الأحداث التي وقعت في اوروبا الغربية والشرقية مع اليهود لم يعد لها أي أثر في نفوس الناس ، والبارحة قرأنا في جريدة السفير أن هناك صداماً في احدى الجامعات الامريكية بين السود واليهود بسبب لوحة معلقة اعتقد اليهود بأنها ضد السامية مما ادى إلى توتر لا يمكن التقليل من اهميته ، وغداً سيشهد العالم اضطرابات تدفع به إلى طرد اليهود مجدداً حينما يجد نفسه رهينة لهم . . .[1] .

---

(١) وقف حوالي ٦٠ عنصراً من حراس جامعة سان فرانسيسكو المعدين لمكافحة الشغب لحراسة عمال الجامعة وهم يقومون بطلاء اللوحة التي تبلغ مساحتها حوالي اربعة امتار وتضم صورة الزعيم الأسود الراحل مالكوم اكس وصورة لنجمة داوود إلى جانب رمز الدولار وجمجمة وعبارة «دم افريقي» وكانت ادارة الجامعة سمحت باعداد اللوحة التي كشف النقاب عنها في ١٩ من الشهر السابق احتفالاً بذكرى ميلاد مالكوم اكس التاسع والستين «إلا أنها لم تكن تدرك محتواها ، ويستند معارضوا اللوحة وخصوصاً اليهود على أنها تعكس تعصباً كونها تعزز الفكرة المنتشرة عن اليهود ونظرتهم للمال بالإضافة إلى انها توحي بتورطهم في تجارة العبيد . . . را: جريدة السفير ، الجمعة ٢٧ أيار ١٩٩٤ ، عدد ٦٧٨٩ .

ما تجدر الاشارة اليه هنا هو ان السلام المزعوم اليوم كانت أولى مقدماته معاهدة كمب ديفيد التي وقعت بين مصر واسرائيل باشراف ومشاركة الولايات المتحدة، وقد بينا في الأبحاث السابقة ان السادات منظر السلام الأمريكي الاسرائيلي وقف أمام الكنيست ليعلن عن انتهاء الحرب والكرامة والسيادة معاً، ومن جملة ما قاله في هذا الخطاب: انه آن الأوان لأن نعيش بأمن وسلام، وبالدقة قال آن الأوان لتعيش اسرائيل بيننا بأمن وسلام... في هذا السياق لا بد من الاشارة الى ان ذكرنا للسادات لا يقتصر عليه فقط، لأن الدعوة الى السلام الاسرائيلي عند بعض العرب ممن يلهثون وراء هذا السلام يعتبر السادات زعيماً لهم، وهم يعرفون جيداً ان ما يمكن ان يحصلوا عليه ـ هذا اذا حصلوا على شيء ـ من خلال هذا السلام قد يكون أقل بكثير مما حصل عليه السادات، وأعني هنا سيناء التي عادت الى مصر في مقابل خروجها من الصف العرب المقاوم للإحتلال الاسرائيلي، فإسرائيل أعطت جزء لتأخذ الكل والشعب المصري البطل يعرف ذلك تماماً، وهو ينتظر الفرصة لاسترداد حقه في الوجود بعد ما أدخلته سياسة الحكام في العدم..!!

إذن السادات يقول بأنه آن الأوان لكي تعيش اسرائيل بيننا بأمن وسلام وهو بذلك لا يعني أكثر مما يقول، لأنه، ، لو كان عنده دراية بالتاريخ على الأقل لعرف هو في أي سلام قد دخل، وكذلك هو لا يعلم بأن اسرائيل لا تقبل سلام يحملها على ان تعيش بين العرب والمسلمين، وانما هي تريد سلاماً يمكنها من العرب والمسلمين وان يعيش هؤلاء بين اليهود، لأن التاريخ كما ذكرنا قد أرشدنا الى حقيقة ان اليهود لا يعيشون إلا مع انفسهم ولا يعتبرون العرب والمسلمون أناساً لهم الحق في الحرية والكرامة

والوجود ويطلقون عليهم اسم «الجوييم»[1] فما قاله السادات لا يعني أكثر من القبول بالطرح الاسرائيلي القاضي بأن تكون اسرائيل سيدة المنطقة والحامية لها، وقد ترافق ذلك مع تصوير الغرب لإسرائيل بأنها واحة الحضارة في الشرط الأوسط!!

فالسادات كأنه لم يقرأ التوراة ولم يسمع عنها، وهو في سلامه قد أدخل نفسه فعلاً في الجوييم... ومما يدل على جهل السادات بالتوراة قوله الآنف الذكر الذي اعتقد فيه بأن اليهود يسعون الى سلام يمكنهم من العيش بأمن وسلام بين العرب والمسلمين، وهذا ما لا تصرح به التوراة حيث جاء في معجم التوراة في تفسير النزعة الحصرية اليهودية في حقبة ما بعد السبي على النحو التالي: «لما صار اليهود بمنأى عن كل تأثير سياسي، ازدادوا تشبثاً بوفائهم لعقيدتهم، وأحاطوها بنظام طقسي متكامل، وغدت الحواجز بين اليهود وغير اليهود أشد كثافة مما في أي وقت سابق»[2].

وكما يقول تاقيطس في حكمه المشهور على اليهود: «انهم يجهدون بتعلق مسعور بعضهم ببعض، وبتراحم فعال يتناقض وكرههم لسائر الانسانية، في الولائم يأكلون على حدة، وفي النوم ينامون على حدة، وعلى الرغم من انهم يميلون أشد الميل كأمة الى الفسق والفجور تراهم يتأبون على إقامة علاقات مع نساء غريبات»[3]...

---

(١) كلمة الجوييم أو الغوييم تعني كل الناس من غير اليهود ويستعملونها بمعنى الحيوانات. را: التوراة تاريخها وغايتها، نقلاً عن كتاب أحجار على رقعة الشطرنج، م. س. ص٨١.

(٢) معجم التوراة، مادة المشركون بقلم ج. فيريز، نقلاً عن جورج قرم. م. س. ص٦٩.

(٣) نقلاً عن ليون بولياكوف، تاريخ اللاسامية، نيويورك ١٩٦٥. م. س. ص٦٩.

وهذا ما يشير اليه المؤرخ اليهودي يوسيفوس ان هذا التجمع في احياء يعود في أصله الى امتياز منحه لليهود الاسكندر الذي عين لهم حياً بحيث يقل اختلاطهم بالأجانب وتتوافر لهم حرية أكبر في التقيد بفرائض شريعتهم»[1] . .

نحن لا ندري كيف توصل السادات ومن هم في طريق سلامه الى قناعة بأن هكذا سلام يمكن أن يؤدي الى ان يعيش اليهود بين العرب والمسلمين بأمن وسلام، وهذا ما يتعارض تماماً مع نصوص التوراة المزيفة التي لا تبيح لليهود الاختلاط مع غيرهم، وهم حيث تواجدوا يكونون أمام خيارين، اما ان يكونوا لوحدهم في هذا المكان، واما ان يكون معهم شعب آخر يقوم بخدمتهم ولا مجال لأن يتعاونوا معه بحيث يكون له ما لهم من حقوق وكرامة وغير ذلك!؟

ليس من الضروري أبداً في المفهوم الاسرائيلي للسلام أن تتفاعل دولة اسرائيل على حد زعمهم مع العرب او ان يتم التعاون فيما بين الجميع لصالح الانسان، بل السلام معناه عندهم ان تكون بينهم وفي خدمتهم، وأن لا تعترض على ما يقومون به من أعمال، وعلى ما يقولونه من آراء، وان لا يمارس العرب والمسلمون حريتهم في ظل وجودهم اطلاقاً، كيف لا والبارحة صبيحة عيد الأضحى قد تم خطف مصطفى الديراني من منزله في عمق البقاع، وقد اعتبر ذلك عملاً انسانياً تتطلبه مقتضيات السلام[2] ! ولم

---

(١) أورده بارون في تاريخ اليهود الاجتماعي والديني، نيويورك ١٩٣٧، ج١ الفصل٤ م. س. ص٩١.

(٢) مع بداية ما يسمى بعملية السلام في الشرق الأوسط بدأت المجازر ترتكب بحق الفلسطينيين واللبنانيين تحت شعار عملية السلام، فقد أغارت الطائرات الاسرائيلية على البقاع على مركز للمقاومة استشهد ما يقرب من ثلاثين شهيداً وقبله أقدم مستوطن

يلق هذا العمل الاجرامي أي استنكار من قبل العالم المتحضر، ذلك هو معنى ان يعيشوا بيننا أن يخطف الناس من بيوتهم حيثما كانوا، وان يقبل الناس عملهم هذا تحت شعار السلام والأمن ومحاربة الارهاب!؟ فإذا كان معنى محاربة الارهاب ان يخطف الناس من على اليمين والشمال، فما يكون معنى السلام إذن عند إسرائيل؟ إن معناه لن يكون أكثر من أسر هذه المنطقة العربية والاسلامية بكاملها، ان تتهم شعوبها، وان تصادر حقوقها وان يستسلم انسانها إرضاءً لرب اسرائيل الذي لا نعرف عنه سوى انه رب يغضب وينتقم، وقد صارعه يعقوب، وطلب منه الرب ان يطلقه لأنه قد طلع الفجر، فقال يعقوب لا أطلقك إن لم تباركني، فقال المصارع ليعقوب ما اسمك فقال يعقوب، فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. . . الى ما هنالك من خرافات، سبحانه وتعالى عما يشركون. إذن السادات ومن يدور في فلكه هم يجهلون تماماً معنى السلام أو انهم يتجاهلونه لغايات في أنفسهم، والحق يقال: انه لا مجال لأن نعيش بين اليهود، أو لأن يعيش اليهود بيننا، فإما أن يموتوا لنعيش، واما ان نموت ليعيشوا، هكذا اقتضت سنة الحياة ولن تجد لسنَّة الله تبديلا . . .

اسرائيلي على قتل المصلين في المسجد الابراهيمي، اضافة الى خطف وقتل العديد من العلماء في الجنوب اللبناني، لا لشيء إلا لأنهم يطالبون بتحرير أرضهم وانسحاب العدو منها، فإذا كان السلام الاسرائيلي يقضي بأن تبقى إسرائيل محتلة للأرض أو بأن يكون العرب حماة لها، كما فعل ياسر عرفات، فما يكون معنى هذا السلام؟

انها مسرحية لا تخدع المؤمنين ولا تحول بينهم وبين أن يستمروا في مقاومة العدوان. . .

مفهوم الحرب والسلام عند اليهود

تمهيد:

هناك فرق كبير بين التوراة الحقيقية وبين التوراة المتداولة، وقد بينا في أبحاث فلسفة السلام ان الله سبحانه وتعالى من أسمائه السلام المؤمن المهيمن، والتوراة الحقيقية تتضمن هذا المعنى مثلها مثل القرآن الذي هيمن على جميع الأديان وصدق بها، وبما ان السلام في القرآن قاعدة والحرب ضرورة؛ فكذلك السلام في التوراة الحقيقية قاعدة أساسية، لأن الكتب السماوية مؤيدة لبعضها البعض، وقد جاء معناها كاملاً في القرآن الكريم، فمن المستحيل ان تكون التوراة ناطقة بقدسية الحرب ، والقرآن ناطقاً بقدسية السلام ، فاما ان تكون الأديان كلها قد نطقت بقدسية السلام ، واما بقدسية الحرب ، فهي سبل مختلفة كلها تؤدي إلى الإسلام وتدعو إلى الايمان وقد هيمن القرآن عليها وحفظها من التحريف. وما نجده في التوراة المتداولة خلاف ذلك تماماً فهي تتحدث عن حرب دائمة، وتعتبر السلام شيئاً مخزياً، بينما نجد القرآن يُعطي السلام قدسيته وقيمته ويدعو الى

الجنوح لها فيما لو كانت المصلحة فيها، وقد عبر الفقهاء عن ذلك بقولهم انه يحرم المضي في الحرب بعد طلب الصلح . . .

فالتوراة تحدثنا عن مصارعة بين اسرائيل والرب، وان اسرائيل قد غلب الناس جميعاً في صراعه معهم، وهو لم يترك الرب إلا بعد أن باركه الى ما هنالك من خرافات وأساطير وضعت من قبل الكهنة لأجل ان يلحقوا بهم بوصفهم أهل الحق، ومما جاء في التلمود في الحديث عن عظمة اليهود: «انه إذا احتدم الجدال بين الله والحاخاميم فالحق معهم دونه».

ليس يوجد في التوراة نص واحد يدعو الى السلام مع الشعوب الاخرى، وهذا ما بيّناه سابقاً، وما سنبين المزيد منه في أبحاث لاحقة، فكل ما يوجد في التوراة لا يتعدى الدعوة الى الحرب ضد الآخرين والنيل منهم باعتبارهم (جوييم) ويحرم العطف عليهم، وكل شر يفعله اليهودي معهم فهو قربى الى الله.

هذا التمهيد نشير فيه الى حقيقة ان الحرب عند اليهود مقدسة ومطلوبة لذاتها وما حصل لليهود قبل الإسلام وبعده من طرد وسبي وإهانات كان نتيجة لما يعتقده هؤلاء من خيرية الحرب المطلقة والتي لا بد منها للحفاظ على اليهودي في العالم، وهذه الحرب تأخذ عندهم أشكالاً مختلفة، فقد تكون اقتصادية، وقد تكون سياسية، وقد تكون ثقافية، وقد تكون عسكرية، أو نفسية وغير ذلك، المهم ان تستمر الحرب ضد الآخرين، كونهم لا يشعرون بوجودهم إلا من خلالها، فإذا حلَّ السلام شعروا بالهزيمة، ولهذا فهم لا يطلبونه إلا إذا كان حرباً. . .

الحرب المقدسة عند اليهود

تقول التوراة: «هوذا شعب يقوم كلبوةٍ، ويرتفع كأسدٍ، لا ينام حتى يأكل فريسة ويشرب دم قتلى»(1) وجاء في سفر اشعيا ما يلي: «خيوطهم لا تصير ثوباً ولا يكتسبون بأعمالهم، أعمالهم أعمال اثم وفعل الظلم في أيديهم، أرجلهم الى الشر تجري وتسرع الى سفك الدم الزكي، أفكارهم أفكار اثم، في طرقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام لم يعرفوه وليس في مسالكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة، كل مَن يسير فيها لا يعرف سلاماً»(2).

هذاالنص يبين ان اليهود منذ بداية أمرهم قد اختاروا الحرب ونبذوا دعوات السلام لإنها لا تسمح لهم بالنفوذ والهيمنة، ولا تعطيهم فرصة للوصول الى المناصب العالية، ويبين أيضاً مدى اعتبار هؤلاء للحرب في كل الظروف والأحوال، والدليل على ذلك، ما ذكرناه آنفاً، انهم من خلال ما يعتقدونه لأنفسهم من فوقية لم تقبلوا بكل دعوات السلام لا مع

---

(1) انظر: التوراة، سفر العدد، الاصحاح: ٢٣، الفقرة ٢٤..
(2) اشعيا ـ الاصحاح: ٥٩.

الآشوريين، ولا مع البابليين، ولا مع المسيحين ولا مع المسلمين، ولا مع شعوب أوروبا، وإن أفضل سلام حظي به هؤلاء كان في المدينة مع الرسول ﷺ لكنهم لم يعرفوا قيمته وأفسدوا تلك التجربة الفريدة من نوعها، فما كان على الرسول إلا إعلان الحرب عليهم وطردهم. إن الله سبحانه وتعالى لم يجعل لهم سبلاً معوجة وانما هم الذين جعلوا لأنفسهم، هذه السبل، وهذا ما يشير اليه سفر اشعيا الاصحاح ٥٩، وبما انهم اختاروا لأنفسهم الحرب الدائمة فما كان عليهم إلا ان يتحملوا السبي الدائم، وكانوا كلما تعرضوا لأذى شديد أو لحرب إبادة يقبلون الهدنة لاستعادة الأنفاس تماماً كما حصل مع كورش الذي أعانهم على العودة لبناء الهيكل بعد أن تعرضوا للسبي الى بابل.

لكن حربهم اتخذت طابعاً آخر بعد الاسلام وخصوصاً في أوروبا وقبل الهجرة الى فلسطين، حيث انهم بدأوا بالحرب الاقتصادية والتحريض السياسي ضد الحكومات القائمة من خلال شبكات خفية مهمتها زرع الفتن وتغذية الحروب الأهلية حتى يتسنى لهم الدخول الى النظام والوصول الى أعلى المناصب، وقد بلغ مكرهم ودهاؤهم ذروته حينما دخلوا في المسيحية لتهديمها من الداخل وهذا ما أرشدتنا اليه محاكم التفتيش بأسبانيا والتي كانت نتيجتها مذابح بحق اليهود بعد أن أوكلت اليهم مهمة جباية الضرائب...

ان سلاماً يساوي بين اليهود وغيرهم لا قيمة له عندهم باعتبارهم شعباً مختاراً «أنتم أولاد الرب الهكم، لا تخمشوا أجسادكم، ولا تجعلوا قرعة بينكم لأجل ميت لأنك شعب مقدس للرب الهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه

الأرض»[1].

لقد بينت التجارب التاريخية ان أي شعب انعزل عن الشعوب الاخرى واختار لنفسه سبلاً خاصة به، واعتبر نفسه شيئاً مميزاً وشعباً مختاراً له من العدالة ما ليس لغيره من الشعوب الاخرى، شعباً لم يتفاعل مع الأخرين من شأن انعزاله هذا أن يؤدي الى حرب بينه وبين الشعوب الاخرى، وبموجب استقصاء قام به استاذ في جامعة تل أبيب تناول عينه من ١٠٦٦ تلميذاً من المدارس الابتدائية، تتراوح أعمارهم بين ٩ و١٤ سنة أيّد ستون بالمئة من التلاميذ فكرة إبادة السكان المدنيين العرب إبادة شاملة في حال نشوب نزاع مسلح بين اسرائيل وجيرانها. . »[2].

فالإسرائيلي حينما تحدثه عن السلام، يسألك بقوله: السلام مع مَن؟ مع الجوييم؟ مع مَن جعلهم الله في خدمتنا، نحن شعب الله المختار وكرامتنا انما تكمن في أن يكون الآخرون خدماً لنا، وهم لا يميزون في تعاملهم مع غير اليهود بين الناس، وهذا ما ترشدنا اليه الحروب التي وقعت بينهم وبين المسيحيين في أيام الرومان ومن ثم بينهم وبين المسلمين وما زالت هذه الأفكار سائدة حتى اليوم. . . !!؟

---

(١) را: أيضاً، الخروج الاصحاح (٣) ٢١ ـ ١٢. وسفر اللاويين، الاصحاح ٢٢٥ ٤٤ ـ ٤٦، وسفر التثنية الاصحاح (٧)، ٥. وسفر التثنية، الاصحاح (٢٠)، ١٦ ـ ٢٠. ان نهب امة غريبة لا يعد إذن عملاً جائراً بل هو فريضة إلهية صريحة، را: ج منشينغ، علم الاجتماع الديني، دور الدين في العلاقات ما بين الجماعات البشرية، باريس١٩٥١. نقلاً عن تعدد الأديان، جورج قرم. ص٤٣.

(٢) را: شفارتز، العرب في اسرائيل، نيو اوتلوك، عدد كانون الثاني١٩٦٦، ويبدو كما يقول (قرم) ان زمرة من الشبان الأجلاف تكنّ حقداً وضغينة لفئة بعينها من السكان ولا تتردد في حصدها بالرشاشات حصداً إذا ما سنحت لها الفرصة، نقلاً عن شفارتز، والتر، لندن١٩٥٩، تعدد الأديان، م. س. ص٣٦٩.

ان الهدف من هذا البحث هو تبيان حقيقة هامة جداً، وهي ان بعض العرب وغيرهم من الأوروبيين يسعون الى السلام مع اليهود على أساس هشّ جداً، ولا يعرفون بأن النظرية اليهودية تطلب وتدعو اليهودي الى ان يكون في حرب دائمة مع غيره. وان ما يحصل في الواقع من حروب إبادة وتنكيل ما هو إلا تطبيق للنظرية التي ما أنزل الله بها من سلطان، فإذا كان لا بد من السلام مع هؤلاء، فذلك يجب أن يعمل له بدأً من النظرية بحيث يعمد العالم الى اقناع اليهود بأن تطبيق نظريتهم التلمودية في الواقع لا تسمح بقيام سلام عادل في العالم، وما يمكن ان نشير اليه هنا هو ان اسرائيل بعد ان توصلت مع ياسر عرفات الى اتفاق غزة وأريحا أولاً طلبت منه وقبل توقيع الاتفاق، وقبل تنفيذه على الأرض ان يحذف من ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية مبدأ مزاولة العنف ضد اسرائيل وازالتها من الوجود، وقد استجاب عرفات لهذا الطلب. !؟ لذا فإن السلام في العالم يبقى بحاجة الى تصحيح النظرية اليهودية التي تقدس الحرب، فإذا لم تصحح النظرية، فغداً قد يأتي اسرائيلي ويلغي كل ما يسمى بالسلام اليوم على الرغم من ان السلام المزعوم الذي قوامه الأمن الاسرائيلي هو بحد ذاته تطبيق للنظرية اليهودية وليس فيه شيء لصالح العرب والمسلمين، فإذا كان هذا السلام الحرب كذلك فماذا سيكون نوع السلام وكيف فيما لو وصل شامير وشارون وغيرهما الى الحكم على حد قول بعض الحكام؟

يقول جورج قرم: «ان اليهودية التي تعاود اليوم انبعاثها، في نظر مدرسة بكاملها، أيضاً من مدارس الفكر اليهودي، من خلال دولة اسرائيل العبرية تجد نفسها ملزمة، تحت طائلة خيانة نفسها بنفسها بأن تقيم معظم أسس الدولة الجديدة على التنزيل

التوراتي»[1] .

لا شك ان البعض يرفض التمييز بين القادة الاسرائيليين، ونحن نميل الى هذا. لكن لا بد من التسليم بوجود عقليات مختلفة ومفاهيم مختلفة، إذ ان بعض القادة في اسرائيل يرى بأن الدولة العبرية يمكن ان تحقق بالغزو السلمي أكثر مما يمكن تحقيقه بالحرب، وبعضهم يرى بأن الحرب هي الوسيلة الوحيدة لذلك، فالعقلية الأولى يمثلها رابين، والثانية يمثلها شارون، وفي كلا الأمرين مصلحة اسرائيل هي الهدف وليس مصلحة العرب أو العالم أجمع؟ إن العرب إذا كانوا يطمحون الى سلام حقيقي وعادل، فهل بإمكانهم أن يحملوا اسرائيل ليس على الخروج من بعض فلسطين فقط، بل على ان تغير بعض النصوص في التوراة أو في التلمود التي تقدس الحرب وتدعو الى استئصال أو على الأقل استعباد غير اليهود.

هناك نص في التثنية يقول: «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح، بمعنى الاستسلام، فإن أجابتك وفتحت لك فكل الشعب فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك، يعني المدنية المستدعاة للصلح، بل عملت معك حرباً فحاصرها واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك. . . »[2] .

---

(١) را: قرم، جورج، تعدد الأديان، م. س. ص٣٧.

(٢) تثنية ٢٠/١٠ ـ ١١. اما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيباً فلا تستبقِ منهم نسمة ما. . . كما أمرك الرب الهك. . سفر التثنية، اصحاح ٢٠/١٦ ـ ٢٠.

يسأل أحد الباحثين: انه إذا كان الشعب أي شعب يعلم مسبقاً انه للتسخير والاستعباد فلماذا يصالح؟ أليس الموت في ساحات الوغى أشرف وأسمى!؟ والكلام نفسه يقال لمن يصالح اليوم، للحكام الذين يرون انه آن الأوان لكي نعيش مع إسرائيل وبينها بأمن وسلام!؟ فهل الحكام الذين يسارعون الى هكذا صلح لهم ان يضمنوا الكرامة والحرية والسيادة على أرضهم، وهل عندهم نص تاريخي واحد يثبت ان اليهود قبل الاسلام وبعده قد أخلصوا واحترموا العهود والمواثيق؟ هل لديهم قناعة بأن هكذا صلح لن يؤدي الى تسخيرهم واستعبادهم؟

إن ما جرى لياسر عرفات في (واشنطن) حينما همَّ لمصافحة رابين ولم يكترث هذا الأخير له فيه دليل واضح على ان هؤلاء لا يدعون الى صلح ولا يدخلون فيه: لا إذا كان فيه من الذل والهوان ما يكفي للآخرين!!

أليست الحرب أشرف من هذا السلام الذي يراد به الحرب بوسائل اخرى؟

إن السبل المعوجة اليهودية، لا تواجه بسبل معوجة، بل سبل قويمة، فإذا لم يكن سلاماً مثلما نريد، فلا يكون سلاماً مثلما يريدون، وإذا كانوا هم أي اليهود، في حرب مقدسة دائمة، فلما يختار بعض العرب والمسلمين السلام الدائم سواء أكان فيه مصلحة لهم أم لا؟ صحيح ان الاسلام قد اعتبر السلام أساس العلاقة مع الآخرين، إلا ان ذلك ليس معناه ديمومة السلام بغض النظر عن مصلحة الاسلام والمسلمين، وانما معناه ان المسلمين يمكنهم أن يسالموا من يدعو الى السلام، وفي نفس الوقت يمكنهم أن يحاربوا إذا ظلموا واعتدي عليهم، ولهذا فقد شرَّع الله الحرب الدفاعية

لأجل ان يكون السلام ممكناً، فإذا كان بعض العرب يريد إلغاء حالة الحرب بهدف تحقيق السلام ـ كما يزعم ـ فذلك لا يعني أبداً الطاعة لله ولرسوله إلا ان يكون هذا السلام ضامناً للكرامة وللحرية وللسيادة. . . فالسلام لا يقدس على أساس إلغاء حالة الحرب، كما هو الحال عند اليهود الذين قدسوا الحرب على أساس إلغاء حالة السلام، فهو قد يقدس من خلال حالة الحرب ذاتها، وقد يقدس بوسائل اخرى توافق المصلحة العليا، مما يعني انه لا بد من الاستسلام في ظل إلغاء حالة الحرب تماماً كما انه لا بد من الطغيان إذا الغي السلام، ولهذا ـ كما قلنا في أبحاث لاحقة ـ نجد ان سلام العرب اليوم ما هو إلا استسلام يقابله الطغيان الاسرائيلي. وقد يصح القول ان دعاة السلام من عرب ومسلمين دخلوا في تطبيق التوراة من حيث يدرون أو لا يدرون، وإذا ما استمر الوضع على ما هو عليه فلن تكون النتائج أكثر من الاستعباد والتسخير التي يحتوي عليها الصلح الاسرائيلي!؟

ليس من المصلحة أبداً اتهام العدو بالغباء بحيث يقال ان العدو دخل في مفاوضات السلام وخالف نظريته وتخلى عن شعاراته من قبيل الوعد التوراتي «في ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم ـ يعني ابراهيم الخليل عليه السلام ـ ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات» (تكوين ١٥/ ١٨)، وسواء رفض شامير الدخول في مفاوضات مع العرب والفلسطينيين وسواء قبل رابين الدخول في مفاوضات معهم، فإن النتيجة ستكون واحدة وهي عدم إعطاء العرب والفلسطينيين حقوقهم، لأن الفلسطينيين أجلوا عن هذه الأرض أرض الميثاق بقوة السلاح!؟ وما اتفاق غزة وأريحا إلا محاولة من المحاولات التي تقوم بها إسرائيل للتخلص من الانتفاضة بحيث يكون الحكم الذاتي هناك وسيلة من

وسائل حماية إسرائيل وتوفير الأمن لها، كيف لا والعالم كله يعترف بأن هذا السلام ليس الهدف منه إلا أمن اسرائيل ورفاهية اسرائيل . . !؟

ان اليهودية من خلال التوراة المتداولة، والكتاب السري التلمود، لا ولن تتخلى عن نظريتها الداعية الى الحرب بما تراه مناسباً، وقد يكون من المناسب فعلاً ان يفكر العرب والمسلمون بطرد هؤلاء من فلسطين، وإذا لم يتمكنوا من ذلك فما عليهم إلا ان يبقوا هذا الشعب بعيداً عن الناس حتى لا يعديهم بفساده، وهذا هو الشيء الذي يريده لنفسه من خلال نزعته الحصرية[١] ، باعتبار ان عدم التفاعل مع هذا الشعب من شأنه أن يبقيه شيئاً شاذاً يعيش على المساعدات من هنا وهناك الى حين تحقق هزيمته الاقتصادية والعسكرية، اذ انه من الغريب فعلاً ان يسمح لهذا العدو بأن يستمد مقومات وجوده وبقائه من خيرات المسلمين ومن تعاونهم معه وكأنهم يجهلون خططه ومحاولاته للسيطرة على هذا العالم. . . فضلاً عن معصية الله في ذلك. نعم إذا كان العدو يريد الصلح ولا بد من قبول هذا

---

(١) لقد قام جان جوستير بدراسة قانونية مستفيضة للمؤسسات الطائفية اليهودية ولامتيازات الطائفة وعلاقاتها بسلطة الدولة المركزية في ظل الامبراطورية الرومانية. . . لكن من الثابت على كل حال ان الطوائف اليهودية في الحواضر الاغريقية أفلحت بسرعة في التمييز عن روابط القيادات الوثنية. . ولم يكن ذلك ممكناً بالنسبة الى العبادة اليهودية نظراً الى طبيعتها الحصرية، يقول جوستير: كان العصر القديم يحترم الى درجة عالية جداً مبدأ الحرية الدينية، وكان يسيراً عليه ان يفعل ذلك بسبب التسامح الرحب الذي كانت الآلهة القومية تتعامل به فيما بينها، وبالمقابل كان إله اسرائيل وحده شرساً ومتوحشاً، وما كان على استعداد لأن يرد بالمثل على التسامح الذي كان يمكن ان يقابل به كان إلهاً غيوراً في المقام الأول، وكان يحرم على المؤمنين به إتيان عدد كبير من الأعمال التي كان اهمالها يستوجب العقاب لدى سائر الشعوب: را: اليهود في الامبراطورية الرومانية، أوضاعهم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، نقلاً عن جورج قرم. ص٩١.

الصلح عند العرب والمسلمين، فإرادته له لا تتم من خلال وجوده على أرض فلسطين، بل من خارجها مما يسمح للعرب بأن يصالحوا اليهود على اساس انهم غير معتدين، وإذا كان التخلي عن فلسطين من قبل اليهود والصهيونية غير ممكن، فكذلك الصلح معهم هو غير ممكن أيضاً، لأنه اعتراف بإسرائيل على أرض فلسطين، وهذه معصية محرمة شرعاً. . .

إن إصرار اسرائيل على تهويد فلسطين، يجب أن يقابله إصرار عند العرب على الحرب، وبما أن اسرائيل في سلامها المزعوم وقبولها للمفاوضات لا تهدف الى التعايش مع العرب، أو الى إقامة علاقات طبيعية معهم، فإن دخول بعض العرب في المفاوضات لا ينبغي ان تكون نتيجته قبول السلام على أساس ان تتمتع اسرائيل بخيراتهم، وهنا نكرر ما قلناه ان اليهود دخلوا في حرب جديدة مع العرب، حرب تكرّس الوجود الصهيوني على أرض فلسطين، وتمكن اليهود من الاستيلاء على ما تبقى من الأراضي والخيرات والثروات، فليكن سلام العرب من نوع سلامها ما دامت محتلة ولا تريد علاقات طبيعية، ونعني بذلك فليكن سلام العرب حرباً جديدة، ومحاولة جديدة لاستعادة الذات والكرامة والسيادة، وهناك ما يشجع على الاستمرار في الحرب مع اسرائيل لأن زعماء الصهيونية أكدوا على استحالة التعايش مع العرب، وهذا ما صرح به بن غوريون، الذي لم يؤمن قط بإمكانية التعايش مع العرب، ويعتبر علاقاته بالعرب خارقة للمألوف حقاً على اعتبار انه لا وجود لها، ففي عالم بن غوريون، في دولته، لا مكان للعرب، فلا هو عرفهم ولا بوده أن يعرفهم»[1] .

ان ما يؤسف له ان العرب والمسلمين يقرأون ويعرفون جيداً ما تسعى

(١) ميشيل بارزوهار. م. س. نقلاً عن تعدد الأديان، جورج قرم.

اليه اسرائيل، وعلى الرغم من ذلك فهم مقتنعون بأن أمريكا ستكون الى جانبهم من أجل تحقيق السلام! ولا يهمهم أن يكونوا على وعي تام لحقائق كثيرة منها ان أمريكا لم تُدن إسرائيل يوماً ما على فعل فعلته لا في لبنان ولا في أي منطقة في العالم، ويعلمون أيضاً بأن مشروع أول رئيس إسرائيلي هو ذاته المشروع الذي يحمله رابين اليوم، وكان مدعوماً من بريطانيا وأمريكا وساهما مساهمة فعالة في تحقيقه، ولم يكن هذا العمل مرضياً لإسرائيل تماماً لإنها تريد أكثر من ذلك، يقول أول رئيس لدولة اسرائيل: «كان الغرب يبشر بالحرية، والشرق يمارس الاضطهاد، لكن كان كلاهما عدواً للإيديولوجيا الصهيونية»[1] !

لا يقال بأن رابين أو شامير غير بن غريون، لأن جميع زعماء الصهيونية الذين عملوا من أجل احتلال فلسطين هم على خط واحد ويعملون لتحقيق هدف واحد هو ان تمتد اسرائيل في الزمان والمكان، من خلال سياسة المجال الحيوي التي تقضي باحتلال الأرض والسيطرة على السياسة والاقتصاد، واذا كان بن غوريون قد قال باستحالة التعايش مع العرب، فهو بذلك يكون قد رسم الخط العريض لكل الزعماء الذين سيأتون بعده وهو ـ في الحقيقة ـ مثالهم الأعلى، ولا يستطيع رابين ان يقول بإمكانية التعايش مع العرب، فإسرائيل من خلال ما يسمى بالسلام تسعى الى الدخول الى عمق هذا العالم العرب والاسلامي لتكون مسؤولة عن كل تفاصيل الحياة فيه بحيث لا يجري شيء إلا بعلمها وعلى وفق رؤيتها ولما يخدم مصلحتها، فما يسميه العرب تعايشاً، ما هو عند إسرائيل إلا الإمساك بناصية هذا العالم، لأن من معاني التعايش ان تتفاعل الشعوب فيما بينها لتطوير

---

(١) حاييم وايزمن، نشأة إسرائيل، باريس ١٩٥٧، ط٢.

العلاقات الانسانية، وما دامت اسرائيل تفهم التعايش على أساس ان يكون لها اليد الطولى على العرب والمسلمين، وان تكون مسؤولة عنهم وبقوة السلاح والمال وغير ذلك ممايظهر اسرائيل قوية وقادرة على ان تفرض شروطها. . . إن هذا الفهم للتعايش ـ الاسرائيلي طبعاً ـ يتنافى مع مفهوم كل الشعوب له، ونحن كنا قد بينّا فيما سبق ان الفهم اليهودي للتعايش أدى الى أن يطرد اليهود من بقاع عديدة من العالم قبل الاسلام وبعده وهنا نشير الى ما حصل لليهود في المجتمع الاغريقي الروماني حيث وقعت حوادث بين اليهود وغير اليهود، ولا سيما في الاسكندرية سنة٣٦ب.م. مما ادى الى فتن واحراق كُنُس، ووجدت نزعة عداء لليهودية نشطة وفعالة، بعد ان كان اليهود قد قُبلوا في المجتمع الاسكندراني أو الروماني الزاهر ولكن نزعة اليهود الحصرية، واعتبارهم لأنفسهم شعباً مختاراً كان دائماً يخلق حالات التوتر الثقافي والاجتماعي، كما اننا لا نجد أي نص تاريخي يتحدث عن وفاق وتعايش بين اليهود وغيرهم، فلم يكن ممكناً معهم وكان لا بد من اتخاذ اجراءات بحق اليهود حيثما وجدوا بعد ان ضُربت عليهم الذلة اينما ثقفوا، مثل تلك الإجراءات التي اتخذها ضد اليهود كل من كاليفولا وفسباسيوست وتراجاقوس، وهوربانوس وعمليات طرد اليهود التي ذاع أمرها من بعض المدن نظير روما. . . كل ذلك يثبت ان العلاقات بين اليهود وغير اليهود لم تكن على الدوام بسيطة، وكانوا حيثما وجدوا يحصلون على امتيازات غير محتملة ولا تطاق لتفادي شرهم، ولم تكن تزيدهم هذه الامتيازات إلا حصرية وانغلاقاً، يقول بارون في تاريخ اليهود الاجتماعي والديني: «وكانت السياسة التمييزية التي ينتهجها اليهود في طريقة عيشهم تبث المزيد من السم في علاقات متوترة

أصلاً»[1] .

إذن معنى السلام والتعايش عند اليهود ان يعيشوا منعزلين عن الناس، لا بمعنى تركهم وشأنهم من دون تدخلات وإثارة للفتن الداخلية، بل اختاروا العزلة لأنهم غير البشر نظراً لاختيار الرب لهم!، ولأنهم لا يقبلون بأن تجري القوانين والأحكام الجارية في المجتمع عليهم، باعتبار ان القوانين الاسرائيلية لا تسمي العرب أبداً كموضوع للتمييز والتفرقة، وانما المسألة بكل بساطة ان بعض تلك الأحكام والقوانين لا يسري مفعولها إلا عليهم، واذا كانوا ضعفاء ولا يقدرون على فرض قوانينهم، فلا يقبلون بأن يحكموا بقوانين الآخرين، أو بأن توضع لهم دساتير من قبل الآخرين، ولعل خروجهم على دستور المدنية كان سببه هذا، باختصار يمكن القول انهم اما ان يحكموا الآخرين وإما أن يعيشوا معزولين، وهذا ما شهدته أوروبا بعد حركات التهجير الكبرى حيث فرض على اليهود ان يعيشوا معزولين عن جماهير الشعوب يحكمهم حاخاماتهم أو حكماؤهم الى جانب القوانين والأنظمة الخاصة التي صدرت لتكون خاصة بهم. . . كل النصوص التاريخية تؤكد على ان اليهود لا يريدون التعايش مع غيرهم، لا مع المسيحيين ولا مع المسلمين، فكل الناس عندهم ليسوا أهلاً لأن يتعامل معهم على أساس إنساني، فمن أين جاءت مقولة التعايش العربية لا ندري؟ وجلّ ما نعرفه عن هذه المقولة هو انها مشبوهة ويراد منها اقناع الناس بضرورة أن يتحقق السلام المزعوم مع اسرائيل!؟ ان بعض الحكام، وحتى بعض الشعوب، اعتادوا على أن يطلبوا الذل بأي ثمن، وهو لا يطلب مباشرة، بل يغطى بكلمات توحي بالعزة والكرامة مثل كلمات السلام والأمن

---

(١) نقلاً عن جورج قرم. م. س. ص٩٩.

وغير ذلك، ولعل السبب في انهيار الخلافة الاسلامية هو هذا: ان الأمة تُحَكِّم بها مَن لا قدرة له على التمييز بين الحق والباطل، بين السلام والاستسلام مما ادى الى الهزيمة على كافة المستويات.

إن ما تعرض له اليهود في العالم لم يكن غير اليهود سببه، بل هم، أي اليهود، الذين اختاروا الحرب والفتن قناعة منهم بأن التعايش مع الشعوب الاخرى فيه معصية للرب، ولا بد من الاستمرار في العمل لأجل إيجاد وطن قومي لليهود يضمن لهم تفوقهم ويزيد في تماسكهم، وكانت النتيجة ان كل حملات الإبادة لليهود والمذابح التي تعرضوا لها في أوروبا قد دفعت بهم الى ان يختاروا فلسطين كوطن قومي لهم، يقول جورج قرم: «إن مذابح اليهود الواسعة النطاق التي شهدتها روسيا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومن خلال عملية الإبادة لليهود في ظل نظام هتلر الفاشي، هذه التجارب العنيفة حملت الصهيونية السياسية بدءاً من عام ١٨٩٧ في مؤتمر بازل سويسرا على ان تفكر وتسعى بكل جهدها لانشاء وطن قومي على حساب الفلسطينيين العرب، من مسلمين ومسيحيين بهدف إعادة تهويد الأرض المقدسة بجميع الوسائل..»[١]

(١) را: أنظمة الحكم وتعدد الأديان، م. س. ص

وقارن مع وليام غاي كار الذي يرى بأن حادثة اغتيال البابا الصغير، للروس قيصر روسيا هي السبب في موجة واسعة من الغضب اتخذت لها تعبيراً بانفجار أعمال العنف ضد السكان اليهود في العديد من الأراضي الروسية، ومررت الحكومة الروسية «قوانين أيار» وقد مرت هذه القوانين القاسية ارضاءً لوجهات نظر الرسميين الروس الكبار الذين قالوا: إذا كانت سياسة التسامح التي اتبعها الكسندر الثاني لم تكن كافية لإرضاء اليهود ومصالحتهم فلن يرضيهم شيء بعد الآن إلا ان يبسطوا سيطرتهم المطلقة على روسيا. وهكذا للمرة الثانية راح الشعب اليهودي بأسره ضحية الجرائم التي يرتكبها الذين نصبوا أنفسهم زعماء لهم.

في الثالث والعشرين من أيار عام ١٨٨٢ طلب وفد يهودي برئاسة البارون جينز بيرغ،

ان التجارب التاريخية فيها من الدلائل ما يكفي لمعرفة اليهود على حقيقتهم وما يسعون اليه من خلال حروبهم التي تأخذ أحياناً شكل الحرب

مقابلة القيصر الكسندر الثالث للاحتجاج على القوانين المذكورة ووعد القيصر بإجراء تحقيق شامل في القضية بأجمعها وخاصة فيما يتعلق بالأزمة بين اليهود وغير اليهود من سكان الامبراطورية الروسية وفي الثالث من أيلول أصدر البيان الآتي: «منذ مدة والحكومة تولي بالغ العناية لليهود، ومشاكلهم ولعلاقاتهم مع سائر سكان الامبراطورية مع الانتباه للأوضاع المحزنة للسكان المسيحيين الناشئة عن الطرق التي يستعملها اليهود في قضايا العمل والمال، خلال العشرين سنة الماضية لم يكتف اليهود بالسيطرة على كل التجارات والأعمال بفروعها بل سيطروا أيضاً على أجزاء كبيرة من الأراضي اما بشرائها أو بزراعتها وباستثناء قليل، كرس اليهود جهودهم كمجموع، ليس لإثراء الدولة ولفائدتها بل لخداع الشعب الروسي بحيلهم الملتوية، وقد قاسى الفقراء بنوع خاص من هذا، وقد تسبب ذلك في تصاعد الاحتجاجات من الرعايا وتجلى ذلك في أعمال العنف التي قام بها الشعب ضد اليهود، وقد سعت الحكومة لتخليص اليهود من الاضطهاد والمذابح لكن لا يسعها تحت ضغط ملح إلا أن تتبنى القوانين القاسية لتخليص الشعب الروسي من اضطهاد اليهود واعمالهم الشريرة التي يمارسونها على بقية السكان والتي كانت السبب الأصلي لأعمال العنف ضدهم، ان إقرار قوانين أيار لم يكن فقط انتقاماً لمقتل القيصر الكسندر الثاني وانما كان نتيجة للتحذيرات المتوالية التي وجهها الإقتصاديون الروس للحكومة بهدف الحد من النشاطات المالية غير المشروعة التي يمارسها اليهود والتي تهدد الاقتصاد الروسي بالخراب، وأشار الاقتصاديون الى ان اليهود مع انهم لا يشكلون سوى نسبة ٤,٢٪ من سكان الامبراطوية فقد أثروا بشكل يهدد الاقتصادي الروسي بالكوارث. جاء في الموسوعة البريطانية طبعة عام١٩٤٧ في المجلد الثاني الصفحة ٧٦ حول قوانين أيار ما يلي: كانت قوانين أيار الروسية هي قمة ما وصلت اليه اللاسامية في العصر الحديث، وكان من نتائجها حصول أزمة نقدية مدمرة أحس بها المواطنون في كل أجزاء البلاد وتركت آثارها العميقة على القرض الوطني، وكان الوزير الروسي يسعى بكل جهده للحصول على المال، حيث دخلت الحكومة الروسية في مفاوضات مع دار روتشيلد للحصول على قرض كبير ووقع الطرفان اتفاقاً مبدئياً إلا ان دار روتشيلد أبلغت وزير المال الروسي انه ما لم تتوقف أعمال الاضطهاد ضد اليهود فإن الدار ستكون مضطرة للانسحاب من العقد... را: أحجار على رقعة الشطرنج، م. س. ص١٥٢، ١٥٣.

وأحياناً شكل السلام، فلا مجال عندهم لمسالمة أحد، ولا للتعايش مع أحد، وكل همهم ان تكون لهم الهيمنة السياسية والاقتصادية على البلاد، وهم لا يتورعون أبداً عن اشعال فتيل الحروب الداخلية اذا تعرضوا لأي ضغط من قبل غير اليهود مثل ما فعلوا في الحكومة الروسية حينما مررت قوانين أيار، على الرغم من ان نسبتهم كانت ضئيلة جداً قياساً على سكان الامبراطورية، وقد تمكنوا من فرض العقوبات الاقتصادية عليها من خلال زبانيتهم في العالم حتى وصلوا بها الى درجة الافلاس، هذا هو ما يعنيه التعايش اليهودي والسلام اليهودي!! فإذا كان العرب اليوم اهلاً لأن يفرضوا شروط السلام، أو على الأقل لعدم قبول شروط الاستسلام، فبإمكانهم ان يحفظوا سيادتهم واقتصادهم واستقلالهم، أما إذا كانوا عاجزين عن ذلك فلا يسعهم الا الخروج من مفاوضات تدفع بهم الى الافلاس سياسياً واقتصادياً في وقت هم أحوج ما يكونون فيه الى القوة السياسية والاقتصادية...

فإسرائيل تريد ان تغزو هذا العالم تحت شعار السلام، لأن من مبادئها الغزو السلمي إذا كان يؤدي الى أكثر مما تؤدي اليه الحرب، «سوف نسلك، كما يقول اليهود، في دولتنا التي سنشيدها طريق الغزو السلمي التسللي وبذلك نتجنب فظائع الحروب المكشوفة ونتائجها فنستعيض عنها بوسائل أقل فداحة، وأضمن نتائجاً، كأحكام الإعدام بالجملة الضرورية لممارسة حكم الإرهاب الكفيل بتأمين خضوع الجماهير الأعمى لنا»[1] وليس عجيباً أبداً ان يترافق التوقيع على اتفاق غزة أريحا في القاهرة مع نشوب حرب في اليمن قيل بأن عدد القتلى بلغ فيها بعد شهر من القتال ما يقرب من عشرين ألف قتيل، فهذه أحكام إعدام بالجملة ولا يستطيع أحد أن يبرأ أمريكا والصهيونية

---

(١) وليام غاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، م. س. ص٦٢.

العالمية مما يجري في اليمن، وغالباً ما تعجز الصهيونية عن الغزو السلمي فتضطر الى إرهاب الحرب مثلما حصل في الاسبوع الفائت في لبنان تاريخ ٢/ ٦/ ١٩٩٤ حينما أغارت الطائرات الاسرائيلية على مركز تدريب للمقاومة الاسلامية مما أدى إلى استشهاد عدد كبير من المقاومين، وقبلها قامت اسرائيل بعملية كومندوس وخطفت أبو علي الديراني ليلاً من منزله ومثلما يحصل كل يوم في الجنوب نتيجة لعجز إسرائيل عن المواجهة المباشرة. إذن النظام الاسرائيلي وإن كان يتحدث عن السلام وعن الحرية وعن الكرامة، فهذه كلها كلمات لا معنى لها إلا عند الشعب اليهودي، ولا حق للآخرين بأن يرددوها ويحصلوا عليها. انه نظام له طبيعة واحدة، ووجه واحد هو وجه الحرب وهو غير مؤهل للاستمرار، لأن أي نظام له هذه الطبيعة الواحدة لا يمكنه ان يستمر، بل لا بد من أن يكون للنظام الحقيقي وجهان، وجه الى الحرب وآخر الى السلام، ويكون جاهزاً لأن يتعايش أو أن يتعامل مع البشر على أساس ما تفرضه الوقائع والأحداث، فإذا كان الواقع يحتاج الى سلم فيكون النظام قادراً على المسالمة، وان كان الواقع يحتاج الى حرب فتكون الحرب. اما ان يكون النظام نظام حرب فقط ولا قدرة له على التعايش مع الآخرين إلا من خلال القوة فذلك ما يجعله مهدداً في كل لحظة بالزوال لأن طبائع الناس هي أقرب للسلام منها الى الحرب، فإذا وجدت نفسها أمام نظام همه الأول والأخير هو الحرب، فإنها ستجد نفسها ملزمة باستئصال هذا النظام مهما كانت النتائج. ان النظام اليهودي هو في جوهره نظام حرب ولا يعرف السلام إلا إذا كانت له نتائج الحرب، هذا ما عبرت عنه النظرية اليهودية نفسها «جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجّة، كل مَن يسير فيها لا يعرف سلاماً». فلا داعي إذن لأن يدخل العرب والمسلمون في سلام تكون نتائجه

أسوأ من الحرب، كما انه لا ينبغي أن يتحولوا عما جعلهم عليه الاسلام من اعتدال حينما طلب منهم أن يجنحوا للسلام إذا جنح لها العدو، وان يحاربوا إذا تبين لهم ان عدوهم لا يريد السلام، فهم ـ أي العرب والمسلمين ـ ليس ولا ينبغي ان يكونوا على وجه واحد باختيار طريق السلام الدائم بحيث يتحول الأمر فتصبح اسرائيل متميزة بنظام حربها، والعرب والمسلمون متميزون بنظام له طبيعة واحدة هي طبيعة السلام الذي لا قيمة أخلاقية له. إن المطلوب اسرائيلياً منهم أن يكونوا من طلاب سلامها المسلح؟ أي ان يقدموا التنازلات للعدو في مقابل الحصول على العيش المجرد، أي مجرد الأكل والشرب وغير ذلك! يقول الفقهاء: «إن هذين الوجهين وجه الحرب، ووجه السلام، هما على عملة واحدة، وكلاهما سبب لبقاء الحكومة والنظام، والنظام ذو البعد الواحد الذي يطلب السلم دائماً أو الحرب دائماً لا يمكنه الاستمرار في العالم»[1] فإذا اختار العرب السلام الدائم فلا يكون ذلك من طبيعة وجودهم ولا من صميم نظريتهم، بينما اذا اختار اليهود الحرب الدائمة فهم بذلك يطبقون ما تقضي به نظريتهم المتداولة التوراة المحرفة والتلمود السري. غاية القول انه لا ينبغي للعرب أن يقبل بأن تحدد اسرائيل لهم طبيعة أنظمتهم، تماماً مثلما ان اسرائيل لا تقبل بأن يحددوا لها طبيعة نظامها، فإذا حصل ان قبل العرب لأنفسهم ما تحدده اسرائيل لهم، فذلك يعني ان العرب والمسلمين قد ادخلوا أنفسهم في نفق مظلم سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وثقافياً لا تخرجهم منه إلا الحرب الشاملة ضد اسرائيل... وحتى يكون ذلك ممكناً لا بد من الحرب على النفس أولاً لأجل استئصال كل الأمراض الخطيرة التي حملتهم على هذا الاستسلام

(١) را: جعفر السبحاني، عقائدنا الفلسفية والقرآنية، دار الروضة، ص٢٥٨.

تحت شعار السلام والتعايش!؟ وعلى تصديق مقولة أن حزب العمل في اسرائيل همه السلام وهو متفق مع أمريكا على ان تتقدم المفاوضات على أساس أن يكون للعرب بعض الحقوق مقابل ما ستحصل عليه اسرائيل منهم على امتداد العالم العربي الاسلامي!!؟

الفصل الخامس

مفهوم الحرب والسلام عند المسيحيين

مفهوم الحرب والسلام عند المسيحيين

تمهيد:

في الحديث عن الأديان، وعما تتضمنه من مبادىء وقوانين سواء في الحرب أو في السلام لا يسعنا إلا التأكيد على ان كل الأديان السماوية من حيث جوهرها ـ كما أنزلت من الله تعالى على الأنبياء، لا تتضمن أية قدسية للحرب. بل كلها دعت الى السلم واعتبرته قاعدة أساسية في العلاقات بين البشر، وبما أن القرآن هو آخر الكتب المقدسة المنزلة، والذي لم تصله يد التحريف، فإنه يتضمن هذه الحقيقة ويدعو الى ضرورة ان تكون البشرية متسالمة فيما بينها، لا بمعنى ان تكون في حالة سلم دائمة سواء أكان لهذا السلم معناه أم لم يكن، بل لا بد من الجنوح الى السلم إذا كان ضامناً للحرية والكرامة وغير ذلك من المبادىء الانسانية التي لا بد من الحفاظ عليها في أوقات الحرب والسلم معاً.

الله سبحانه وتعالى يصف القرآن بالمهيمن حيث قال تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً**

عليه﴾[1] ، ومعنى الهيمنة هنا هو ان القرآن حافظ للأديان ومشتمل عليها، باعتبار انه جاء مكملاً لها ومتضمناً لكل ما يحتاج اليه الانسان على طول الزمان والمكان، «ان رسول الله ﷺ قد أرسل بنظام واسع وشريعة كاملة أكمل من جميع الشرائع وكتابه خاتم الكتب والحافظ لها. كتاب يحافظ على المبادى القديمة بمعنى انه اذا حدث تحريف في الكتب القديمة فإنه يمكن الرجوع اليه لبيان ذلك التحريف».

وبما ان القرآن قد اعتبر السلام قاعدة أساسية، والحرب ضرورة، فمعنى ذلك ان كل الكتب (التي هي بين يديه كالتوراة والانجيل الحقيقيين) قد تضمنت هذه الحقيقة، باعتبار ان الله هو منزل كل الكتب ومن غير المنطقي ومن غير المعقول أبداً ان تعتبر الحرب قاعدة وأساساً في التوراة والإنجيل، وضرورة واستثناء في القرآن، مما يعني انه لا بد من الرجوع الى القرآن لمعرفة القاعدة الأساسية في العلاقات بين البشر، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾**[2] .

من جملة ما بيناه فيما سبق ان التحريف في التوراة (في مفهوم الحرب والسلم عند اليهود) قد أدي الى تقديس الحرب واعتبارها خيراً مطلقاً عند اليهود من دون أن يكون للسلام أي معنى أو قيمة، بل اعتبروا الجنوح للسلم مخالفة للتوراة إلا إذا كان يؤدي الى اسعباد الناس وتسخيرهم كما في سفر

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الممتحنة، الآيتان . ـ ٩.

التثنية «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح، فإن أجابتك وفتحت لك فكل الشعب فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك» تثنية: ٢٠/ ١٠ ـ ١١. ان السلام في الاسلام الذي من معانيه الجزية والكرامة والسيادة وعدم الحرب، هو عند اليهود استعباد وتسخير وحرب على الانسانية تحت شعار التقرب الى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، اما الحرب عند المسيحيين والسلام، فهذا ما نريد التعرف عليه في هذا الفصل، لنرى ما إذا كان المسيحيون يقدسون السلام فعلاً، وما هو نوع الحرب عندهم وشكلها، هل هي دفاعية وضرورة؟ وما هو نوع السلام الذي تدعو اليه المسيحية بعد أن طالتها يد التاريخ أيضاً؟

مفهوم الحرب والسلام في المسيحية

جاء في رسالة بطرس الأولى: «أما أنتم، أيها المسيحيون، فجنس مختار وكهنوت ملكوتي، امة مقدسة، شعب اقتناء لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة الى نوره العجيب»(١) يقول جورج قرم: «ولن يحجم القديس بطرس عن القول، مقتبساً في أرجح الظن عن اليهودية الشعور بأن الانتماء الى الجماعة الدينية النبوية هو وحده القمين برفع الانسان الى ما فوق الحالة البربرية»(٢) ... الذين قبلاً لم تكونوا شعباً وأما الآن فأنتم شعب الله»(٣).

إن المسيحيين في صراعهم الطويل مع اليهود قدسوا الحرب، وكان شعارهم دائماً، من ليس معنا فهو علينا، عملاً بقول المسيح عليه السلام: «من

(١) رسالة بطرس الأولى، الاصحاح الثاني، ٩.
(٢) را: تعدد الأديان وأنظمة الحكم، دار النهار، ص١٣٤.
(٣) رسالة بطرس الأولى، الاصحاح الثاني، ١٠.

ليس معي فهو عليّ»[1] ، وهذا الشعار أدى بهم الى ان يخوضوا الحرب ليس ضد اليهود فقط، بل ضد المسلمين فيما بعد حيث انهم لم يعترفوا بالرسول الأكرم ﷺ واعتبروا أنفسهم المخلصين لهذا العالم من خلال نشر تعاليم المسيح ولو بقوة السلاح. منطلقين تحت شعار «اننا نؤمن بالالوهية الواحدة للآب والابن والروح القدس، الذين يجمع بينهم جلال متماثل وثالوث مقدس ونأمر بألا يتسمى باسم المسيحيين سوى أولئك الذين يتبعون هذه العقيدة وبأن يطلق على سائر الآخرين الذين يحيدون عنها، كائناً ما كان السبب، اسم الهراطقة الشائن، وبألا يطلق على اجتماعاتهم اسم الكنيسة، وان يعانوا أولاً من القصاص الإلهي، ثم من كل اجراء قد نتخذه بإلهام من السماء»[2] .

يقول بوسويه: «مهما يكن الملك عظيماً من أي جانب أتيته، فإن أول ما يميزه ايمانه لاسجاياه وحميد خصاله، فهو يذود عن حمى الدين من داخل المملكة وخارجها، وإلى أقاصي العالم، وقوانينه هي من أمنع معاقل الكنيسة. . . وان يهاجم الهراطقة بكثرة من الوسائل. . . فما ذلك لأنه يخاف على عرشه. . . وانما لأنه يحب شعوبه، ولأنه لا يعرف من استعمال للقوة التي رفعته يد الله اليها والتي لا تضارعها قوة في العالم أروع من استخدامها في شفاء قروح الكنيسة»[3] .

هنا لا بد من كلمة في السياق التاريخي وهي انه بعد ولادة

---

(١) انجيل لوقا، الاصحاح الحادي عشر، ٢٣.
(٢) نقلاً عن ف. موريه: تاريخ الكنيسة العام المجلد٢ باريس ١٩٢٠.
(٣) بوسويه، مقال في التاريخ الكوني، نقلاً عن جورج قرم، كتاب تعدد الأديان، ص١٣٣، وبوسوية هو من كبار رجال الدين والأدباء الفرنسيين في عهد الملك لويس الرابع عشر.

عيسى عليه السلام ودعوته الى الله الواحد الأحد والى المحبة والسلام ومكارم الأخلاق، وبعد تأييده للوصايا والتشريعات التوراتية الحقيقية عده اليهود منهم، ولكن ما لبثوا ان انقلبوا عليه بعد ان رد عليهم ما يدعونه لانفسهم. . . ولما رأوه يعمم رسالته ودعوته تألبوا عليه وأخذوا يناوئونه . «لقد بلغت ثورة المسيح على التزييف ذروتها عندما دخل الهيكل مع تلاميذه وراح يقلب موائد الصيارفة ويخرج التجار وينتهر البائعين والشارين، قائلاً لهم: إن هذا البيت هو بيت صلاة في حين أنكم جعلتموه مغارة لصوص»[1] .

هذا العمل حمل اليهود على أن يتربصوا به شراً، فتآمروا مع السلطات ورشوا أحد تلاميذه «يهوذا» لخونه ويدل الشرطة عليه، فأوقعوا به وغلوه وحملوه الى بيلاطوس النبطي الذي ما لبث ان خضع لمآرب اليهود فنفذ في المسيح (شبهه) الجلد والصلب»، لقد انتهت الحرب بين اليهودية والوثنية الرومانية لتبدأ حرب جديدة بينها وبين المسيحية الرومانية ذلك ان قسطنطين ٢٨٨ ـ ٣٢٧م. الذي اعتنق المسيحية حاول اكراه اليهود على التنصر وقتل كثيرين من الممتنعين وتشرد الكثيرون. . . ان الحرب التي أعلنها اليهود على المسيح والمسيحيين لم تهدأ، والعداء بينهم لا يمكن وصفه وقد أدى الى مجازر كثيرة حملت اليهود على التشتت في بقاع الأرض بعد ان رفضوا المسيحية وناصبوها العداء في كل مكان، يقول الدكتور حسام الضيقة: «ثم تتالت ثورات اليهود في الاسكندرية وأنطاكيا واليمن وقد شعروا بالهزائم المتتالية والنكبات فهي ثورات يأس كانت تقهر في الغالب، وهذه الحقبة تمثل عداء اليهودية للنصرانية خير تمثيل، فهل تذكر المسيحيون اليوم

---

(١) اديب صعب، الأديان الحية، دار النهار، ١٩٩٣، ص١٥١.

ذلك[1]؟

لا شك ان الغاية من هذا العرض التاريخي الموجز ليس فقط بيان ما حصل بين اليهود والمسيحيين من حروب، بل هناك هدف آخر نسعى للوصول اليه وهو ان المسيحيين تأثروا بكثير من النزعات اليهودية[2]، وحاولوا ان يفرضوا على المسلمين فيما بعد ما حاول اليهود ان يفرضوه عليهم في كل الحقب التاريخية، باعتبار ان الصراع اليهودي المسيحي واليهودي الاسلامي، والمسيحي الإسلامي قد استمر لقرون في أوروبا[3]،

---

(١) را: مجلة الغدير، عدد٢٣، ٢٤ ١٩٩٣.

(٢) لقد سلك اليهود في الماضي سلوكاً حصرياً، ثم ما لبث المسيحيون ان فعلوا بهم ما كانوا فعلوه هم أنفسهم بالشعوب الاخرى، بل كالوا لهم الكيل كيلين، وهكذا ارتدت الى نحرهم من خلال مسلك المسيحيين، الحصرية عينها التي ورثها المسيحيون عنهم رافعين إياها الى مرتبة الكمال، والحق ان الدولة المسيحية لا تستطيع ان تضع اليهود والمسيحيين في أية علاقة غير تلك التي عينتها لهم ماهيتهم الدينية وطائفتهم، را: تعدد الأديان وأنظمة الحكم، م. س. ص٣٢١، نقلاً عن باور، المسألة اليهودية. لقد حاول بعض المسيحيين على طول التاريخ ان يجعلوا من الصراع مع المسلمين صراعاً مساوياً لصراعهم مع اليهود، رغم التقارب الموجود بين المسيحية والإسلام، وسنرى في هذا البحث كيف ان النظرة قد تغيرت الى المسلمين بعد قرون من الصراع، ولم تحل هذه الحصرية دون فتح أبواب الحوار، في حين ان الصراع مع اليهود ما زال مستمراً رغم كل الدعوات من قبل بعض المسيحيين الى فتح أبواب الحوار مع اليهود في فلسطين.

(٣) مما تجدر الاشارة اليه هنا، هو ان رجال الدين المسيحيين لم يستطيعوا نسيان الخسارة التي لحقت بهم وبكنيستهم نتيجة لانتشار الاسلام في بقاع واسعة من الأراضي التي كانت المسيحية تتزعم الأديان فيها، وهذا جعل رجال الكنيسة يشعرون دائماً بالرغبة في الانتقام من الاسلام والمسلمين، والذي يريد المزيد من هذا الفيض فعليه بمصادر التاريخ الأوروبية قبل العربية... هذا بالنسبة الى الصراع مع المسلمين، اما الحرب مع اليهود، فهي أيضاً كانت على اشدها، فالمسيحيون، وان اعترفوا بموسى عليه السلام وتوراته، الا انهم كانوا لا يزالون ناقمين على اليهود افتراءهم على عيسى وامه، ولذلك سنوا في معاملتهم قوانين الإذلال والاستئصال... لقد مرت

والحروب المسيحية اتخذت طابعاً مزدوجاً، فبعد ان كانت الحرب بينهم وبين اليهود والهراطقة كما تسميهم المسيحية، أصبحت بينهم وبين اليهود من جهة، وبينهم وبين المسلمين من جهة اخرى، وذلك حصل من منطلق

على اليهود أيام سوداء قاتمة في أوروبا على أيدي المسيحيين الذين قادوا حملة إبادة رهيبة ضدهم... ففي ٣ أيار ١٠٩٦م وفيما كانت الجيوش الصليبية الزاحفة الى فلسطين، قد وصلت الى اسبير في المانيا، قام الجنود بقتل ١١ يهودياً رفضوا التعميد وأصدر مجلس لاتران الرابع عام١٢١٥م قراراً يحتم على اليهود والمسلمين، ان يميزوا أنفسهم عن غيرهم بلبس أثواب خاصة ووضع هذا المجلس المبدأ القائل، بأن اليهود على بكرة أبيهم قد فرضت عليهم العبودية الأبدية لأنهم صلبوا المسيح... اما في فرنسا فالوضع بالنسبة لليهود كان لا يقل سوءاً ومأساوية فلقد انتقلت عدوى ذبح اليهود الى هناك، فذبح في يوم واحد ١٥٠ يهودياً في كارنتان، ورامرو، وسلي، وفي تولوز أرغم اليهود أن يبعثوا بممثل لهم الى الكنيسة، في يوم الجمعة الحزينة من كل عام ليتلقى صفعة على أذنه بمثابة تذكرة لهم خفيفة بخطيئتهم الأبدية، يقول ديورانت: «كانت أيام السلام مليئة بخوف اليهود من خطر المذابح الذي لا ينفك يهددهم، وكان على كل يهودي أن يحفظ عن ظهر قلب الدعاء الواجب عليه ان يتلوه في ساعة الاستشهاد، را: قصة الحضارة، ج١٤، ص٩٤. هذا هو حال اليهود بين المسيحيين، لكن ما هو حال المسيحيين بين المسلمين، يقول ديورانت: «ذهب المسلمون في حماية المسيحيين الى أبعد حد، اذ عين والي انطاكية في القرن التاسع الميلادي حرساً خاصاً ليمنع الطوائف المسيحية المختلفة من ان يقتل بعضها بعضاً في الكنائس، را: ج١٢، ص١٣٢. في مقابل كل ذلك نجد ان الاسلام عاش اليهود والمسيحيين في ربوع دولته ولم يتعرضوا لأذى، يقول جورج قرم: إن أهل الكتاب وبخاصة النصارى منهم، خصهم القرآن بوضع مميز، والجهاد في الاسلام لا يلزم بنشر راية الاسلام بالقوة، بل يلزم الذود عن حياضه ضد من يعتدي عليه، را: تعدد الأديان وأنظمة الحكم، م. س. ص٢٢٦. وقا: مع غوستاف لويون، في حضارة العرب، ص٥٩، حيث يقول: كان النبي ﷺ كثير المسامحة لليهود والنصارى خلافاً لما يظن، وان القوة لم تكن عاملاً بانتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم ولم ينتشر الاسلام بالسيف بل بالدعوة وحدها. ان ذلك كله يحتم علينا القول بأن سلام المسيحيين مع المسلمين ممكن، اما مع اليهود فهو غير ممكن، واذا كان الفاتيكان قد قال بإمكان ذلك وأقدم على الاعتراف بالكيان الصهيوني، فذلك مما يمكن اعتباره خروجاً على النص والتاريخ وعلى المسيحية نفسها!!؟

انهم شعب الله وأمة مقدسة من الواجب عليها التبشير على نحو يحقق إنسانية المسيح الكبرى، «لقد كانت البابوات لأمد طويل من الزمن من أشد المتحمسين للحملات الاستعمارية الكبرى، ففي براءة منحها البابا نيقولاوس الخامس الى هنري الملاح[1] سنة ١٤٥٤ اقر للبرتغال بـ «حق فتح واخضاع جميع البلدان التي هي في قبضته أعداء المسيح من المغاربة المسلمين أو الوثنيين، وكان الملوك بدورهم يجمعون بين الفتح وبين التبشير الانجيلي، فقد ورد في صك الانابة الموجه من فرنسوا الأول الى جاك كارتييه[2] في رحلته الثالثة الى كندا، ذكر لأهالي البلاد الأصليين الذين لقنوا «حب الله وخوفه» والذين يتوجب عليهم ان يعودوا الى حيث كانوا برفقة عدد غير قليل من الرعايا الفرنسيين من ذوي الاستعداد الطيب، كيما يهدوا بسهولة أكبر شعوب تلك البلاد الى عقيدتنا المقدسة، ويضيف المؤرخ، مؤرخ الإرساليات التي يروي هذه الواقعة قوله: «كان في ذلك جمع بين الاستعمار والتبشير بالانجيل في روح واحدة»[3].

فهذا البابا اربان الثاني (بابا روما) عندما افتتح عصر التوسع الصليبي ضد المسلمين، في ١٦/ ١١/ ١٠٩٥م ٤٨٨هـ ألقى خطابه المشهور الذي أعلن فيه بدء الحروب الصليبية، ولما انتهى من القاء خطابه في مدينة كليرمونت بفرنسا صاح الجميع صيحتهم المشهورة «هذه هي إرادة الله»، وجاء في خطاب البابا قوله: «بأمر الله تتوقف العمليات الحربية بين

---

(١) هنري الملاح: امير برتغالي (١٣٩٤ ـ ١٤٦٠) وجه بعثات استكشافية عدة الى الشواطىء الافريقية.

(٢) جاك كارتييه: ملاح فرنسي (١٤٩١ ـ ١٥٥٧) استولى على كندا سنة ١٥٣٤ باسم فرانسوا الأول.

(٣) را: جان ماري سيدس، تاريخ الارساليات الفرنسية، باريس١٩٥٠.

المسيحيين في أوروبا، ويتجه هؤلاء بأسلحتهم الى هزيمة الكفرة المسلمين، وصاح البابا يخاطب جماهير الناس الذين احتشدوا لسماع خطابه. لقد كنتم تحاولون من غير جدوى إثارة نيران الحروب والفتن فيما بينكم، فالآن اذهبوا وازعجوا البرابرة وخلصوا البلاد المقدسة من أيدي الكفار وامتلكوها لأنفسكم فإنها كما تقول التوراة تفيض لبناً وعسلاً، وأعلن البابا في نفس الخطاب ان كل مَن يشترك في هذه الحروب تغفر له ذنوبه، ويدخل في حماية الكنيسة المسيحية وتقدم الألوف من المسيحيين الذين استمعوا للخطاب البابوي وحملوا الصلبان رمزاً للاستجابة لحامل الصليب الأكبر وهو البابا وبهذا عرفت هذه الحروب باسم الحروب الصليبية لاتخاذها الصليب رمزاً ودليلاً..»[1] وهذا البابا بينوا الرابع عشر الذي اشتهر بكونه أكبر حبر في القرن الثامن عشر لم يتردد عن مباركة فولتير، كان يريد بهذا ان يشكر فولتير لأنه أهداه مسرحيته التراجيدية «محمد أو التعصب (١٧٤١) وهي مسرحية هجائية فجة يستطيع ان يكتب مثلها، وفي أي موضوع، أي محترف كتابة، أديب وسيء الضمير ولقد لقيت المسرحية، برغم بداياتها العسيرة، صيتاً سمح لها بأن تسجل في قائمة مؤلفات مسرح الكوميدي فرانسيز»[2].

ان كل شكل من أشكال المعادة للإسلام والمسلمين، حتى وان صدر من اعداء صريحين للكنيسة، كان يتلقى في فترة ما تأييداً حاراً من كبار شخصيات الكنيسة الكاثوليكية، وذلك لم يكن إلا بسبب ما تدعو اليه النظرية المسيحية التي فهم أصحابها منها ضرورة ان يقوموا بالحرب

(١) فايد حماد محمد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، ط١٩٨١، ص٩٥.

(٢) موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، دار الأفكار، ط١، ١٩٩١، ص١٣٦.

والاستعمار لأجل نشر إنسانية المسيح الكبرى، تحت شعار: مَن ليس معي فهو عليّ، وغير ذلك من الشعارات التي اعطيت معنى الحرب المقدسة تارة ضد اليهود، وطوراً ضد المسلمين، أو ضدهما معاً.

ليس صحيحاً ما ذكر في الغرب من ان المسيحية تقدس السلام وتنبذ الحرب، لأن تاريخها يشهد على انها خاضت كثيراً من الحروب تحت شعار القداسة، وما ينسبه الغرب اليهاَ اليوم من محبة السلام والسعي اليه مهما كان نوعه وشكله وروائحه، هي في اصلها نسبة تعود الى ما صارت اليه الكنيسة بعد ان انتصرت الدولة في الغرب، وبعد ان فصل بين الدين والدولة ولم يعد للكنيسة أي تأثير في السياسة، حيث أبعدت هذه ولم يعد مسموحاً لها بأن تمارس دورها على الأرض، لأنها كانت السبب في تخلف الغرب في العصور الوسطى، فجاءت العلمنة لتحل كل المشاكل والتعقيدات في الغرب، وقد ادعى هذا الأخير بأن الدين هو سبب التخلف الذي وقعت فيه أوروبا، فما كان عليه إلا ابعاد الكنيسة عن الواقع بهدف افلات العلم من عقاله، اذ انه قد استوحى بأن الدين ضد العلم مما دفع به الى عزل الدين والكنيسة عن شؤون المجتمع وسياسته لحساب بناء الدولة البرجوازية ودعمها... والعمل على رفع الوصاية الدينية عن التعليم تمكيناً للفطرة الانسانية من الاختيار»[1].

يقول جورج قرم في بيان هذه الحقيقة: «اما سقوط الصفة الحرمية عن قانون المجتمعات المسيحية الغربية فقد تبدى لنا انه ثمرة لسلسلة من الاحداث التاريخية والمواصفات الاقتصادية الاجتماعية أكثر منه نتيجة

(١) محمد عمارة، الاسلام والعروبة والعلمانية، دار الوحدة ١٩٨٤، ص٥٨، وقا: مع العلمانية، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، دار مجد، ط١، ١٩٨٠، ص١٢٥.

محتومة لمنطق التنزيل الانجيلي، صحيح ان رجال القانون المؤمنين، ومن ورائهم الكنيسة يؤكدون اليوم. . . ـ بعضهم بتردد وتحفظ ـ ان الوحي السماوي لا يتناقض والدولة العلمانية، الا ان توكيدهم هذا لا يعدو ان يكون تبريراً أيديولوجياً لتطور تم على صعيد الواقع. . . كما ان الادارة البابوية ومدرسة فكرية كاملة كانتا قد رأتا في الدين حتى مطلع هذا القرن عنصراً جوهرياً لا غنى عنه لكل نظام دولاني صحيح ومتين»[١] . . .

ان بعد الكنيسة عن شؤون المجتمع لم يعد يسمح لها بأن تقرر الحرب أو السلم، وموقعها اليوم في الغرب يشابه موقع المسيحية في الامبراطورية الرومانية الى حد كبير، يقول الشيخ شمس الدين: «وكانت النظرة الرومانية الى المسيحية من جملة ما ورثه الغرب ولما كانت تعاليم المسيح لا تؤتي الغربيين نفعاً مادياً فهم لذلك يميلون الى عزلها عن الحياة عزلاً تاماً»[٢] .

فإذا كانت المسيحية تقدس السلام، كما يقول الغربيون اليوم، فذلك لأنها ابعدت عن شؤون المجتمع، ودورها يقتصر اليوم على الدعوة الى السلام، لا السلام الذي تريده، وانما السلام الذي يريده الغرب، فهي تبرر اليوم كل شيء! ولا قدرة لها على صنع شيء، لكنها إذا خليت ونفسها، فإنها لن تتورع أبداً عن القيام بما تمليه عليها النظرية من حيث كونها مشتملة على نصوص الحرب ضد اليهود والمسلمين أو كما تسميهم الهراطقة الشائن[٣] ،

---

(١) را: تعدد الأديان، م. س، ص٣٧٠.

(٢) الشيخ محمد مهدي شمس الدين، نظام الحكم والادارة في الاسلام، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، دار مجد، ١٩٩١، ص٢٤.

(٣) فقد جاء في اعمال الرسل: «لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد اعطى بين الناس به ينبغي ان نخلص» اعمال الرسل، الاصحاح الرابع١٢٢، يقول جورج قرم: وعليه سرعان ما ستحولها الرسالة التبشيرية الى فتوحات اقليمية وسياسية، وقد كان شارلمان

وقد وصل الضعف بالكنيسة الى ان تسالم كل الذين كانت في حالة حرب معهم قبل الاسلام وبعد الاسلام، فنلاحظ انها تدعو الى التخلي عن كل الاحكام المسبقة التي صدرت عنها بحق المسلمين. . . وأقدمت على تبرئة اليهود من دم المسيح وعلى الاعتراف بهم في فلسطين، وهذا ما يدفع بنا الى القول بأنها (أي المسيحية) لم تكن في حربها ضد الجميع أمة مقدسة. كما انها لن تكون مقدسة في سلامها للجميع، حيث أن هناك عدواً حقيقياً على المسيحيين أن يكونوا في حالة حرب دائمة معه، وهذا الصراع هو في حقيقته صراع وجود، والقداسة تقتضي استمرار هذا الصراع لا أن ينتهي بين ليلة وضحاها وكأن شيئاً لم يكن!؟ فاليهود قتلوا المسيح؟ وما زالوا قتلة، واغتصبوا القدس وفلسطين وما زالوا مغتصبين، فما معنى ان يتبرأ اليهود من دمه غير ان يكون الغرب وساسته قد دفعوا بالكنيسة الى ان تعقد سلاماً لا تبرره النظرية المسيحية ولا تعترف به!؟ اما انتم ايها المسيحيون فجنس مختار. . . وأمة مقدسة، كما جاء في رسالة بطرس الأولى، انما أنتم كذلك اذا استمريتم بنشر رسالة المسيح على نحو يمكنكم من ان تكونوا أحراراً في العالم من خلال الاستمرار في الصراع الوجودي مع اليهود، وأنت تلتقون بذلك مع أمة المسلمين التي قدسها الله تعالى بقوله: ﴿**كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله . . .**﴾، فلا

يعاقب بالموت الساكسونيين الذين يرفضون المعمودية، جاء في نص كارولنجي (نسبة الى السلالة الكارولنجية الفرنجية التي حكمت في القرنين التاسع والعاشر وكان من أشهر ملوكها الامبراطور شارلمان) «فيما الامبراطور يحارب، يرفع البابا يديه الى الرب، كما كان يفعل موسى، كيما يُكتب بشفاعته الظفر للشعب المسيحي في كل زمان ومكان على أعداء اسمه الأقدس، وكيمايمجد اسم سيدنا يسوع المسيح في العالم قاطبة» را: جورج قرم، تعدد الأديان وأنظمة الحكم، م. س. ص١٣١، نقلاً عن الاوغسطينية السياسية. . .

قداسة لأمة على وجه الأرض ولا في السماء إذا دخلت في سلام يسخرها ويستعبدها . . !؟

وما تجدر اليه الإشارة هنا هو ان هناك عدداً غير قليل من الآيات القرآنية يشيد بالمسيحية وهذا في ذروة المناظرة العقائدية، بل يضرب القرآن مثلاً بموقف المسيحيين مثلاً بالقياس الى موقف اليهود، قال تعالى: **﴿لتجدنَّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون﴾**(1) .

ان الناس جميعاً نالهم الأذى من وراء اليهود، وهم لم يقتربوا من أحد اطلاقاً لا من المسيحيين ولا من المسلمين(2) ، بل كانوا في حالة حرب دائمة، والدليل الكافي والوافي كما ذكرنا سابقاً هو ان المسيح ﷺ طردهم من الهيكل، والرسول ﷺ طردهم من المدينة، هناك شيء إيجابي جداً وله أهميته اليوم ويمكن ان ينظر اليه بعين الموضوعية والانصاف وهو ما أقدمت عليه الكنيسة مؤخراً من إلغاء كل الأحكام المسبقة عن الاسلام والمسلمين، فالوثيقة التي طبعتها سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسيحيين اثر مجمع الفاتيكان الثاني بعنوان توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين التي طبعت للمرة الثالثة في عام ١٩٧٠، فقد دعت

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

(٢) ان التقارب الاسلامي المسيحي قد يكون له ما يبرره في النصوص المقدسة، وفي العقل أيضاً، إلا اننا لا نفهم معنى ان تقدم الكنيسة على احداث تقارب مع اليهود في ظل ما هم عليه من عداوة وكراهية وافساد في الأرض، فإذا كان الدافع الى ذلك هو نبذ الحرب نهائياً وحب السلام، فإن ذلك وحده لا يكفي لسلامة المسيحيين، فيما لو أرادوا سلاماً حقيقياً. . .

الوثيقة الى استبعاد الصورة التي يصور المسيحيون المسلمين عليها، تلك الصورة البالية التي ورثنا الماضي إياها، وشوهتها الافتراءات والأحكام المسبقة، ثم اهتمت الوثيقة بالاعتراف بمظالم الماضي التي ارتكبها الغرب ذو التربية المسيحية في حق المسلمين، والوثيقة تذكر أيضاً بأن سكرتارية الفاتيكان قد دعت المسيحيين منذ عام ١٩٦٧ الى تقديم تهانيهم الى المسلمين بمناسبة عيد الفطر. . . الى غير ذلك مما تضمنته الوثيقة من سياسة الانفتاح والحوار مع المسلمين بوصفهم يعبدون إلهاً واحداً مع المسيحين»[١] . . .

حقيق بنا القول هنا، ان ما دعت اليه الوثيقة، فقد دعا اليه الاسلام منذ (١٤٠٠) سنة حيث قال تعالى: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله. . .﴾**[٢] .

ان المسلمين طالبوا بالحوار وعملوا من أجله، لكن اليهود كانوا دائماً سباقين الى الأذى وعملوا جاهدين لمنع التقارب المسيحي الاسلامي، ومن المفيد القول ان السياسة الغربية في القرون الماضية حالت دون هذا التلاقي ودفعت بالمسيحيين الى الحروب الصليبية التي سميت زوراً بذلك وهدفت الى استعماره تحت شعار الصليب، ولعل الذين ربطوا بين التبشير والاستعمار هم أولئك البابوات الذين وظّفهم الغرب للإيقاع بين المسيحيين والمسلمين، ولا يخفى على أحد بأن اليهود كانوا دائماً يوظفون من يعمل لصالحهم من المسيحيين ومن المسلمين، وهناك مرحلة مهمة يجدر ان

---

(١) موريس بوكاي، م. س. ص٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

تدرس بعناية لدى بحث علاقة النتائج بالأسباب التي أدت اليها عام ١٢١٥ حيث عقدت الكنيسة الكاثوليكية المؤتمر المسكوني الرابع وكان الموضوع الأساسي قيد الدرس هو التعديات اليهودية في سائر الأقطار الأوروبية، خلال هذه الحقبة من التاريخ كان زعماء الكنيسة والدول يعملون متحدين، ولقد عبر زعماء الكنيسة بعد المشاورات المناسبة عن رضاهم التام لجانب استمرار الحملات الصليبية! واصدروا كذلك المراسيم والقرارات للحد من الربا الفاحش الذي كان اليهود يمارسونه بغية تجميع الثروات الواسعة عن طريق الممارسات غير المشروعة وغير الأخلاقية التي كانت تعطيهم امتيازاً اقتصادياً على منافسيهم من غير اليهود؛ وللتوصل الى ذلك أصدر المندوبون في المؤتمر المسكوني الرابع مراسيم تقضي بتحديد إقامة اليهود في المستقبل بأحيائهم الخاصة، كما منع اليهود اطلاقاً من استخدام المسيحيين لديهم كأجراء أو توكيلهم في معاملاتهم، وكان الدافع لهذا التدبير الأخير منع التجار اليهود من اتخاذ المسيحيين واجهات في أعمالهم، فقد كانوا يعقدون الصفقات المشبوهة بواسطة بعض العملاء المسيحيين الذين كانوا يتحملون الوزر والعقوبة حتى افتضاح الأمور، كما حظرت على اليهود استخدام المسيحيات في منازلهم أو مؤسساتهم...»[1].

إن العالم الإسلامي ، كالعالم المسيحي ، لم ينج من المصائب اليهودية ، حيث اذكوا (أي اليهود نار الحرب بين الفرق الكلامية الإسلامية ، من جهة وبين المسلمين والمسيحين من جهة ثانية ليخلو لهم وجه أبيهم ! وما يؤسف له هو أن اليهود قد تمكنوا ـ لأسباب كثيرة ـ من بث الفرقة بين الجميع وحالوا بينهم وبين ان يكونوا امة مقدسة تأمر بالمعروف

(١) وليام غاي كار، احجار على رقعة الشطرنج، دار النفائس، ط١ ١٩٧٠، ص٥٦.

وتنهى عن المنكر ، وقد اسلفنا القول أن الحركة الإسلامية ابتليت منذ أول عهدها باليهود ، وما زالت مبتلية بهم إلى يومنا هذا . . . [١] .

إذا كان من الايجابية والسلام أن تدعو الوثيقة الصادرة عن سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسيحين إلى حوار بناء وفعال بين المسلمين والمسيحين ، فهل من القداسة والسلام أن يدعى إلى حوار بين المسيحين واليهود على الرغم من أن هؤلاء لم تثبت التجربة انهم اصحاب حوار وتعايش . . ؟

مما لا شك فيه انه لا خلاف جوهري ، بل لا تناقض بين الانجيل والقرآن ، وكما يقول موفق سعيد: «إن الديانتين لم تختلفا إلا لما قام من عداء بين اتباعهما[٢] وكما يقول جورج قرم: «وقد يأخذنا العجب حينما نجد النصارى يُقرنون باليهود ، مع ان المسيحين من عرب الحجاز صدعوا لمحمد بلا لأي»[٣] [را: سورة ال عمران ، آية: ٦١ ورا: جورج قرم س

(١) نحن لا نبرىء اليهود مما جرى ويجري بين المسلمين أنفسهم من جهة وبين المسلمين والمسيحيين من جهة ثانية، وبين المسيحيين أنفسهم من جهة ثالثة، وإن كان البعض ينفي ان تكون لليهود هذه القدرة على ذلك، أي على اذكاء نار الفتن والحروب الداخلية سواء على المستوى النظري أو على مستوى الواقع . . .

(٢) موفق سعيد ، خطوات نحو انهاء الصراع بين المسيحية والإسلام ، بيروت ١٩٦١ ، ص٢١٦ .

(٣) إن النصارى على الرغم مما تتضمنه أناجيلهم هم أقرب إلى المسلمين منهم إلى اليهود رغم كل ما جرى بينهم من حروب التي استغلت فيها المسيحية استغلالاً من قبل رجال السياسة بمعاونة بعض البابوات الذين فهموا المسيحية على أنها حرب دائمة على اليهود والمسلمين ، في حين أن المسيحين ليسوا كذلك ، فهم كانوا في حالة حرب مع اليهود ولم يكونوا في حالة حرب مع المسلمين إلا بعد أن تمكن اليهود من زرع الفتن بين الشعوب ومما يدل على هذه الحقيقة هو ما ذكره جورج قرم من ان المسيحيين العرب في الحجاز بعد حجاجهم لرسول الله ﷺ بشأن عيسى عليه السلام قد صدعوا له بعد أن بين لهم رسول الله ﷺ حقيقة النبي عيسى عليه السلام ، وقد ذكر

ص . ٢٠٦] ومرد ذلك إلى سببين ، اولهما التطور العقائدي لفكر محمد الذي تمثل وحدانية الله في نظره الركن الأول في التنزيل الإسلامي ، بينما كانت مسيحية شبه الجزيرة العربية قد انحطت على نحو لا يخلو من خطورة إلى عبادة تثليثية لا يمكن وصفها بأنها قويمة ، وقد ندد بها القرآن تنديداً شديداً ، اضف إلى ذلك أن ما لم يمكن للإسلام أن يطيقه أو يقبله هو افتراض المسيحية الشعبية السائدة عصرئذ بأن الله اتخذ له ولداً . . بينما المنطلق الأول للإسلام أن لا إله إلا الله» قال تعالى: **﴿انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه فأمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد﴾**[1] .

في مقابل ذلك نجد الإختلاف الجوهري بل التناقض بين التوراة والإنجيل ، فالتوراة ليس فيها شيء من الاخلاق ، فضلاً عن التوحيد ، فاليهود يعتبرون انفسهم جماعة مختارة من قبل الرب ، وخارج هذه الجماعة تنتفي كل ضروب الأخلاق ، ويحق لها أن تسبى وتنهب وتستعبد كل الجماعات الأخرى يقول منشينغ : «ان نهب اعضاء امه غريبة لا يعد اذن عملاً جائراً بل هو فريضة الهية صريحة»[2] على هذا النحو يصدر يهوه امره الى موسى بنهب المصريين»[3] ، كذلك يبيح سفر اللاويين الرق متى ما

العلامة الطباطبائي ان وفد نجران الذي قدم على رسول الله المدينة ، وبعد الكلام الذي جرى بينه وبينهم الذي تضمن عدة اسئلة لهم اجابوا عليها ببلى وسكتوا ولم يجيبوا بكلمة واحدة فانزل الله فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية ، را: تفسير الميزان ج٣ ، ص١٨ .

(١) سورة النساء ، الآية: ١٧١ .

(٢) ج: منشينغ ، علم الإجتماع الديني ، دور الدين في العلاقات ما بين الجماعات البشرية ، باريس ١٩٥١ .

(٣) سفر الخروج؛ الإصحاح الثالث ، ٢١ ـ ١٢ .

طال الأغراب دون سواهم «أما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم ، منهم تقتنون عبيداً وإماء ، وايضاً من ابناء المستوطنين النازلين من عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم في ارضكم فيكونون ملكاً لكم ، وتستملكونهم لابنائكم من بعدهم ميراث مُلك ، واما اخوانكم بنوا اسرائيل فلا يتسلط إنسان على اخيه بعنف»[1] ومن جملة ما يذكره اليهود في كتبهم عن المسيح والمسيحين ما سبق لنا أن ذكرناه ونكرر هنا للفائدة ، قولهم عن المسيح انه ابن غير شرعي ، حملته امه وهي حائض رغم أنهم في البداية ـ قد عدوه منهم ، وكانوا ينتظرونه ، وانه مجنون ، مضلّل ، صلب ثم دفن في جهنم فنصبه اتباعه ـ أي المسيحين ـ منذ ذلك الحين وثناً لهم يعبدونه!؟ واما بشأن المسيحين وبقية الأمم ، فيقول الأب براناتيس: «والحقيقة ان لا شيء اكثر مقتاً مما يمكن تصوره عما يقوله هؤلاء عن المسيحين ، فهم يقولون عنهم وثنين ، واسوأ انواع الناس ، وانهم اكثر سوءاً من الأتراك المسلمين ، القتلة ، الفاسقين الحيوانات بل هم لا يستحقون أن يسموا بشراً ، فهم بهائم بأشكال ادمية . . . »[2] .

فالمسيحيون لا يعترفون بكل ما جاء في كتاب التوراة ، ولم يقبلوا بكل ما انتشر من كتابات تستهدف تعريف الناس برسالة عيسى ، ولذلك قامت الكنيسة باجراءات حذف هامة جداً لعدد كبير من الأشعار . . . ولم تعترف إلا باناجيل اربعة . . . [3] .

---

(١) سفر اللاويين ، الأصحاح الخامس والعشرون ـ ٤٤ ـ ٤٦ .

(٢) باقر شري ، نحن واليهود إلى أين، دار القارىء ، ط٢ ١٩٩٢ ، ص٥٦ . عن فضح التلمود ص٥٧ .

(٣) إن اليهود لا يعترفون بأي وحي جاء بعد موسى وهذا ما ينقله القرآن عنهم حيث قال

نعود إلى ما كنا قد اثرناه من تساؤل ، هل من الإيجابية والسلام أن يبرأ اليهود من دم المسيح ، وان يدعى إلى حوار يهودي مسيحي في ظل احتلال الصهانية لفلسطين؟ لقد بينا أن ما بين المسلمين والمسيحين لا يمنع من التقارب والتلاقي والتحاور لأن الإسلام يعترف بالمسيحة ويحترمها ، والعدد الكبير من المسيحين قديماً وحديثاً اعترف بالإسلام وإن لم يلتزم بكامل ما جاء به ، وهذا ما اشرنا إليه من ان نصارى نجران صدعوا لمحمد ﷺ وقد جاءت وثيقة سكرتارية الفاتيكان لتعبر عن هذه الحقيقة من أن الجميع يعبدون الهاً واحداً ، وفي المقابل هناك الكثير مما يمنع من التحاور والتلاقي مع قتلة الأنبياء ، قتلة يسوع الذي يقول المسيحيون انهم صلبوه (أي اليهود) ، نحن لا ندري كيف يمكن ان تتم المصالحة بين الفاتيكان واسرائيل ، وما هو نوع العلاقات التي ستقام بينهما ؟ وهل أن

تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل مَن انزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس تجعلُونَهُ قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعُلّمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ سورة الأنعام ، الآية: ٩١ هم انكروا نزول الكتب من السماء على وجه العموم لا لشيء إلا مبالغة في انكار نزول القرآن فالزموا بما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى ، بينما المسيحية تعترف بالتوراة ، ولكن زادت بعض الإضافات عليها ، ومما يؤسف له ان القصص التوراتية التي اختلقوها هي التي تشكل اليوم ما يسمى بـ«العهد القديم» الذي يعتبره المسيحيون الأساس الذي يرتكز عليه العهد الجديد ، ومما يثير العجب اكثر هو هذا الجمع بين كتاب يتضمن الحقد والكراهية والحرب الدائمة على البشرية وبين كتاب آخر يتضمن المحبة والسلام والرحمة اشارة إلى قول المسيحين إن الله محبة ، وقول السيد المسيح عليه السلام : سمعتم انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، واما أنا فأقول: احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا إلى بنو عمكم وصلُّوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السموات فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين متى ٥/ ٤٣ ـ ٤٤ . فهل السلام المسيحي يرتكز على هذا ، وكيف تمّ الجمع بين هذين الكتابين. . ؟؟

اليهود اعترفوا بالمسلمن والمسيحين؟ هل اعترفوا بالنبي عيسى عليه السلام ، وبالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتابوا عما فعلوه على امتداد التاريخ؟

وهل ان الفاتيكان مقتنع تماماً بأن اسرائيل تريد السلام فعلاً ؟

هنا بامكاننا أن نشير إلى مسألة هامة يعيشها العالم المسيحي ، وهي ان الإنسان إذا اخطأ ، وإذا اراد ان يغفر له ذنبه ، فإنه لا بد ان يذهب إلى الراهب كي يغفر الله له بواسطته ؟ وإذا كان ذلك كذلك ، فكيف غفر لليهود؟

وهل تنازلوا عن شيء للمسيحين حتى يعطوا الأمان والسلام؟

إن معنى أن تقترب المسيحية من الإسلام شيء ، وان تقترب من اليهود الظالمين شيء آخر ، فلا ينبغي أن يساوي بين عالم اسلامي حضن المسيحين ودافع عنهم(١) ، وبين اليهود الذين منذ أن وجدوا هم متربصون

---

(١) قلنا فيما سبق ان المسلمين ذهبوا في حماية المسيحين إلى ابعد حد إذا انهم وضعوا حرساً خاصاً في القرن التاسع عشر يمنع الطوائف المسيحية المختلفة من أن يقتل بعضها بعضاً في الكنائس: را: الإسلام والمسيحية ، شريف محمد هاشم مؤسسة الوفاء ، ط١ ١٩٨٨ . ص٤٢٨ نقلاً عن قصة الحضارة ، ج١٢ ، ص١٣٢ . ويكتب ارنولد بصدد اسبانيا الإسلامية: لو اخذنا بعين الإعتبار المشاعر الدينية الاهبة التي كانت تعمر افئدة الجماهير الأسبانية المسلمة ، واستفزازات المسيحين للحكم الإسلامي باتصالهم وتأمرهم سراً مع ابناء دينهم في الطرف الآخر من الحدود ، لبدا لنا تاريخ اسبانيا في ظل الإسلام بريئاً على نحو ملفت للنظر من الاضطهادات . . را: التبشير بالإسلام . نقلاً عن تعدد الأديان وانظمة الحكم . م . س ص٢٣٤ ، ومما يمكن ذكره ايضاً هو ان السلاطين العثمانيين قد لعبوا دوراً مهماً دور الحكم بين الطوائف الدينية غير المسلمة التي نادراً ما كانت تقوم بينها علاقات طيبة حتى في داخل منظومة الطوائف المسيحية وقد جاء نشر مجموعة صغيرة مثيرة من الفرمانات العثمانية ، ازيح النقاب عنها مؤخراً ليشهد على عدم تحيّز السلطات الإسلامية عصرئذ. والجدير بالذكر أن ما من فرمان من الفرمانات الناظمة لشؤون النصارى

شراً بالمسيحين ، وكما قلنا انه لا تناقض بين الإسلام والمسيحية. . . ومن المعقول جداً أن تنتفي كل ضروب العداء بين المسلمين والمسيحين فيما لو خلص القادة لشعوبهم ، لكن ليس من المعقول ابداً أن تنتفي هذه العداوة مع اليهود بمجرد انهم طلبوا السلام لأن النظرية اليهودية والتطبيق اليهودي لا يعرفان للسلام أي معنى باعتبار: «ان الحرب المقدسة منقوشة في قلب اللاهوت التوراتي»(١) .

يقول الشيخ شمس الدين: «نحن نفهم ان تصالح الدول المسيحية اسرائيل وتحالفها ، اما المسيحية نفسها كايمان فنحن لا نستطيع أن نفهم ولا نعقل أن تصالح اسرائيل ، هناك خلل خطير ينبغي البحث عنه ومن هنا تحفظنا الكبير على مشروع اعتراف الفاتيكان باسرائيل ، فالفاتيكان عندنا ليس دولة وانما هي دين ، كنيسة ، افهم أن فرنسا او اسبانيا أو ايطاليا تتحد مع اسرائيل وتصالحها وتحالفها ، اما المسيحية نفسها كما تعتقد نفسها وكما تؤمن بنفسها وهنا اتكلم بلغة اللاهوت هل نفس المسيح بالمفهوم اللاهوتي هذا الإله المتجسد (بحسب المعتقد المسيحي) يذهب إلى كهنة الهيكل وكتبة التلمود ويصافحهم هذا ما لا افهمه ؟(٢) .

إن المسيح طردهم من الهيكل حين جعلوه مغارة لصوص ، ولو عاد اليوم لطردهم منه ، ولكانت الحرب بينه وبينهم على اشد مما كانت في

واليهود يتضمن وصفاً جارحاً را: جورج قرم ، تعدد الأديان ، م . س ص٢٤٤ . نقلاً عن اوربيل هيد ، وثائق عثمانية حول فلسطين ١٥٥٢ ـ ١٦١٥ ، اكسفورد ١٩٦٠ .

(١) را: جورج قرم ، تعدد الأديان وانظمة الحكم ، م . س . ص٣٢١ .

(٢) را: الشيخ شمس الدين . محمد مهدي مداخلات وحوارات ، تحت عنوان ، تسوية ام شرعنة واقع نشرت في الصحف اللبنانية (السفير ، نداء الوطن ، اللواء ، بتاريخ ١٩٩٤/٣/٢٢ .

زمانه؛ وعلى المسيحية أن تنسجم مع نفسها في ما تدعو إليه من حرب أو سلام فلا تجعل كل الناس سواسية سواء كانوا اعداءً أم اصدقاء ، نحن هنا نتذكر كيف أن البابا استنكر عمليات الإعدام التي كان يقوم بها المسلمون في ايران تحت شعار حقوق الإنسان !؟ ولكنه لم يقف أي البابا هذا الموقف من اسرائيل حينما بقرت بطون الحبالى في فلسطين وحينما احتلت القدس رغم أن اعدام العملاء في إيران وقتلة الشعب هو عمل مشروع في المسيحية كما في الإسلام ، فلما كان الاستنكار في مكان دون اخر!؟

«من ليس معي فهو علي» فاليهود لم يكونوا مع المسيح ، ولن يكونوا معه وسيبقى مفسداً ولصاً في نظرهم إلى أن تقوم الساعة . والصراع اليهودي المسيحي قبل الإسلام وبعده هو خير دليل على أن اليهود لا يسالمون احداً ، ولا يتعايشون مع احد وكل همهم هو أن يصلوا إلى حكم العالم باساليب غير مشروعة وعلى حساب المسيحين والمسلمين معاً كما حصل في فلسطين باقامة كيان يهودي على حسابهم جميعاً»(١) .

---

(١) إن السلام بين المسلمين والمسيحين يبقى قائماً ومستمراً ما دام هناك صراع مع اليهود ، ونحن هنا نتكلم عن الشعوب المسيحية والإسلامية وليس عن الدول والأنظمة ، فإذا ارادت المسيحية أن تسالم اليهود والمسلمين معاً فذلك ما لا يمكن ان يستقيم على ضوء النظرية المسيحية التي تدعوا إلى احترام الإنسان وحفظه بحيث يبقى انساناً حراً مكرماً سيداً. . بمعنى اخر نقول انه كلما اقتربت المسيحية (الشعوب) من اليهود ، كلما ابتعدت عن المسلمين والعكس بالعكس . مما يعني انه لا بد من استمرار السلام بين المسلمين والمسيحين . بهدف استمرار الحرب ضد الصهاينة . . .!؟

ملاحظة واستنتاج

إن المسيحية لم تظهر بمظهرها السلمي هذا إلا بعد ان ابعدت عن شؤون المجتمع ، وعندما حيل بينها وبين ان تكون مسؤولة عن قرارات الحرب أو السلم ، وكذلك الإسلام لم يظهر بمظهره هذا إلا حين ابعدت الأمة عن القرار ووصل إلى سدة الرئاسة من لا عهد له بالإسلام ، كما وصل إلى سدة الرئاسة في اوروبا من لا عهد له بالمسيحية ؛ فما يشاع من ان المسيحية هي دين السلام ، وان الإسلام هو دين الحرب والفريضة المقدسة ، ما هو إلا تشويه لهما . بدليل أن المسيحية حين كانت في مركز القرار كانت تحارب وتسالم ، وكذلك الإسلام ، وبما أن الديانتان كانتا في حالة حرب دائمة مع اليهود ، فإن أية خطة سلام مع هؤلاء يجب أن تكون مدروسة وواضحة. فإذا كانت الدول المسيحية والدول الإسلامية تصالح اليهود وتعترف بهم ، فليس معنى ذلك ان المسيحية نفسها ، والإسلام نفسه هو الذي يصالح ويسالم اليهود ، لأن النظرية المقدسة لا تسمح للديانتين بأن تسالما ما لم ينسحب اليهود من فلسطين إلى حيث كانوا في اوروبا، وما

لم يتراجع هؤلاء عن خطتهم في استعباد العالم وتسخيره لهم من خلال السياسة والإقتصاد والحرب! فما تقوم به الكنيسة اليوم هو مخالف للنظرية المسيحية ويدفع بها نحو الاستسلام لليهود الذين تقوم نظريتهم على الحرب وتعتبر سائر البشر حيوانات باشكال أدمية . . . !؟

وبما ان الكنيسة قد فتحت أبواب الحوار مع المسلمين واستجابت للنداء الإلهي بأن يكون الجميع متفقين على كلمة سواء وعلى أن لا يعبدوا إلا الله وحده لا شريك له ، فما عليها إلا أن تستكمل ذلك باقفال أبواب الحوار مع اعداء الإنسان ، اعداء المسيحية والإسلام ، اما ان تفتح ابواب الحوار مع الأعداء والاصدقاء ويدعى إلى سلام لا قيمة له فذلك من شأنه أن يفرغ المسيحية من معناها ويعرضها إلى مزيد من الأخطار والانقسامات ، وقد اطلقت في الأونة الأخيرة عدة دعوات تطالب الفاتيكان بعدم الإعتراف باسرائيل من قبل بطاركة مسيحين احرار لا يزالون عند عهدهم بأن اليهود ليسوا اهلاً للحوار لما هم عليه من فساد في نفوسهم وفي نظريتهم وفي تطبيقاتهم، كما انه ينبغي على المسيحية (الكنيسة) أن ترد وتدحض مزاعم وادعاءات الغرب بأن السلام الذي يُعمل له هو ما تباركه الكنيسة ، وان على العرب والمسلمين أن لا يستجيبوا للدعوات السلمية التي تطلقها امريكا واسرائيل ، باعتبار انه ليس من الدين في شيء أن تصبح الكنيسة والمسجد ملاذاً ومرتكزاً وملجأً لكل ما يفعله الغرب واسرائيل بالمسيحيين والمسلمين تحت شعار السلام والحوار وغير ذلك مما هو معتبر في جميع الأديان السماوية شرط أن يكون السلام والحوار قائماً ومنطلقاً من الدين وليس من الأهواء والمصالح السياسية لهذه الدولة أو تلك . فالغرب يتجاهل تماماً ما كانت عليه المسيحية حينما كانت مسؤولة عن المجتمع ، وإذا كان اليوم

يدعو إلى التمثل بها ـ بعد أن جردت من مسؤولياتها ـ واتخاذها نموذجاً يحتذى في السلام ، فهذه الدعوة ليست من المسيحية في شيء ، لأن النظرية المسيحية هي أيضاً تدعو إلى الجهاد في سبيل الله ، وهناك كثير من النصوص التي تدعو إلى محاربة الفساد ، منها النص المشهور المنسوب إلى المسيح عليه السلام ما جئت لالقى بين الناس سلاماً بل سيفاً ، وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة دلت على تشريع الجهاد القتالي في المسيحية» ومن النصوص المنسوبة إلى المسيح عليه السلام قوله: مَن لا يملك سلاحاً فليبع رداءه وليشتري سلاحاً» وكما قلنا ان المسيحية لو سمح لها بالعودة إلى قيادة المجتمع لما توانت عن القيام بمهمات الحرب والسلام معاً ، وقد تكون في حرب دائمة كما عهدناها في الحروب الصليبية وغيرها من الحروب مع اليهود والمسلمين في مراحل تاريخية ليست بقليلة ، ولدينا دليل واضح على أن المسيحية تحمل في صميمها عقيدة الحرب وتعتبرها مهمة مقدسة ، هذا الدليل هو انها ـ أي المسيحية تعترف بالعهد القديم (اسفار التوراة) وتعتبره وحياً الهياً ، وقد بينا أن الحرب منقوشة في قلب الاهوت اليهودي ، وان الحرب مقدسة عند اليهود وهم لا يعرفون للسلام طريقاً ، فإذا كانت المسيحية تعترف به وتأخذ بكل ما جاء به ، فكيف لا تكون حاملة لعقيدة الحرب ، ومقدسة لها ؟ .

وإذا كانت كذلك ، فلما يحاول الغرب تقديم المسيحية كمثال للسلام وكنموذج ينبغي أن يكون عليه جميع الناس إلى أي دين انتموا؟

مما لا شك فيه ان الغرب يحاول ذلك لإقناع الرأي العام العالمي بأن الإسلام يقدس الحرب بينما المسيحية تقدس السلام وتدعو إليه في جميع الأحوال !؟ وكما رأينا ان الغرب يفعل ذلك بهدف التشويه على الرأي العام

وتجهيله بحقائق الأمور، وهو يعلم تماماً أن المسيحية ليست كما يصف ويقول ، إلا أن الذي يجعل قوله مؤثراً ومقنعاً هو خروج المسيحية من الواقع وتحولها إلى نظرية محضة لا تأثير لها فيه . لأن التطبيق في الغرب لا يحمل خصائص النظرية المسيحية ، بل يعتمد على قوانين وضعها لنفسه بعد أن عاش تجربة الكنيسة ما قبل عصر النهضة ، وإذا كان هناك مجتمعات مسيحية ، فهذه المجتمعات تدين شكلياً بالمسيحية ولا تنطلق منها في حل مشكلاتها ، يبقى أن نقول بأن السلام الذي يراد له أن يتحقق لا هو سلام المسيحية ، ولا هو سلام الإسلام ، ولا هو سلام التوراة ، وانما هو سلام الاهواء والمصالح الشخصية . السلام المسلح الهادف إلى استعباد الناس وتسخيرهم .

إن التوراة المتداولة قدست الحرب ، وكذلك المسيحية المتداولة بينما الإسلام قدس السلام واعتبر الحرب ضرورة من ضرورات الواقع ولا يلجأ إليها المسلمون إلا حينما يعتدى عليهم ، وحقيق بجميع الأمم أن تدخل في السلام الحقيقي الذي يقوم على الحقوق المتقابلة للشعوب لا أن تخدع الشعوب بما يشيعه الغرب واعوانه من ان الإسلام يدعوا إلى الحرب المقدسة وغير ذلك مما هو في صميم التوراة والإناجيل المتداولة اليوم .

وإذا كان الإسلام مهيمناً على جميع الكتب وحافظاً لها ، فإنه يستحيل أن تكون هذه الكتب التي هي بين يديه مقدسة للحرب ، فهو استكمال لها يفسرها ويحتوي عليها ، ولما طالتها يد التحريف تحولت عن قداستها واستحالت إلى اديان مقدسة للحرب خلاف ما يدعو إليه الإسلام ويقدسه . !! وما يجب أن يقال هنا هو انه يستحيل أن تكون الأديان السماوية مناقضة لبعضها البعض ، ولكن الناس هم الذين حرفوا الكلم عن مواضعه

وتنافسوا فيما بينهم حتى قالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء . ولو انهم اتبعوا دعوة الرسول واطاعوه فيما اتى به ودعى إليه لكان من الممكن بل من الأكيد ان تستمر الدعوة الاسلمية بين البشر لكنهم - أي اليهود والنصارى - انكروا دعوة الرسول ﷺ وحاربوه إلا قليلاً منهم امنوا به واعترفوا برسالة الإسلام . . .

إن اليهود لا يزالون على قولهم ان النصارى ليسوا على شيء ، فضلاً عن المسلمين . . . وإذا كان الفاتيكان يأمل من خلال الاعتراف باسرائيل بأن يصبح على شيء فهذا لم ولن يحصل لأن اليهود في زمن ضعفهم قالوا هذا فكيف في زمن قوتهم ؟ ومما يدل على أن سلام المسيحية اليوم - الذي يدعي العرب والمسلمون إلى التزامه - ليس سلاماً حقيقياًهو ان المسيحية تخلت عن كثير من مبادئها وحقائقها حيث انها برأت اليهود من دم المسيح واعطت كل شيء من دون ان تحصل على شيء ، وهذا يعني فيما يعنيه ان المسيحية تراجعت واستسلمت في الوقت الذي كان يجب عليها فيه أن تتعاون مع المسلمين من اجل تحرير القدس من رجس اليهود ودنسهم ، ومع كل ذلك يبقى السؤال مطروحاً هل يتجدد الصراع المسيحي اليهودي؟

خاتمة الكتاب

اجمعت كلمات الفقهاء على ضرورة ان يقوم المسلمون بالدفاع عن وجودهم فيما لو تعرضوا للعدوان وللغزو اياً كان نوعه ، وعلى أنه لا يجوز الإستسلام للعدو تحت أي شعار ، فإذا كانت الموازين العسكرية لا تسمح للمسلمين بأن يدفعوا الشر عن انفسهم وعن بلادهم ، فيمكنهم أن يعقدوا هدنة مع العدو تسمح لهم بالاستعداد المادي والروحي مثلما حصل مع كبار المسلمين عبر التاريخ إذ انهم لم يعقدوا سلاماً يساعد عدوهم عليهم ويمكنه منهم ، بدليل ما سبق لنا أن بيناه في هذا الكتاب من ان الإمام الحسن عليه السلام لم يمكّن معاوية من المسلمين ولا اعترف له بامارتهم ، وقد بين للناس ذلك بقوله لهم: «إن معاوية يدعونا إلى امر ليس فيه عز ولا نصفة» .

فالعدو اليوم المتمثل باسرائيل ومن يقف وراءها يدعو إلى الحرب ولا يريد سلاماً ، بل يريد التشفي والانتقام ، وهو في صراعه مع اهل الايمان يستحضر ابشع صور تاريخه من الإجرام والانتقام ، لأن تاريخ هذا العدو ـ كما اشرنا ـ شاهد عليه وكاشف عنه. . . وبما ان هدفنا من هذا الكتاب

ليس العرض التاريخي ، الذي من شأنه بيان ما كان عليه هؤلاء في كل مرحلة تاريخية ، فقد رأينا أن يكون هذا الكتاب كتاباً يجمع بين التحليل لمواقف المسلمين والمسيحين واليهود في التاريخ وبين ما يجري الأن بين هؤلاء في صراعهم مع بعضهم البعض ، وفيما يتعدى هذا الصراع إلى ما هو اعمق منه واخطر؛ ونعني به صراع أهل الايمان من المسيحين والمسلمين مع الصهيونية العالمية وكيانها في فلسطين المسمى باسرائيل ، وكما قلنا في ابحاثنا ان اليهود لا يريدون سلاماً لأنهم لا يعرفون له طريقاً ولا يريدون تعايشاً مع الشعوب لأن التاريخ واهله كشف عن ان هؤلاء لم يتعايشوا مع احد ، وهم اليوم يبحثون عن سبل تؤدي بهم إلى الهيمنة والنفوذ والتسلط على مقدرات الشعوب وخيراتها والحيلولة دون ان تستفيد من امكاناتها . . . وهذا ما اشار إليه فقهاؤنا في كل زمان حيث انهم لم يدخروا جهداً إلا وبذلوه من اجل ان تعي هذه الأمة حقيقة ما يراد بها ولها من قبل الكفار والمنافقين واليهود ، ولم يجيزوا لأحد على الإطلاق ان يعقد سلاماً مع عدو الأمة فيما لو كان هذا السلام يرهن الأمة ويسلبها قرارها وحريتها وكرامتها وسيادتها على ارضها، كذلك هم لم يطلبوا منها أن تغامر ، أو ان تدخل في صراع ليس من مصلحتها ، ولهذا هم اجازوا لها بأن تعقد هدنة إذا اقتضت المصلحة ذلك[1] هدنة تسمح لها بممارسة حريتها وحفظ هويتها وسلامة دينها ، لأن هذه الأمة امرت ان تستقيم وان لا تهن ولا تستسلم للعدو تحت شعارات الضعف وعدم التكافؤ وغير ذلك مما يستعمل اليوم فيما يسمى بمفاوضات سلام الشرق الأوسط .

وعلى الأنظمة أن تقول للأمة كما قال لها كبار المصلحين في التاريخ

---

(١) را: شرائع الاسلام ، المحقق الحلي ، م . س . ج١ ، ص٣١٠ .

من أن ما تدعونا إليه اسرائيل اليوم ليس فيه عز ولا نصفه ولا كرامة ولا حرية ، وانما هو ذل وعار وشنار لا يغسل ابداً فيما لو ركبت الأمة قطاره . إن عليهم أن يخبروها بما يجري تحت عنوان الضرورات فيما لو صح ان هناك ضرورات تبيح ادخال اليهود في المجتمع الاسلامي وتعتبرهم جزءاً منه ، وتعطيهم صفة الإنسانية في الوقت الذي هم فيه اشد الناس وحشية وانتقاماً وغير ذلك مما يدخل تحت صفات الحيوانية ! وكما يقول الشيخ محمد تقي الشيرازي في الحقائق الناصعة غير خفي على احد أن موقف المسلمين في مثل هذا اليوم قد بلغت صعوبته وحراجته مبلغاً لا يسع العلماء الأعلام أن يسكتوا عنه ، كما لا يسع العشائر المتحفزين إلا بذل النفس والنفيس في سبيل هذه النهضة الدينية والحركة الواجبة الإسلامية ، فالواجب على عموم المسلمين اداء فريضة الدفاع عن حوزة الدين المبين»[1] .

إنه دفاع عن النفس والكرامة والوجود ، وهو حق فطري لكل من يشعر بانسانيته ويذود عن كرامته ، فلا يحق للأنظمة ابداً أن تطلب من الأمة أن تلتزم الصمت في وقت هي بأمس الحاجة فيه إلى الحركة والثورة من اجل حفظ نفسها ووجودها وحماية دينها ، فإذا لم تكن لهذه الأنظمة ومن يعمل لها ومن خلالها قدرة على الغزو وعلى تحقيق الذات بكبح جماح العدو ومنعه من أن يلحق العار والشنار بهذه الأمة ، فليكن لها ـ على الأقل ـ قدرة الدفاع عن النفس التي هي من حق كل كائن ، فلا ينبغي أن تمنع الأمة الإسلامية ، وكذلك الشعوب المسيحية ، من أن تقوم بواجبها ، وان تمارس حقها في الدفاع عن نفسها ازاء ما تتعرض له من غزو عسكري وثقافي

(١) را: الحقائق الناصعة ، ج١ ص١٩٢ ـ ١٩٥ .

واقتصادي تحت شعارات شتى ما انزل الله بها من سلطان ، إن شعباً لا يقوم بواجبه في الدفاع عن نفسه ، اخلق به ان يموت لقوله عليه السلام : «إن امرءً يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ، ويهشم عظمه ، ويفري جلده لعظيم عجزه ، ضعيف ما ضمن عليه جوانح صدره ، انت فكن ذاك إن شئت ، فاما انا فوالله دون أعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام وتطيح السواعد والاقدام ويفعل الله من بعد ذلك ما يشاء»(١) .

لا شك انه يراد لهذه الأمة أن تكون عديمة النفع ، وغير مقررة فيما يعود عليها وينطلق منها ، وهي مهما تكاثرت «فإنها لن تتمكن من تحقيق نفسها ، ومن الاستمرار في تواصلها مع الحقائق الخالدة ما لم تقم بواجبها في احياء مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (كمبدأ اساس في الفقه السياسي الإسلامي) الذي هو من اهم ما يمكن أن يعبر عنها في معركة الوجود والمصير ، يقول الإمام عليه السلام ! «وإن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، لخلقان من خلق الله سبحانه وانهما لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وعليكم بكتاب الله ، فإنه الحبل المتين ، والنور المبين والشفاء النافع ، والري الناقع ، والعصمة للمستمسك ، والنجاة للمتعلق ، لا يعوج فيقام ، ولا يزيغ فيستعتب . . من قال به صدق ، ومن عمل به سبق . . »(٢) .

ليس عدو الأمة اليوم من نوع الأعداء الذين حاربوا المسلمين في عدة مراحل في ازمنة متعددة ، فكثير من اعدائهم دخلوا في الإسلام ، أو على الأقل ـ تخلوا عن محاربة المسلمين ، وانما هو عدو من نوع اخر له تاريخه

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٣٤ .
(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٥٦ .

الأسود مع جميع شعوب العالم ، فهو لم يتراجع عن عدوانه لا في انتصاراته ولا في هزائمه ، بل هو يقدس العدوان ولا يشعر بوجوده إلا من خلاله ، وهذا ما يجب أن يدفع بالأمة إلى أن تحسن القيام بالمسؤولية باحياء ما يمكنها من دفع العدوان وإن امكن القضاء عليه حيثما وجد ، لأن من شأن التهاون به والركون إليه ، والاطمئنان إلى دعواته ان يحول بين الأمة وبين انبعاثها من جديد ، ومما يجب أن يُعلم أن اليهود ليسوا غافلين ابداً عما انتهت إليه هذه الأمة في القرن العشرين سواء لجهة العلاقة مع الأنظمة الحاكمة ، أو لجهة وضعها النفسي الذي لم يعد على قوته بحيث يخشى الأعداء منه ، فإذا لم يعد الايمان إلى حياتها ، فلن يعود إليها شيء ، وستبقى اسيرة اهوائها وملذاتها وغير ذلك مما ينطوي عليه حب الدنيا . . ! فالأعداء شعروا بالقوة حينما خسرت الأمة رصيدها الداخلي الذي كان يعوض لها عن كل خسارة مادية خارجية لأنه كان يشعر الأعداء انها على شيء من القوة التي تؤهلها على الأقل للدفاع عن نفسها ، وهذا ما شدد عليه القرآن والسنة والأئمة عليهم السلام وجميع العلماء العاملين حيث انهم بينوا للأمة ما ينبغي عليها فعله للحد من نفوذ الأعداء ، واوضحوا السبل التي ينبغي أن تسلكها الأمة للدفاع عن النفس والدين الذي كان اليهود وما زالوا يسعون لأجل افراغه من معانيه المقدسة وتحويله إلى مجرد طقس من الطقوس يمارسها الإنسان دون أن يكون لها أي ابعاد في واقعه ، أو تأثيرات عليه لجهة القيام بالمسؤولية ورعاية نفسه على نحو يسمح له بأن يمارس حريته بعيداً عن الذلة والقهر والحرمان . . .

فالأمة لا تحتاج إلى شريعة جديدة ، وإلى دين جديد كيما تقوم بواجبها وتتحمّل مسؤولياتها لأنها تملك ما يمكنها من القيام بذلك ، وهي

تعرف كما الأنظمة الحاكمة ـ ان العدو الإسرائيلي طامع في ارضها ومياهها وفي استغلال انسانها ولن يتورع عن بذر الفحشاء والمنكر في ارضها ، كما انها تعلم ان هذا العدو يخشى منه على الإسلام والمسلمين ، لأن صراعه معها قديماً وحديثاً لم يكن من اجل أن يكون له ما لها من الحرية والكرامة والوجود ، ولا من اجل أن يكون معها امة واحدة من دون الناس ، ولا من اجل بناء مجتمع سياسي متعدد دينياً ومتوحد سياسياً ، وانما كان في صراعه معها ولا يزال يعمل من اجل مسخ هذا العالم وتغيير هويته وتهويد ارضه وانسانه ، بدليل ان الرسول ﷺ في المدينة أعطى اليهود العهد والامان ، ومد لهم يد السلام وضمن لهم كافة الحقوق وجعلهم مع المسلمين امة واحدة من دون الناس؛ لكن ذلك لم ينفع في شيء ، ولم يكتفوا به بل تآمروا مع المنافقين والمشركين من اجل ان يكون لهم كل شيء في المدينة وخارجها ؟!.

نحن لا ندري ما الذي اوصل هذه الأمة إلى مستوى أن تكون فاقدة لقوة الدفاع عن النفس ، وإن كنّا ندري بأن الأنظمة تريد أن تسحب على الأمة ما سحب عليها من عدم الشعور بالمسؤولية وخيانة الأمة وغير ذلك مما اعتبرته الأنظمة شيئاً نكراً في حياتها السياسية ، وما بينه الفقهاء الأعلام لاسيما الإمام الخميني (قده) كاف للكشف عما يتعرض له هذا العالم الإسلامي ، وما يرادّ له أن يكون عليه في ظل الهيمنة اليهودية ، ومثلما بينا من اشاراتنا التاريخية من ان اليهود كانوا في حرب دائمة وحرفوا التوراة عن الشكل والمضمون الذي يسمح لهم بأن يمارسوا الحرب تحت شعار القداسة ، وما يؤسف له ان العالم المسيحي قد ركن إلى هذه المقولة واسس على العهد القديم ، وقدس الحرب ضد اليهود والمسلمين معاً ابان الفترات

التي تسنى له فيها أن يحكم وان يعيش الواقع ويتدخل سياسياً فيه من خلال الكنيسة وكهنوتها الحربي؟؟

نحن لا نريد لهذه الخاتمة أن تكون بياناً لما جاء في هذا الكتاب ، بل اردنا فيها توضيح بعض المسائل الهامة التي اشار لها الفقهاء الأعلام ، من هذه المسائل أن الأمة الإسلامية اليوم تعيش مرحلة صعبة للغاية ، مرحلة تتجاوز فيها الأمة اطار الهدنة مع اسرائيل لتدخل معها في سلام تعطي اليهود الحق في أن يهودوا هذا العالم . وبأن يجعلوا كل خيراته تحت سيطرتهم . اضافة إلى تمكنهم من الإسلام نفسه تحت شعار التطبيع والعلاقات الإنسانية ، وهذا من شأنه إذا ما حصل أن يعرض بيضة الإسلام للخطر في ظل ضعف إرادة الدفاع عن النفس التي يزيدها ضعفاً وخواراً ما تقوم به الأنظمة بهدف حماية مصالحها ومشاريعها الخاصة . إن سلاماً يقوم على أساس مبادىء لا تمت إلى الإسلام بصلة ، هو في العمق يهدف إلى تحريف الإسلام ، شكلاً ومضموناً ، لأنه يقضي بتهويد هذه الأرض وتمكين العدو الإسرائيلي منها إضافة إلى إضعاف الإنسان المسلم والقضاء على أي دور له نهائياً بحيث يعود إلى ماكان عليه قبل الإسلام من جاهلية ، وهذا الهدف يعمل له اليهود على خطين الخط الثقافي ، الذي ينطلق على قاعدة ان يمنع الناس في عالمنا العربي الاسلامي من ان يتلقوا الثقافة الإسلامية الصحيحة من خلال بعض المثقفين الذي يدعون الفهم الحضاري للإسلام معززين بعدد لا يستهان به من فقهاء السلاطين الذين يمارسون الاجتهاد على ضوء هوى النفس والمصلحة الخاصة ، على ان يترافق هذا العمل مع بث ونشر ثقافة الغرب وحضارته المشوبة بكثير من الأفكار اليهودية التي لا بد أن تؤثر على عوام الناس العطاشى للمعرفة ولكل الأفكار الجديدة لما نعرفه جميعاً

ان الناس مولعون بحكاية كل غريب، وهذا ما بدأ الحديث به مع بعض الحكام العرب لجهة الطلب منهم بأن يمارسوا ضغوطاً على كافة الادارات والمؤسسات التربوية القائمة لأجل أن لا تنشر الكتب المعادية لليهودية والصهيونية العالمية والإقلاع عن تعليم الكتب المعادية لها في المدارس وقد استجيب لهذه المطالب في بعض البلاد العربية الاسلامية تحت شعار حفظ عملية السلام في المنطقة!!!

أما الخط الثاني، فهو العمل السياسي المشوب ببعض العمليات العسكرية الذي يتحرك على أساس أن يبرهن العرب والمسلمون عن حسن نواياهم في الدخول الى عملية السلام من خلال الاستجابة لشروط ومطالب اليهود التي منها ـ الاعتراف بالحدود المتفق عليها مع إسرائيل، وانتهاء الجانب العسكري من الصراع حول الأهداف السابقة للمواجهة، وربما اقتضى السلام الإسرائيلي وضع عوائق جديدة في وجه القدرة العربية على الحرب، تخفيض الجيوش نوعية تسليمها، مناطق جيوشها، ضمانات أمنية، وجود قوات فصل دولية، زيادة التزامات أمريكية بأمن إسرائيل والنص على ذلك صراحة كما حصل مع مصر، في كمب ديڤيد»[1].

(١) لقد منحت الوثيقة المصرية الصهيونية للسلام القوات الامريكية فرصة التواجد المباشر في هذه المنطقة وتتيح لها مجال التنصت ومراقبة كل تحركات جيوش المنطقة، كما أتاحت لها ان تكون السوط المباشر لجلد أي ظهر معادٍ لها من قبل أنظمة أو حركات سياسية أو أفراد، ومؤخراً كشف البيت الأبيض النقاب عن ان معاهدة الصلح المصرية ـ الاسرائيلية قد وقعت في ظل معاهدة عسكرية وسياسية واقتصادية أمريكية ـ اسرائيلية تمنح الأطراف الموقعة يداً عليا وقوية وتهدد أمن سائر الدولة العربية المواجهة لإسرائيل بما فيها مصر نفسها، ولما احتجت مصر عليها كان الرد من وزارة الخارجية الأميركية، اننا نبهنا قبل الآن بكثير بأن تأكيدات سوف تقدم لإسرائيل متحدثة بلسان مصر ان لا مانع لديها من تقديم تأكيدات أو ضمانات أمن في إطار عملية السلام. را: أمين مصطفى، العلاقات الصهيونية الأمريكية، دار الهادي، م، س. ص٣٣٩.

ما هذا السلام إذن الذي يلغي شعب لحساب شعب آخر أو على الأقل يبقيه لا لذاته بل لخدمة شعب الرب كما يزعمون!؟

ما هذا السلام الذي من معانيه ان تملك اسرائيل كل السلاح ومن جملته السلاح النووي وان يستمر تدفق السلاح الامريكي على اسرائيل وان يحال بين العالم العربي والاسلامي وبين حقه في الحصول على أسلحة دفاعية في الوقت التي تعيش فيه اسرائيل حالة الهجوم الدائمة. ان القبول بسلام كهذا يعني الحكم على هذا العالم بالفناء، ان يكون مسخراً ومستعبداً كما في تعاليم التوراة والتلمود حيث جاء في بعض النصوص انه حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح، فإن أجابتك وفتحت لك، فكل شعب فيها يكون لك للتسخير ومستعبد لك» تثنية ٢٠/ ١٠ ـ ١١. ومن هذا المنطلق وعلى هذا الأساس تلى السادات على الملأ من بني اسرائيل في الكنيست قوله تعالى: ﴿**وان جنحوا للسلم فاجنح لها**﴾ وكأن هذا الخطاب قد توجه به الله تعالى الى السادات وأمثاله من حكام العرب! انه خطاب مقدس لرسول مقدس يفهم معنى السلام ويريد السلام على أساس ان يكون الناس احراراً في عبادتهم وعلى أرضهم وأسياداً، ولهم قيمة وجودية ترتقي بهم الى أعلى درجات الوجود في الدنيا والخلود في الآخرة. لقد تعامى السادات وأمثاله عن هذه الحقيقة وادعوا ما ليس لهم وما ليس من حقهم ان يعالجوه أو يأولوه على نحو يحرّف الشريعة ويعطي اليهود من خلاله حق الإقامة على أرض فلسطين، وبالتالي حق تهويدها مع ما يترتب على ذلك في المنطقة العربية والاسلامية كلها...؟!

ملحق (٨).

لقد بلغ الاستخفاف بالحاكم العربي اليوم الى درجة انه أصبح يفهم الواقع ويعالج قضاياه على أساس ما يريده عدوه، وان أي إنسان بلغ به الحال هذا المبلغ لا يسع الأمة احترامه ولا العمل بما يأمر به، وبعد كل هذا نحن نفهم من خلال قراءتنا لنصوص اعلام الأمة الحقيقيين لماذا اليهود يطالبون بهذا السلام الذي له الشكل والمضمون الذي يريدون؟ أجل لقد كشف لهم التاريخ وكل الكتب السماوية انهم لن يكونوا على شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة، وانهم مسبيون ومطاردون ومقاتلون أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس، كما انهم يعلمون بأن الناس لن يتعايشوا معهم في أي زمان ولا على أي أرض، إضافة الى الدلائل لهمُ من أنفسهم على ضعفهم وخوارهم، وما هم عليه من فساد في نفوسهم وعقائدهم وغير ذلك مما يجعل منهم شعباً خائفاً على نفسه مهما بلغت به القوة العسكرية والمادية، يقول الإمام الخميني قدس سره: «إن شعب اليهود بالنسبة الى عددهم يعدون من أغنى الشعوب القاطنين على ظهر الأرض كافة ولكنهم يعيشون طيلة حياتهم في الشقاء والتعاسة والشدة والهوان، وتبدو على ملامحهم الحاجة والفقر والذلة والمسكنة ولا يكون ذلك إلا من وراء الفقر النفسي والذل الروحي»(١).

هذا هو سر انكماش اليهود وتطلعهم الى حرب أو الى سلام يحفظ لهم هيمنتهم ويجعلهم حكاماً على الشعوب يأمرون فيهم بما يريدون، ويفعلون بهم ما يشاؤون، وهذا هو سر اليهود ـ على الرغم مما هم عليه اليوم من قوة عسكرة ومالية ـ في ان يطالبوا العرب بتخفيض الجيوش، والحصول على امتيازات أمنية وغير ذلك مما مر ذكره، انهم غير مطمئنين لمصيرهم في هذا

(١) را: الامام الخميني، الأربعون حديثاً، دار التعارف، ص٢٩١.

العالم لما هم عليه من فقر نفسي وذل روحي، وبهذا يمتاز أهل الإيمان عنهم، باعتبار ان المؤمنين في أية لحظة هم قادرون على أن يلغوا أي اتفاق ذل وعلى ان يمارسوا حقهم في الدفاع عن أنفسهم، وفي تحرير أرضهم من دنس العدو الاسرائيلي..

وفي هذا السياق، ومن خلال ما تقدم يمكن القول ان الأنظمة مهما أعطت وتنازلت عن الحقوق المشروعة للشعوب، فإنها لن تستطيع ان تقدم الشيء اليسير مما يمكن ان تعطيه الأمة الذي يريد العدو لها ان تكون بديلاً للأنظمة في عطائها وعهودها والتزاماتها، لأن عدم دخول الأمة في الاتفاقات والمعاهدات يُبقي العدو على قلقه وخوفه مما يمكن ان يجود به المستقبل عليهم من مفاجآت... فإذا لم تلتزم الأمة وأصرت على موقفها الداعي الى استمرار الصراع الوجودي مع الصهاينة، فإن اليهود لن يقيموا أدنى اعتبار لما يجري بينهم وبين الحكام العرب الداخلين في العملية على أساس شرعنة الأمر الواقع واعتبار اسرائيل دولة لها كيانها وسيادتها وحقها في الوجود على أرض فلسطين! إن الأمة كانت ولا تزال تقول عن الضرورات التي دفعت الأنظمة الى مسالمة العدو، انها من نوع الضرورات التي تبيح طلب السلام ممن لا سلام لهم؛ من الناس الذين ضُربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب الله[١]، فما لم يطلب السلام من الله، فلن يكون سلاماً حقيقياً وذا قيمة اخلاقية يدفع الذين آمنوا الى الدخول فيه والعمل له. إن ضرورات يتحدث عنها اعلام الانظمة الرسمي وكأنها من أعظم خيارات الأمة لا يمكن ان يعترف بها من قبل الأمة وإن كان لا يجوز ان تثار الفتن وان تعلن الحروب

(١) إن أية ضرورة في الدنيا لا تحمل هذه الأمة على ان تطلب السلام من غير الله تعالى فكيف تجرأت الأنظمة على ذلك؟!

فيما بين فئات الأمة وتياراتها المختلفة لأجل ابطالها، نعم قد يكون من المفيد جداً تبيان مخاطرها، لكن مع ذلك لا بد من القول للعدو ان هذه الضرورات لن تتمكن من اعطائك الحق في الوجود في فلسطين، ولن تكون ملزمة لنا في المستقبل، وعليك ان تبحث عن أرض غير هذه الأرض المقدسة، وان قوتك العسكرية لن تمكنك من شرعنة هذا الواقع السيىء، وما ان يعلم العدو هذا حتى ينعكس عليه مزيداً في الفقر النفسي، وفي الذل الروحي، لأن كل ما يريده العدو الاسرائيلي هو ان يتحول هذا الوضع بحيث يعيش عالمنا هذا الفقر وهذا الذل بدلاً عنه، والحق يقال ان رصيد الأمة الاسلامية هو غناها الروحي وهي يمكن ان تستفيد منه في أية لحظة في صراعها مع العدو. انها امة غنية بروحها وعزيمتها ووجودها، وهذا كله يساعدها على ان تستعيد المبادرة فتحقق لنفسها ما تحلم به من عزة وكرامة، إضافة الى ذلك نقول انه ليست الأمة هي التي ضربت الذلة والمسكنة على اليهود، وانما الله تعالى هو الذي تكفل بذلك ولن تقدر ضرورات الأنظمة ولا علاقاتها السياسية والاقتصادية (التطبيع) من ان تزيل ذلك عنهم، بل ان هذه الضرورات رغم ادخالها لأصحابها تحت ذلك واكسابها لهم العار والشنار فإنها لن تغني العدو ولن تحوله عما هو فيه وعليه، وهذا ما يسمع به كل انسان اليوم عن قادة العدو الذين اعلنوا صراحة بأن السلام لا يكفي ان تدخل فيه الأنظمة فقط، بل يجب ان يعاش في الواقع وان يشعر اليهودي بالأمن في أي بلد يدخله. . !؟

نعود لنقول ان الأمة ما لم تدخل في السلام فلن تكون مسؤولة عنها، وأي عاقل هذا يرى بأن الأنظمة يمكنها ان تعطي السلام او ان تعقده مع عدو الله والانسان!؟ فإذا قيل ان ما تملكه الأنظمة من أدوات ووسائل وأموال

وشرطة يمكنها من ذلك، قلنا: ان كل ذلك لا يكفيها كي تحمي نفسها، فكيف يمكنها من ان تعطي السلام لغيرها، هذا إذا صح انها تعطي السلام للعدو، والحقيقة هي ان العدو هو الذي يعطيها السلامة والأمان كما يزعم البعض منها.

يبقى ان نقول بأن الفقر النفسي عند اليهود والذل الروحي لم يثبت في التاريخ انه صنع السلام أو حقق الأمان، بل كان دائماً مصدراً للشرور والحروب، لأنه كان يدفع دائماً باليهود الى ان يحققوا ذاتهم من خلال ذلك رغم كل ما كانوا يتعرضون له من قمع وطرد في البلاد الذين كانوا يعيشون فيها، وهم اليوم يعيشون هذه الحالة النفسية رغم الغنى والقوة المادية، والدعوة الى السلام لا تنسجم أبداً مع ما يعيشونه في داخلهم من فقر وذل، لأن السلام الحقيقي يزيد من هذه الحالة ويخرجها الى السطح فتنعكس حروباً داخلية فيما بينهم، ولهذا السبب وغيره فإنهم ليسوا على استعداد أبداً للدخول في سلام حقيقي مع الشعوب؛ وما دعوتهم للسلام إلا من أجل تحقيق مكاسب مادية واقتصادية وأمنية عجزوا عن التوصل اليها من خلال الحرب العسكرية، وتحاشياً لأي صدام فيما بينهم وقد قلنا انهم نوع من البشر لا يشعر بتحقيق الذات إلا من خلال الحرب والعدوان، وهم قد يختارون لحربهم اسماء شتى، وقد اختاروا لها مفاوضات السلام لعلها تجدي في تقوية النفس اليهودية التي كانت ولا تزال تعيش القلق على الوجود والمصير.

وختاماً نقول: انه سيأتي اليوم الذي يعي فيه الناس جميعاً حقيقة هؤلاء بحيث يتحول الوعي الى حرب لا تبقي على الأرض منهم دياراً كما وعد الله سبحانه وتعالى: ﴿وإن عدتم عدنا﴾، وكان على الله حقاً نصر

المؤمنين وما الله بغافل عما يفعل الظالمون، ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرْ وأخفى﴾ طه/ ٧.

قال تعالى: ﴿ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علّام الغيوب﴾ التوبة/ ٧٨.

﴿أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم...﴾ الزخرف/ ٨٠.

في ٢٨/ ٦/ ١٩٩٤

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٩١.

٣ ـ المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، كاظم محمد، محمد دشتي، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦.

٤ ـ الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩١.

٥ ـ التفسير المبين، محمد جواد مغنية، مؤسسة عز الدين.

٦ ـ البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، دار الهادي، بيروت، ط٤، ١٩٩٢.

٧ ـ لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف، تحقيق عبدالله علي الكبير، محمد احمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي.

٨ ـ التوراة وأسفارها.

شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار الأندلس، بيروت.

١٠ ـ الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، دار التعارف، بيروت.

١١ ـ علي بن موسى الرضا عليه السلام والقرآن الحكيم، جوادي آملي، دار الصفوة، بيروت ١٩٩٤.

١٢ ـ ضباط الجيش في السياسة والمجتمع العربي، اليعازر بعيري، ترجمة بدر الرفاعة، المكتبة الثقافية، بيروت ١٩٩٢.

١٣ ـ معالم في الطريق، سيد قطب، دار دمشق.

١٤ ـ جولة في السياسة الدولية، حسن ابراهيم، وعزيز شكري، وسيف عباس، الدار المتحدة للنشر.

١٥ ـ كتاب السياسة، أرسطو، تعليق بربارة البولسي، ١٩٨٠ (الروائع اللبنانية).

١٦ ـ بداية الحكمة، السيد الطباطبائي، محمد حسين، دار المعرفة الاسلامية.

١٧ ـ عقائدنا الفلسفية والقرآنية، جعفر السبحاني، دار الصفوة، بيروت.

١٨ ـ جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، محمد حسن النجفي، دار الكتب الاسلامية، طهران.

١٩ ـ شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام، المحقق الحلي أبو

القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن، دار الأضواء.

٢٠ ـ رياض المسائل في بيان الأحكام بالدلائل، السيد علي الطباطبائي، دار الهادي، ١٩٩٣.

٢١ ـ من الفقه السياسي في الاسلام، محمد صالح جعفر الظالمي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢٢ ـ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، دار الأفكار، بيروت، ط١، ١٩٩١.

٢٣ ـ الاسلام والعروبة، والعلمانية، محمد عمارة، دار الوحدة، ١٩٨٤.

٢٤ ـ الاسلام ومنطق القوة، محمد حسين فضل الله، الدار الاسلامية، بيروت، ط٣، ١٩٨٦.

٢٥ ـ سيرة ابن هشام، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت.

٢٦ ـ الكتاب المقدس في الميزان، محمد علي برو العاملي، الدار الاسلامية، بيروت.

٢٧ ـ في الاجتماع السياسي الاسلامي، محمد مهدي شمس الدين، دار مجد، ١٩٩٣.

٢٨ ـ نحن واليهود الى أين؟ باقر شري، دار القارىء، ١٩٩٢.

٢٩ ـ العلاقات الامريكية الصهيونية، أمين مصطفى، دار الهادي ١٩٩٣.

٣٠ ـ مخاطر التهويد الاسرائيلي، مركز الامام الخميني الثقافي، دار الوسيلة، أبحاث ومقالات.

٣١ ـ ضرورات الأنظمة وخيارات الأمة، الشيخ شمس الدين، حوار في دار الندوة، تاريخ ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٣.

٣٢ ـ القوى الدينية في اسرائيل، رشاد عبدالله الشامي، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٤.

٣٣ ـ الايديولوجية الصهيونية، عبد الوهاب المسيري، سلسلة عالم المعرفة.

٣٤ ـ نقد السياسة، الدين والدولة، برهان غليون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٩٣.

٣٥ ـ اليهودية والصهيونية واسرائيل، المسيري عبد الوهاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط١، ١٩٧٥.

٣٦ ـ خنجر في قلب اسرائيل، منصور أنيس، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٦.

٣٧ ـ قضايا الدين والمجتمع في إسرائيل، أسعد رزوق، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧١.

٣٨ ـ دائرة المعارف، محمد فريد وجدي.

٣٩ ـ قصة الفلسفة، ول ديورانت، دار المعارف، بيروت.

٤٠ ـ المقدمة، ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي.

٤١ ـ **محمد مهدي شمس الدين بين وهج الاسلام وجليد المذاهب**، فرح موسى، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٣.

٤٢ ـ **كمال الدين وتمام النعمة**، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١ ١٩٩١.

٤٣ ـ **تعدد الأديان وأنظمة الحكم**، جورج قرم، دار النهار، ط٢، ١٩٩٢.

٤٤ ـ **أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام**، عبد الكريم زيدان، بغداد ١٩٦٣.

٤٥ ـ **المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية**، السيد محسن الأمين، دار التعارف، بيروت، ١٩٩٢.

٤٦ ـ **صلح الحسن**، الشيخ راضي آل ياسين، مؤسسة النعمان، ١٩٩١.

٤٧ ـ **كتاب الأسد، الصراع على الشرق الأوسط**، باتريك سيل. ترجمة المؤسسة العامة للدراسات والنشر.

٤٨ ـ **الأناجيل الأربعة**، دار المشرق، ط١٠، ١٩٨٥، بيروت.

٤٩ ـ **بحار الأنوار**، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣.

٥٠ ـ **اليهود في القرآن**، محمود بن الشريف، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦.

٥١ ـ الأديان الحية، أديب صعب، دار النهار، ١٩٩٣ .

٥٢ ـ الحكومة الاسلامية، الامام الخميني (قده) دار الطليعة، ١٩٧٩ .

٥٣ ـ أحجار على رقعة الشطرنج، وليام غاي كار، دار النفائس، ١٩٧٠ .

٥٤ ـ تاريخ فلسطين القديم، ظفر الاسلام خان، دار النفائس، بيروت ١٩٨٦ .

٥٥ ـ نشأة إسرائيل، حاييم وايزمن، باريس ١٩٥٧ .

٥٦ ـ قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة نجيب محمود، الادارة الثقافية في جامعة الدولة العربية، ١٩٧١ .

٥٧ ـ حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٦ .

٥٨ ـ جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، فايد حماد ـ محمد عاشور، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١ .

٥٩ ـ العلمانية، محمد مهدي شمس الدين، دار مجد، ط١ ، ١٩٨٠ .

٦٠ ـ نظام الحكم والادارة في الاسلام، الشيخ شمس الدين، دار مجد، ١٩٩١ .

٦١ ـ خطوات نحو انهاء الصراع بين المسيحية والاسلام، موفق سعيد، بيروت، ١٩٦١ .

٦٢ ـ الاسلام والمسيحية في الميزان، شريف محمد هاشم، مؤسسة

الوفاء، ١٩٨٨ .

٦٣ ـ **الشخصية الصهيونية في الرواية الانكليزية**، هاني الراهب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢، بيروت، ١٩٧٩ .

أما المجلات والجرائد التي اعتمدناها، فهي التالية :

١ ـ مجلة الاجتهاد، العدد الثاني عشر ١٩٩١ .

٢ ـ مجلة النور، نيسان ١٩٩٤ .

٣ ـ مجلة الغدير، عدد ١٩ ـ ٢٠، ١٩٩٢ .

٤ ـ مجلة المنطلق، عدد ٢٤، ١٩٩٣ .

٥ ـ مجلة الغدير، ٢٣ ـ ٢٤، ١٩٩٣ .

٦ ـ مجلة المنطلق، عدد ٩٨، ١٩٩٣ .

٧ ـ جريدة السفير، ٢٧ أيار ١٩٩٤ .

فهرس الموضوعات

يطلب من :

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون وفاكس : ٨٣٤٢٦٥ - ٣١٧٤٢٥ - تلكس : MCS٢٠٧٧٧ - ٢٢٥٩٧ بلاغ -

ص.ب : ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان.